مِنْ عَقَائِدِ الشِّيعَةِ الإِمَامِيَّةِ

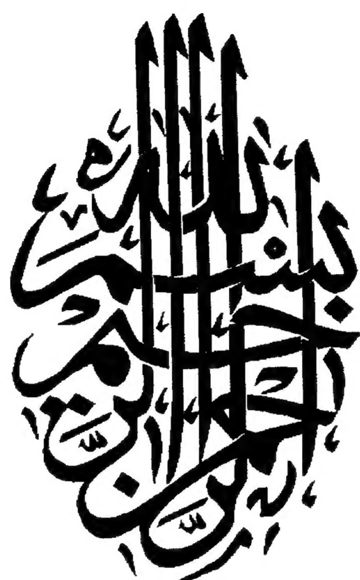
سؤال وجواب

تأليف

سماحة آية الله الشيخ عفيف النابلسي

دار الهاشم

من عقائد الشيعة الإمامية


بسم الله الرحمن الرحيم

من عقائد الشيعة الإمامية

سؤال وجواب



تأليف

سماحة آية الله الشيخ عفيف النابلسي

بسم الله الرحمن الرحيم

سُئلت فأجبت

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

وبعد...

فقد وُجِّهت إليَّ مجموعة أسئلة من إخوان أعزاء في منتهى الصراحة وأرادوا مني أجوبة صريحة شافية إصحاراً بالحق ودفعاً للشبهات وإزالة لكل غشاوة، بعيداً عن إثارة الفتنة وإذاعة الطائفية.

ولولا معرفتي بصدق مواقفهم وحسن نواياهم لأقفلت باب النزاع وعففت عن كل صراع، توجساً من تهمة وخشية من إثارة.

ورغبة في تبيان الحقيقة واستجابة لطلب أهل الصدق قدمت الأجوبة مدعومة بالأدلة الشافية والتواثيق الكافية، حتى يصل الضال التائه إلى بغيته، ويحقق الباحث الموضوع أسمى رغبته، فكانت بحمد الله كما قرأتها بعد كتابتها وراجعتها بعد سجاحتها كافية للمطلب، صافية في المشرب، وأوجزت ما أمكن من إيجاز، وأوضحت ما يحتاج من إيضاح، فلا هي إيجاز مُخل ولا أطناب ممل، بل جاءت مصحوبة

بالتوثيق، محاطةً بالتساوي والتصديق.

وبما أن الأسئلة من أكثر من طرف تداخل كثير منها فرددَت الفروع إلى الأصل وعنونتها تحت هذا العنوان: (سئلت فأجبت).

فكان هذا الكتاب الذي يضم أكثر من ستين سؤال وجواب حول أهم المسائل الاعتقادية بين السنّة والشيعة.

عفيف النابلسي

٣٠/ نيسان/ ٢٠٠٣



رسالة الإخوة الذين وجّهوا أسئلتهم لسماحة الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب السماحة العلامة الشيخ عفيف النابلسي دام ظله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بودنا لو يتسع لنا صدرك فنبوح إليك ما يعتلج في صدورنا ويدور في عقولنا ومن مسائل خلافية ذات صلة بالعقيدة التي بحسب المعتقدات الموروثة لا يمكن القفز فوقها ولا التلاعب بمضمونها.

وسماحتكم بنظرنا أول من يشد إليه الرحال ويوجه إليه السؤال لعلمك وفضلك، ولعلمنا بأنك ذو إتجاه سياسي معتدل وذوق ثقافي متوازن.

وحيث عايشناك طيلة عشر سنوات ونحن نستمع إلى خطابك في مناسبات شتى كخطبة الجمعة ومناسبة عاشوراء ومولد النبي ونسمع لك بالتلفزيون آراء سياسية فلم نجدك إلا الحريص على الوحدتين الوطنية والإسلامية.

ومن هنا توجهنا إليك ولذنا ببابك، والمعروف عنك أنك تنيل القاصدين وترفد السائلين من جودك الطامي وأدبك الغزير آملين أن نجد عندك انشراحاً في الصدر وحكمة في التعاطي واستيعاباً لمسائلنا.

ونحن إذ نوجه إلى سماحتكم أسئلتنا نرجو الإجابة عليها علّها تفرّج عنّا ما نحن فيه من قلق.

ونحيطكم علماً بأننا من دعاة الوحدة الإسلامية والحريصين عليها ولعل أجوبتكم الهادفة تساعد في وحدة الصف وجمع الكلمة والتئام الجراح، وتصفع كل المغالين بالدين والمصطادين بالماء العكر.

في ١٥ آذار ٢٠٠٣م

الموافق ١٣ محرم ١٤٢٤هـ



جواب سماحة الشيخ على الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني الأعزاء الذين ألمس فيهم حساً وحدوياً وذوقاً وطنياً وعملًا في خدمة الدين دون توانٍ ولا تراجع.

راجعت أسئلتكم فوجدت فيها كثيراً من الأسئلة المحرجة لم أتعرض لها في خطابي الديني ولا السياسي حيث التعرض لها أحياناً ودون أي مبرر قد يواجه كثيراً من الإحراج.

ونحن حريصون على الوحدة الإسلامية آخذون بعين الاعتبار أن أيّ تحوّل من مذهب إلى مذهب آخر بالإغراء والتبشير عمل مضر في الوحدة.

أما من يهذب أفراد طائفته وفق طقوسها فهذا عمل شريف ورائع ومحمود من الجميع.

ولهذا دأبنا ونحن في صيدا على تهذيب إخواننا وتثقيفهم الثقافة الوحدوية وأبعدناهم عن أي كلام مضر بالوحدة ومنعنا الشباب من إطلاق أي شعار تاريخي غير مدروس وعملنا ما بوسعنا على ذم الفرقة ومدح الوحدة ودعونا إلى الإنصهار الإسلامي العام في المسائل المصيرية

التي تطالنا جميعاً وتهدد مستقبلنا كما تهدد وجودنا.

وإذا سمعنا بعض المغالين أو المتطرفين يورد شيئاً من فلتات لسان أو يكشف عن حقد وأضغان قلنا له سلاماً سلاماً ونرى معنا من عقلاء الأهل والإخوان ما يعضدنا عند الرفق به والإبتسام له وتحويل المعركة لصدور أعدائنا وتصويب البوصلة لتحرير القدس وفلسطين فلا حرب إلّا حرب أعداء الدين اليهود وأمريكا ومن تبعهما.

ومع كل ذلك فأنا سعيد بهذا التحمل وفرحٌ بهذه الثقة منكم.

وسوف أحاول مهما أمكن بيان الموضوع بعبارة سهلة ومهذبة مع إلتماسي منكم ومن المؤمنين الدعاء لي بالتوفيق والقدرة على البيان والتحقيق.

أخوكم عفيف النابلسي
٢٠ آذار ٢٠٠٣
١٧ محرم ١٤٢٤



رؤية الله

▽س١: يعتقد الشيعة: أن الله لا يمكن رؤيته ولكن الدليل ليس معكم فالآيات القرآنية والأحاديث التي تنقلها الصحاح خلاف عقيدتكم، وتظهر بأن الله يمكن رؤيته، وفي صحيح البخاري الجزء التاسع، كتاب التوحيد في حديث طويل رواه أبو هريرة: إن الله يأتي يوم القيامة للمؤمنين ويكشف عن ساقه وأنه يضع قدمه في النار ويقول قط قط.

فكيف تجيبون؟

ج١: الخلاف في هذا الموضوع قديم، والجواب على هذا السؤال لا يزيد في الطين بلّة ولا يمنعنا من الاصحار بالحق ولو كان مضراً لامتنعنا عن الخوض فيه حيث أنّ حديث الوحدة هو المقدم.

من هنا فقد اتفق علماء الأصول على ما يلي: إذا تقاطع حكم عقلي قطعي مع حكم نقلي ظاهري فهل نأخذ بظواهر النصوص أو نأخذ بالحكم العقلي القاطع؟

قالوا: هنا يقدم الحكم العقلي على الظواهر.

نحن نقول: إن الله ليس جسماً ولا عرضاً ولا مركباً ولا بسيطاً، بينما غيرنا يقول بالتجسيم ويعتمد على الظواهر في ذلك.

ونحن نعود إلى الظواهر مضافاً إلى حكم العقل ونعتمد على القرآن الذي يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

إذاً الله ليس له صورة قائمة ولحية مسبلة وعمة كبيرة ووجه له عينان وما إلى هنالك من المشخصات البشرية، وأيضاً نعتمد على القرآن في أن الله نور السموات والأرض.

وإذ نفينا عنه الجسمية لا يمكن أن تراه العين البشرية لأنها مصنوعة لرؤية الأجساد البشرية والأشياء الكونية المجسمة فقط.

والرؤية البصرية هي حالة ذهنية تحصل للرائي بعد انطباع صورة المرئي المستقر في جهة مقابلة له على شبكية العين وانتقالها عبر الأعصاب إلى الدماغ.

ومن المعلوم أن الرؤية بهذه الحقيقة لا يمكن أن تتحقق إلا بأن يكون المرئي كثيفاً غير مفرط في البعد بل قائماً في موضع يقع في مدى الإبصار مستقراً في جهة مقابلة للرائي، تنبعث الأشعة من جسمه ـ إن كان منيراً بالذات ـ أو تنعكس عنه ـ إن لم يكن كذلك ـ إلى العين.

فإذا كانت هذه حقيقة الرؤية ولوازمها يتضح استحالة رؤيته تعالى ـ على الإطلاق ـ لتنزهه عن الجسمية.

وقد ذهبت المجسّمة إلى جواز رؤيته تعالى في الدنيا فضلًا عن الآخرة كما ذهب عامة أهل الحديث والأشاعرة إلى جواز رؤيته تعالى يوم القيامة وأنه ينكشف للمؤمنين انكشاف القمر ليلة البدر تبعاً لبعض الأحاديث واستظهاراً من بعض الآيات.

وقد عرفت في المقدمة أن حكم العقل القطعي مقدم على الظواهر النقلية فلا نصيب لشيء من هذه الأقوال من الصحة.

والعجيب من أهل الحديث والأشاعرة أنهم مع قولهم بالرؤية البصرية يعدون أنفسهم من أهل التنزيه ويبرؤون من المشبّهة والمجسمة في حين أن هذه الرؤية التي يثبتونها لا تنفك قهراً عن كون المرئي جسماً كثيفاً ذا أبعاد قائماً في جهة ومكان [1].



(١) بداية المعرفة، ص١٨٥، بتصرّف.

عصمة الأنبياء

أنتم تقولون: إن الأنبياء معصومون عن كل خطأ بينما القرآن يتحدث عكس ذلك.

مثلاً ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس: ١-٣] إلخ، فهنا عتاب واضح من الله للنبي وأيضاً ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١].

وأيضاً: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾ [الأنبياء: ٨٧].وأيضاً عن يوسف ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤].

▽س٢: وحديث البخاري أن النبي مرّ على قوم يعملون بالنخيل فقال لهم كذا ففعلوا فلم يصلح لهم فجاؤوا إلى النبي وذكروا له أن عملهم أصلح لا كما قاله فقال لهم أنتم أعلم بشؤون دنياكم، فما دليلكم على أن عصمة الأنبياء شاملة؟

ج٢: نحن نعتقد أن الأنبياء معصومون قاطبة، وكذلك الأئمة عليهم جميعاً التحيات الزاكيات، وخالفنا في ذلك بعض المسلمين فلم يوجبوا العصمة في الأنبياء فضلًا عن الأئمة.

والعصمة، هي: التنزّه عن الذنوب والمعاصي صغائرها وكبائرها،

وعن الخطأ والنسيان، وإن لم يمتنع عقلًا على النبي أن يصدر منه ذلك، بل يجب أن يكون منزّهاً حتى عما ينافي المرؤة كالتبذل بين الناس من أكلٍ في الطريق أو ضحكٍ عالٍ وكل عمل مستهجن فعله عند العرف العام.

والدليل على وجوب العصمة: أنه لو جاز أن يفعل النبي المعصية أو يخطىء وينسى، وصدر منه شيء من هذا القبيل فإما أن يجب اتباعه في فعله الصادر منه عصياناً أو خطأ أو لا يجب، فإن وجب اتباعه فقد جوزنا فعل المعاصي برخصة من الله تعالى بل أوجبنا ذلك وهذا باطل بضرورة الدين والعقل، وإن لم يجب اتباعه فذلك ينافي النبوة التي لا بد أن تقترن بالطاعة أبداً [١].

وإذا كان كل شيء يقع منه يحتمل فيه الخطأ والصواب أو الطاعة والمعصية فلا يجب اتباعه في شيء من الأشياء، وتذهب حينئذٍ الفائدة من بعثته ودعوته، ووفق هذا المنطق فإنه لا يعود النبي موثوقاً ولا تبقى طاعة حتمية لأوامره ولا ثقة مطلقة بأقواله وأفعاله.

فمن هنا يحكم العقل بوجوب طاعته لعصمته التي لا يتغير فيها من حال إلى حال.

ومن هنا نأخذ غضبه لو غضب بأنه مصلحة لنا ولديننا كما لو رضي بشيء تماماً وهذا هو الميزان والصواب لنجاح دعوة الأنبياء بخلاف ما لو زعزعنا ثقتنا بهم فإن سقوط الدعوة يبدو هو المطلب

---

(١) عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر، ص٧٧.

الأوضح.

وأما ما ذكر من الآيات القرآنية فهي خاضعة لقاعدة عامة يذكرها علماؤنا وهي: كل ما ثبت بالحكم العقلي القاطع لا بد من تقديمه على ظواهر الكتاب والسنة.

ولا بد أيضاً من تفسير النصوص النقلية بما يناسب القاعدة العامة التي تثبت بالعقل.

وأتوقف عن تفسير الآيات حرفياً مراعاة للاختصار.



الجمع بين الفرائض

▽س٣: نرى أنّ الشيعة يجمعون في صلواتهم لكن التاريخ يبيّن لنا أنّ الخلفاء كانوا يفرّقون في صلاة الظهرين والعشائين فما هو دليلكم؟

ج٣: الشيعة الإمامية يحترمون النصوص ويحترمون التاريخ النبوي والعهد الراشدي ولا يقدمون على أيّ عمل دون دليل.

وفيما يتعلق بالجمع بين الظهرين والعشاءين فإنّه لم يرد نص قرآني يقول بالتفريق، ولم ينصّ القرآن على أوقات خمسة، وإنما ورد في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

وهي كما ترى لا تدل إلّا على ثلاثة أوقات.

الأول: زوال الشمس.

الثاني: دخول الليل.

والثالث: طلوع الفجر.

وهي تدلّ على صحة ما نقوم به من جمع الصلوات في الظهرين والعشائين وحيث لا توجد صلاة أخرى في الفجر انفردت صلاة الصبح

وبقيت على حالها.

وهناك آيات أخرى أيضاً تؤيد هذا المشهد القرآني.

لكن مما لا شك فيه أن النبي كان يفرّق بين الصلاتين وما يذكره الفقهاء من بيان أوقات الصلاة على أنّها مقسّمة بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وأنه كان يصلي ثم ينام أو يرتاح ثم يعود إلى الصلاة ثانية عندما يكون الوضع اعتيادياً، وكان من الواضح عنه أنه كان يجمع في الحرب والسفر والخوف والمطر وهذا لا خلاف فيه عند المسلمين، لكن الخلاف هل أنه جمع في الأوضاع الاعتيادية أوْ لا؟ ونحن نثبت أن النبي جمع بين الظهرين والعشائين دون خوف ولا مطر، فصار الجمع رخصة والتفريق رخصة ولا فرق بينهما، ورأي علمائنا أن التفريق أفضل للقادر على ذلك ولا مشكلة لنا مع مَن فرّق.

وإليك دليلنا في ما نقول به من جمع بين الصلوات:

الثابت من سيرة النبي ومذهب أهل البيت أنه إذا زالت الشمس دخل وقت الظهر والعصر ولكن تصلّي الظهر أولًا وبعدها العصر.

وقد روى مسلم في صحيحه ما يدل على ذلك صريحاً في عدة روايات فقال في باب جواز الجمع بين الصلاتين في السفر ما لفظه:

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا: حدثنا أبو معاوية، وحدثنا أبو كريب وأبو الأشبح واللفظ لأبي كريب قالا: حدثنا وكيع كلاهما عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: جمع رسول الله بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء دون خوف ولا مطر.

وفي حديث وكيع سألت ابن عباس وقلت له: ما أراد من ذلك؟

قال: أراد أن لا يحرج أُمّته معادن [1].

وقال الترمذي في كتابه: حديث أجمعت الأمة على ترك العمل به إلا حديث ابن عباس في الجمع بالمدينة من غير خوف ولا مطر.

ولدينا روايات من الصحاح جميعها، وخاصة صحيح البخاري، والعمل بالصحاح جائز ولا إشكال فيه عندنا وعند جميع المسلمين لأن الأحاديث متواترة في ذلك غير أنّ البعض أصرّ على التفرقة محتجّاً بأن التفرقة في صلاة الظهرين والعشائين ثبتت بالتواتر ومن أدى اجتهاده إلى ذلك فهو معذور ومن خالفه اجتهاداً فهو معذور ونحن نقول: كلاهما رخصة، ومن يتشدد فعليه الدليل على تشدده والسلف الصالح كان أكثر تساهلًا لفهم الشريعة السهلة السمحاء.



(١) الجواهر، ج١، ص٣٩٥، نقلًا عن صحيح مسلم وشرحه، ج٣، ص٤١٦، هامش إرشاد الساري، طبع مصر..

الصلاة على آل النبي

▽س٤: عندما يذكر الشيعة النبي يقولون صلى الله عليه وآله بينما يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ج٤: ذكر الشيخ البخاري في صحيحه الجزء الثامن ص٩٥ باب الصلاة على النبي حديثين:

الأول: حدثنا شعبة حدثنا الحكم قال: سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية، إن النبي خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟

قال: فقولوا اللّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم اللّهمّ بارك على محمّد وعلى آل محمد باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

الثاني: حدثنا إبراهيم بن حمزة حدثنا ابن أبي حازم والد راوردي عن يزيد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلي؟ قال: قولوا اللهم صلِّ على محمد عبدك ورسولك كما صلّيت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى

آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم.

وقال الشيخ محمد جواد مغنية في تفسير (الكاشف) المجلد السادس ص ٢٣٧: في صحيح البخاري ج٨ باب (الصلاة على محمّد) وتفسير الطبري والرازي والمراغي وغيرهم من المفسرين وفي كتب المحدثين أيضاً.

قيل يا رسول الله كيف نصلي عليك؟

قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد، اللّهمّ بارك على محمد وعلى آل محمّد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

ثم قال: وفي تفسير (روح البيان) لإسماعيل حقي: (ينبغي أن يقول المصلّي اللهم صل على محمد وعلى آل محمد بإعادة كلمة (على) فإنّ أهل السنّة التزموا إدخال (على) على الآل رداً على الشيعة فإنهم منعوا ذكر (على) بين النبي وآله).

ثم يقول الشيخ مغنية: ونحن لا نجد أي فرق بين قول من قال: اللهم صل على محمد وآل محمد وقول من قال: وعلى آل محمد.

ونحن نقول: الظاهر أن إسماعيل حقي لم يدرس النحو ليعرف أن حرف النسق يحل محل ما ترك طلباً للاختصار ولسهولته أيضاً فإذا قلت جاء زيد وجاء عمر يكون كلامك أطول من جاء زيد وعمر مع أن الواو اختصرت وعبّرت بنفس المضمون بلا فرق وهذا واضح في قولنا: اللهم صل على محمد وآل محمّد بلا فرق في المعنى أبداً سوى أن الأول

أسهل وأخصر.

ولا بد أن نذكّر الأخوة بشعر محمد بن إدريس الشافعي حيث قال:

يا آل بيت رسول الله حبكمُ فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكمُ من عظيم الشأن أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له



الأئمة الاثنا عشر

▽س٥: ورد عن النبي رواية تقول: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وسنتي) فلم يذكر أسماء آل البيت ولا يوجد ذكر إضافي في القرآن فما دليلكم على إمامة الأئمة الإثني عشر؟

ج٥: لا يوجد أوضح من الشيعة في طرح مفاهيمهم ودعوتهم الحقة ولا يوجد أي خفاء في عقيدتهم وفي كل قضية يقدمون دليلهم الواضح والمعتمد على كتاب الله وسنة رسوله.

أولًا: إن الحديث الذي ذكرت مرسل وضعيف ولم تروه الصحاح ولم يروه إلا مالك في الموطأ وإليك النص:

وحدثني عن مالك أنه بلغه: أن رسول الله قال تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه [(١)].

ولا أدري كيف يجوز لأهل العلم جعل هذا الحديث المرسل أو المرفوع أساساً للعقيدة السياسية العامة ويتركون الحديث المشهور المتواتر المعروف بحديث الثقلين.

---

(١) الموطأ،ج٢، ص٧٩٩، طبع دار اليمامة، دمشق ـ بيروت..

ولسان الحديث كما في رواية زيد بن أرقم: إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

وفي رواية زيد بن ثابت: إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

وفي رواية: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وأن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما يراجع لسند الحديث: (المراجعات) ص٢٠ ـ ٢١، وبقية ألسنتها متقاربة وأكثرها صحيحة الإسناد..

وقد استفيد من الحديث عدة أمور نعرضها بإيجاز:

١ ـ دلالته على عصمة أهل البيت:

أ ـ لاقترانهم بالكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتصريحه بعدم افتراقهم عنه، ومن البديهي أن صدور أية مخالفة للشريعة سواء كانت عن عمد أو سهو أم غفلة تعتبر افتراقاً عن القرآن في هذا الحال وإن لم يتحقق انطباق عنوان المعصية عليها أحياناً كما في الغافل والساهي.

والمدار في صدق عنوان الافتراق عنه عدم مصاحبته لعدم التقيد بأحكامه وإن كان معذوراً في ذلك فيقال ـ مثلًا ـ افتراق عن الكتاب وكان

معذوراً في افتراقه عنه.

والحديث صريح في عدم افتراقهما حتى يردا الحوض.

ب ـ ولأنه اعتبر التمسّك بهما عاصماً عن الضلالة دائماً وأبداً كما هو مقتضى ما تفيده كلمة (لن) التأبيدية وفاقد الشيء لا يعطيه.

ج ـ على أن تجويز الافتراق عليهم بمخالفة الكتاب وصدور الذنب منهم تجويز للكذب على الرسول الذي أخبر عن الله عزّ وجل بعدم وقوع افتراقهما وتجويز الكذب عليه متعمداً في مقام التبليغ والإخبار عن الله في الأحكام وما يرجع إليها من موضوعها وعللها مناف لافتراض العصمة في التبليغ وهي مما أجمعت عليها كلمة المسلمين.

يقول الشوكاني بعد استعراضه لمختلف مبانيهم في عصمة الأنبياء: وهكذا وقع الإجماع على عصمتهم بعد النبوة من تعمد الكذب في الأحكام الشرعية لدلالة المعجزة على صدقهم.

وأما الكذب غلطاً فمنعه الجمهور وجوزه القاضي أبو بكر [١].

ولا إشكال إن الغلط لا يتأتى في هذا الحديث لإصرار النبي على تبليغه في أكثر من موضع وإلزام الناس بمؤداه، والغلط لا يتكرر عادة.

على أن الأدلة العقلية على عصمة النبي والتي ذكرت في موقعها عندنا ـ وربما نعود إليها مختصراً فيما بعد من استحالة الخطأ عليه في مقام التبليغ وكلّ ما يصدر عنه تبليغ كما سيأتي ـ تكفي في دفع شبهة

(١) إرشاد الفحول، ص٣٤.

القاضي أبي بكر وتمنع من احتمال الخطأ في دعواه عدم الافتراق.

٢ ـ لزوم التمسك بهما معاً لا بواحد منهما منعاً للضلالة، لقوله فيه: (ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا) ولقوله: (فانظروا كيف تخلفوني فيهما)، وأوضح من ذلك دلالة ما ورد في رواية الطبراني في تتمتها (فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا فإنهم أعلم منكم).

وبالطبع إن معنى التمسك بالقرآن هو الأخذ بتعاليمه والسير على وفقها وهو نفسه معنى التمسك بأهل البيت عدل القرآن.

ومن هذا الحديث يتضح أن التمسك بأحدهما لا يغني (ما إن تمسكتم بهما) أو (لا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا)، ولم يقل ما إن تمسكتم بأحدهما أو تقدمتم أحدهما.

وسيأتي في ذلك من أنهما معاً يشكلان وحدة يتمثل بها الإسلام على واقعة وبكامل أحكامه ووظائفه.

٣ ـ بقاء العترة إلى جنب الحوض وهي كناية عن بقائهما متلازمين إلى يوم القيامة.

يقول ابن حجر الصواعق المحرقة [١]، وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت عبارة على عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما يأتي ويشهد لذلك الخبر الصحيح.

---

(١) ابن حجر العسقلاني، ص١٤٩.

(في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي).

٤ . دلالته على تميزهم بالعلم بكل ما يتصل بالشريعة وغيره كما يدل على ذلك اقترانهم بالكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ولقوله: (لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم).

يقول ابن حجر في الصواعق المحرقة وهو خير مَن كتب في هذا الحديث فهماً وموضوعية (تنبيه): سمى رسول الله القرآن وعترته وهي بالمثناة الفوقية: الأهل والنسل والرهط الأدنون الثقلين لأن الثقل كل نفيس خطير مصون وهذا كذلك إذ كل منهما معدن العلوم اللدنية والأسرار العلية والأحكام الشرعية.

وحديث الثقلين من الأحاديث المتواترة لفظاً ومعنى ورواه السنة والشيعة بنفس اللفظ والمضمون مع تفاوت بسيط.

والاختلاف في بعض الكلمات كان لتعدد الواقعة التي ذكر فيها وموضع اللقاء بين الرواة متواتر قطعاً.

ومن حسنات دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في مصر أنها أصدرت رسالة إضافية ألفها بعض أعضائها في حديث الثقلين فقط حديث الثقلين..

وقد استوفى مؤلفها ما وقف عليه من مصادر من أسانيد الحديث في الكتب المعتمدة لدى أهل السنة.

وحَسْب الحديث أن يكون من رواته كلٌّ من صحيح مسلم وسنن الدارمي وخصائص النسائي وسنن أبي داوود وابن ماجة ومسند أحمد ومستدرك الحاكم وذخائر العقبى للطبري وحلية الأولياء لأبي نعيم وكنز العمال وغيرهم.

وأن تعنى بولايته كتب المفسرين أمثال الرازي والثعلبي والنيسابوري والخازن وابن كثير وغيرهم بالإضافة إلى الكثير من كتب التاريخ واللغة والسير والتراجم.

وقد استقصت رسالة دار التقريب عشرات المؤلفين من هؤلاء ويمكنكم مراجعتها ص٥ الخ.

وهي متداولة بالأيدي والمكتبات.

أما ابن حجر فقد أوصله إلى نيف وعشرين صحابياً، وفي غاية المرام وصلت أحاديثه من طرق أهل السنّة إلى ٣٩ حديثاً ومن طرق الشيعة إلى ٨٣ حديثاً.

وبعد الذي ذكرناه من الأدلة لا أظن أنك تحتاج إلى دليل أوضح ولا بد أنك سوف تمشي على القواعد وتأخذ بالأحاديث المتواترة وتترك الأحاديث المرسلة والمرفوعة والضعيفة والتي لم يروها إلا الموطّأ وبعض كتّاب السيرة كابن إسحاق وهو غير معتمد عند أهل الحديث.

ولو أن مالكاً وجد سنداً للحديث لذكره لأنه كان حريصاً على طرق الإسناد.

وبنظري أن هذا الحديث من الأحاديث التي وضعت في العهد

الأموي مضادة لأهل بيت العصمة صلوات الله عليهم الأصول العامة للفقه المقارن [١]، وبما أن أهل البيت مع القرآن عصمة لنا وللأمة الإسلامية من الضلال بيّن النبي من هم أهل البيت في أكثر من موقع ودلّ عليهم بالنصّ وفسّر النصّ بالعمل.

قال السيد شرف الدين في كتابه الكلمة الغراء: إن النبي جمع أصحاب الكساء وهم النبي محمد وصنوه الجاري بنص الذكر مجرى رسول الله وبضعته التي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها.

وريحانتاه في الدنيا وسبطاه الشهيدان سيدا شباب أهل الجنة فهؤلاء أصحاب هذه الآية الكلمة الغرّاء [٢]، وفي تفسير الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

أن المراد من أهل البيت هم الخمسة وعندما أرادت أم سلمة الدخول تحت الكساء أرجعها النبي وقال لها: أنت على خير، أنت على خير [٣].

وذكر محمد بن جرير الطبري في تفسيره خمسة عشر رواية مختلفة في قصر الآية عليهم بالخصوص وحسبك في ذلك.

وأيضاً في أيام المباهلة مع نصارى نجران رأى الناس أن النبي جاء بأهل بيته وقد ذكرها القرآن بشكل واضح وصريح: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا

(١) السيد محمد تقي الحكيم، ص١٦٥.
(٢) السيد شرف الدين، ص٢٠٩..
(٣) مسند أحمد بن حنبل، م٦، ص٣٢٣.

﴿وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] فالأبناء الحسن والحسين، والنساء فاطمة، والنفس علي باتفاق المؤرخين والمفسرين والمحدثين [(١)].

ويكفي للأمّة أن تعرف مَنْ أهل البيت بهذه الطريقة الواضحة فيكون الأول منهم علي، وعلي يذكر الأسماء الآخرين واحداً بعد الآخر لأنه معصوم بنص الآية والمعصوم لا يكذب ولا يخطىء كما ذكرنا ذلك في محله.

وعدد أئمة الشيعة نُقِلَ بالتواتر أولهم الإمام علي بن أبي طالب وآخرهم الإمام الحجة المنتظر سلام الله عليهم أجمعين.

وهم الأئمة الإثنا عشر الذين كانوا مصاديق حقيقية للحديث المشهور.

الأئمة من قريش وعددهم اثنا عشر إماماً ولا ينطبق على غيرهم وهم: الإمام علي، الإمام الحسن، الإمام الحسين، الإمام علي بن الحسين، الإمام محمد بن علي، الإمام جعفر بن محمد، الإمام موسى بن جعفر، الإمام علي بن موسى، الإمام محمد بن علي، الإمام علي بن محمد، الإمام الحسن بن علي، الإمام المهدي محمد بن الحسن(عج).

وقد حاول السيوطي أن يطبقه على غيرهم ففشل فشلًا ذريعاً مما ضحك من لعبه الثكالى حيث قفز من عصر إلى عصر ومن قبيلة إلى أخرى ومن عصر بني أمية إلى عصر بني العباس ولم يحصل على شيء

---

(١) الكلمة الزاهرة في العترة الطاهرة، للمؤلف، ص٣٣.

يريح الناس ومن هنا قال المؤرخون (السيوطي حاطب ليل) راجع السيوطي تاريخ الخلفاء عندما يناقش هذا الحديث.



آية التطهير

▽س٦: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ظاهر سياق الآية إنها تتكلم عن نساء النبي وفي تفاسير السنة كذلك فمن أين جاء الشيعة بأنها نازلة في حق علي وفاطمة والحسن والحسين؟

ج٦: قبل عشر سنوات كتبت بحثاً إضافياً عن موقع أهل البيت في القرآن ثم طبعته بعد ذلك تحت اسم: (الكلمة الزاهرة في العترة الطاهرة) ونشره دار البلاغة.

وجوابك موجود مطبوع وإليك الاختصار منه ويمكنك مراجعة كتابنا المذكور ففيه فوائد كثيرة حول هذا الموضوع وإليك ما يلي:

أولًا، الآيــــة: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٣].

والذي يهمنا من الآية ذيلها حيث تصرح باسم أهل البيت وإذهاب الرجس عنهم لكنها لم تصرّح مَنْ هم أهل البيت فهل هم النساء فقط كما ذكر الزمخشري أو النساء والرجال ومنهم علي والحسن والحسين كما ذكر الفخر الرازي أو هم علي والحسن والحسين وفاطمة فقط والمعصومون من أبنائهم كما سيأتي أم أهل البيت أعم من هؤلاء الكواكب بل يشمل آل عقيل وجعفر والأعمام وكل من له علاقة عصبية مع رسول الله وسوف نوضّح مَن هم إنشاء الله تعالى بأوضح بيان وأجلى برهان.

من المعلوم أن السنّة النبوية لها الدور الأكبر في باب الآيات، وأسباب النزول يوضح أموراً كثيرة.

كما أننا لا بد أن نشير إلى أن أهل البيت هم موضع اعتزاز الأمة الإسلامية دون استثناء وحبّهم واجب على كل المسلمين، وقد اتفق على ذلك علماء الجمهور ولم يشذّ إلا النادر.

وفي الفتوحات المكية لابن عربي قطب الأولياء، قال ما يلي: إن النبي وأهل بيته على السواء في مودتنا فيهم فمن كره أهل بيته فقد كره النبي فإنه واحد من أهل بيته ومن خانهم فقد خان رسول الله [١].

في أسباب النزول: ذكر مسلم في صحيحه ما نصه بالحرف: قالت عائشة: خرج النبي غداة وعليه مرط مرجل (بُرد من برود اليمن) من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت

---

(١) الفتوحات المكية، ج٤، ص١٣٩، طبعة دار الكتب العربية، مصر.

فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣] [١].

وفي تفسير الطبري، عن أبي سعيد الخدري الصحابي الجليل، وأم سلمة زوجة الرسول قالت: لما نزلت آية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣] دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ووضع عليهم كساء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

قالت أم سلمة: ألست منهم قال: أنت إلى خير، أنت إلى خير.

ومثله في تفسير البحر المحيط للأندلسي والتسهيل للحافظ والدر المنثور للسيوطي وغيرها من التفاسير [٢].

وهذا التوضيح من رسول الله وإدخال الأهل تحت الكساء تفسير للآية وتعيين لأهل البيت،حيث أخرج النساء من قلب الآية ومنع أم سلمة من الدخول معهم وهذا أحسن بيان وأوضحه، وبعده لا نحتاج إلى أي توضيح، وتسأل: إن سياق الآيات يدل على أن المراد بآية التطهير نساء النبي فكيف أخرجهن عنها من نقلت من المفسرين.

الجواب أولًا: إن صاحب تفسير المنار نقل عن أستاذه الشيخ محمد عبده أن من عادة القرآن أن ينتقل بالإنسان من شأن إلى شأن آخر ثم يعود إلى مباحث المقصد الواحد المرة بعد المرة تفسير المنار، ج٢،

---

(١) صحيح مسلم، ج٢، ص١١٦، طبعة ١٣٤٨هـ.
(٢) الكاشف محمد جواد مغنية، ج٦، ص٢١٧ .

ص٤٥١، طبعة ثانية..

وقال الإمام جعفر الصادق: (إن الآية من القرآن يكون أولها في شيء وآخرها في شيء آخر)، وعلى هذا فلا يصح الاعتماد على دلالة السياق لآي الذكر الحكيم كقاعدة كلية.

ثانياً: لو سلّمنا جدلًا بصحة الاعتماد على دلالة السياق للآيات فإن قوله تعالى ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ [الأحزاب: ٣٣] بضمير المذكر دون ضمير المؤنث هو نص على إخراجهن من الآية وليس من شك أن دلالة النص مقدمة على دلالة السياق لأنها أقوى وأظهر.

ثالثاً: إن المفسرين والمحدثين الذين ذكرناهم قد اعتمدوا في إخراجهم على الحديث الصحيح عن الرسول الأعظم وقد اتفقت كلمة المسلمين على أن السنة النبوية تفسير وبيان لكتاب الله كما ذكرنا آنفاً.

وفي الدر المنثور أخرج ابن مردوية عن أبي سعيد الخدري قال: لما دخل علي بفاطمة جاء النبي أربعين صباحاً إلى بيتها (إلى بابها) ويقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] أنا حرب لمن حاربتم أنا سلم لمن سالمتم.

وفيه أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: شهدنا رسول الله تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي وفاطمة عند وقت كل صلاة ويقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] [١].

---

(١) راجع الميزان، ج١٦، ص٣١٨.

وهذا تفسير واضح وتعيين أوضح بهذا القصد إلى بيت فاطمة دون بيوت أزواجه فلو كان لأزواجه أية شراكة في آية التطهير لما كان يحق له وهو النبي المعصوم أن يغمطهن حقهن غير أنه ليس لهن أي شراكة فضلًا عن الاستقلال بجميع الآية على أن أي امرأة من نساء النبي على ما كانت محتاجة إلى جمع الفضائل وما كان يجمع لها جماعتها لم تذكر هي ولم يُذكر لها أي شيء من هذا النوع، فكيف نحاول نحن إثبات شيء لها لم يثبت عندها في حضورها؟

وقد نقل السيد المرعشي النجفي في ملحقات إحقاق الحق وفي الجزء التاسع، سبع عشرة رواية في أن أهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين عن أكثر المؤرخين والمفسرين والمحدثين، ومنهم العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي أحد أقطاب الإشراق والمتمرس بحفظ الأحاديث وتخريجها في كتابه ذخائر المواريث والشيخ العلامة عبد الله الحنفي الشافعي في المناقب.

والعلامة الشيخ سليمان البلخي الحنفي في ينابيع المودة وهذا الجزء مملوء في أسانيد الروايات والمؤلفين وهم كثر فمن أراد التوسع في هذا الباب فعليه مراجعة هذا الكتاب فإنه فريد في بابه [1].

والغريب بعد هذا الوضوح في تعيين أهل البيت من قبل النبي يأتي عكرمة ويتبعه على ذلك بعض المعادين ليصرفوا الآية عن هذا التعيين الواضح ويتمسكوا بوحدة السياق.

---

(١) ملحقات إحقاق الحق، ج٧.

وكان من مظاهر إصرار عكرمة وتنبيهه لهذا الرأي أنه كان ينادي به في السوق ويقول: من يشاء باهلته إنها نزلت في أزواج النبي.

والذي يبدو أن الرأي السائد في عهده كان على خلاف رأيه كما يشعر فحوى ردّه على غيره: ليس بالذي تذهبون إليه إنما هو نساء النبي، وقد نسب هذا الرأي لابن عباس.

ويبدو أنه المصدر الوحيد في النسبة إليه، وإن كان في أسباب النزول للواحدي رواية عن ابن عباس يرويها عنه سعيد بن جبير . أي عكرمة . عن ابن عباس يقرب أن يكون في رواية الواحدي تدليس وهما رواية واحدة المصدر نفسه..

وقد استدل هو أو استدلوا له بوحدة السياق لأن الآية إنما وردت ضمن آيات نزلت كلها في نساء النبي ووحدة السياق كافية لتعيين المراد من أهل البيت.

والحديث حول هذه الشبهة يدعونا إلى تقييم رأي كل من عكرمة ومقاتل ومعرفة البواعث النفسية التي دفعت بعكرمة إلى كل هذا الإصرار والموقف غير المحايد حتى اضطره إلى الدعوة إلى المباهلة والنداء، والظاهر أن ذلك كله ارتباطاً بعقيدته التي تبناها يوم اعتنق مذهب الخوارج وبخاصة رأي نجدة الحروري.

وللخوارج موقف من الإمام علي معروف فلو التزم بنزول الآية في أهل البيت بمن فيهم علي لهان عليه القول بعصمته ولأوقع على نفسه أسس عقيدته التي سوغت لهم الخروج عليه ومقاتلته وبررت لهم . أعني الخوارج . قتله وقد استغل علاقته بابن عباس وسيلة للكذب عليه وكان

ممن يستسيغون الكذب في سبيل العقيدة . فيما يبدو . ومَن أولى من ابن عباس في الكذب عليه فيما يتصل بهذا الموضوع الحساس.

وقد اشتهرت قصة كذبه على ابن عباس بين خاصته حتى كان يضرب المثل فيه فعن ابن المسيب أنه قال لمولى له اسمه برد: لا تكذب علي كما كذب عكرمة.

وقد حاول علي بن عبد الله بن عباس صدّه وردعه عن ذلك ومن وسائله التي اتخذها معه أنه كان يوثقه على باب كنيف فقيل له: أتفعلون هكذا بمولاكم؟

فقال: إن هذا يكذب على أبي المصدر نفسه..

وحقده فيما يبدو لم يختص بأهل البيت وإنما تجاوزهم إلى جميع المسلمين عدا الخوارج.

فعن خالد بن عمران: كنا في المغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم، فقال: وددت أن بيدي حربة فاعترض بها من شهد الموسم يميناً وشمالاً.

وعن يعقوب الحضرمي عن جده، قال: وقف عكرمة على باب المسجد، فقال: ما فيه إلا كافر. وأما مقاتل فحسابه من حيث العداء لأمير المؤمنين حساب عكرمة ونسبة الكذب إليه لا تقل عن نسبتها إلى زميله عكرمة حتى عدّه النسائي في جملة الكذابين بوضع الحديث [١].

---

(١) الكلمة الغرّاء، ص٢١٥، طبعة النجف.

ومهما كان الأمر فإنه يكفي موقف النبي من أم سلمة المحترمة عنده أن يرفض دخولها ويقول لها أنت إلى خير وان جميع نسائه لم تتوجه هذا التوجه مطلقاً.

ومما يوضح هذه القضية أكثر ما روي عن الإمام الصادق حيث قال: لو سكت النبي فلم يبين مَن هم أهل البيت لادعاها آل عباس وآل عقيل وآل فلان وآل فلان.

ولكن الله أنزل في كتابه تصديقاً لنبيه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣].

وهناك قصة ذكرها لي علّامة جليل كانت قد جرت للعلامة الأميني صاحب الغدير مع بعض علماء السنة فبادره ذلك العالم بسؤال عن آية التطهير فيمن نزلت؟

أجابه العلّامة بسؤال مفاده: لو كانت آية التطهير قد نزلت في الزوجات ولهن فيها أدنى نصيب فهل ترى أن أم المؤمنين عائشة تترك هذا الأمر فلا تكتبه على جبهة جملها عسكر الذي ركبته في حرب الجمل في مواجهة الإمام الشرعي علي حيث كانت تحرّض الناس على القتال في مواجهته، فأجاب السائل بالإيجاب.

فرحم الله العلامة الأميني وسقياً ورعياً لذلك العالم المنصف فإن عائشة كانت بأمسّ الحاجة إلى أمثال هذه الحجج لا سيما في مقابل أخي الرسول ووصيه والذي هو مع الحق والحق معه يدور معه كيفما دار.

والملفت للنظر هنا أن أكثر من واحدة من نساء النبي قد صرحت

بنزول الآية في أصحاب الكساء بل جاء التصريح عنهن بإخراج عدد منهن.

ولم تدع واحدة منهن بخصوصها ولا دخول سائر الزوجات في مفاد الآية ولا في حديث الكساء [١].



(١) الكلمة الزاهرة في العترة الطاهرة، للمؤلف، ص٢٦.

البداء

▽**س٧: البداء عقيدة يعتقد بها الشيعة ومعناه كما أفهم أنه بدا لله عكس ما كان يعلم وهذا من الكفر فما تقولون؟**

ج٧: أرجو أن نتعامل دائماً على أننا مسلمون ونفتش دائماً على الألفاظ الصالحة للاستعمال الحواري الهادىء ونبتعد عن الألفاظ الاستفزازية.

البداء في الإنسان: أن يبدو له رأي في الشيء لم يكن ذلك الرأي سابقاً، بأن يتبدل عزمه في العمل لأي شيء يريد أن يصنعه إذ يحدث عنده ما يغيّر رأيه وعلمه به فيبدو له تركه بعد أن كان يريد فعله، وذلك عن جهل بالمصالح وندامة على ما سبق منه. والبداء بهذا المعنى يستحيل على الله تعالى لأنه من الجهل والنقص وذلك محال عليه تعالى ولا تقول به الإمامية.

قال الإمام الصادق (من زعم أن الله تعالى بدا له في شيء بداء ندامة فهو عندنا كافرٌ بالله العظيم) وقال أيضاً: (من زعم أن الله بدا له في شيء ولم يعلمه أمس فأبرأ منه) [١].

---

(١) عقائد الإمامية، المظفر، ص٦٩.

غير أنه وردت روايات عن أئمتنا الأطهار توهم القول بصحة البداء بالمعنى المتقدم: (ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل ابني) المصدر نفسه.

ولذلك نسب بعض المؤلفين في الفرق الإسلامية إلى الطائفة الإمامية القول بالبداء طعناً في المذهب وطريق أهل البيت وجعل ذلك من التشنيعات على الشيعة.

والصحيح في ذلك أن نقول كما قال الله تعالى في محكم كتابه المجيد: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:٣٩].

ومعنى ذلك أنه تعالى قد يظهر شيئاً على لسان نبيه أو وليه أو في ظاهر الحال لمصلحة تقتضي ذلك الإظهار ثم يمحوه فيكون غير ما قد ظهر أولاً مع سبق علمه تعالى بذلك كما في قصة إسماعيل بن إبراهيم لما رأى أبوه أنه يذبحه فيكون معنى قول الإمام أنه ما ظهر لله سبحانه أمر في شيء، كما ظهر له في أسماعيل ولده إذا اخترمه قبله ليعلم الناس أنه ليس بإمام وقد كان ظاهر الحال أنه الإمام بعده لأنه الأكبر من ولده.

وقريب من البداء في هذا المعنى نسخ أحكام الشرائع السابقة بشريعة نبينا بل نسخ بعض الأحكام التي جاء بها نبينا.



الرجعة

▽س٨: الرجعة كذلك من معتقدات الشيعة وأن مهدي الشيعة يعيد الأموات لكي يقتصّ منهم، وأحد الذين يرجعون هو أبو بكر وعمر وعثمان فما هو الدليل على الرجعة؟

ج٨: إن الذي تذهب إليه الإمامية أخذاً بما جاء عن آل البيت أن الله تعالى يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا ـ لا الإمام المهدي ـ في صورهم التي كانوا عليها فيعز فريقاً ويذل فريقاً ويديل المحقين من المبطلين والمظلومين وذلك عند قيام مهدي آل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

ولا يرجع إلا من علت درجته في الإيمان أو من بلغ الغاية من الفساد ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت.

ومن بعده إلى النشور وما يستحقون من الثواب أو العقاب كما حكى الله تعالى في قرآنه الكريم تمني هؤلاء المرتجعين الذين لم يصلحوا بالارتجاع فنالوا مقت الله، أن يخرجوا ثالثاً لعلهم يصلحون: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١].

نعم قد جاء القرآن الكريم بوقوع الرجعة إلى الدنيا وتضافرت

الأخبار عن أهل بيت العصمة.

والإمامية بأجمعها عليه إلا قليلون منهم من تأولوا ما ورد في الرجعة بأن معناها رجوع الدولة والأمر الإلهي إلى آل البيت بظهور الإمام المنتظر من دون رجوع أعيان الأشخاص وإحياء الموتى وعلى هذا الرأي أستاذنا المحقق المرحوم السيد هاشم معروف.

والقول بالرجعة يعد عند أهل السنة من المستنكرات التي يستقبح الإعتقاد بها وكان المؤلفون منهم في رجال الحديث يعدون الاعتقاد بالرجعة من الطعون في الراوي والشناعات عليه التي تستوجب رفض روايته وطرحها ويبدو أنهم يعدونها بمنزلة الكفر والشرك بل أشنع.

فكان هذا الاعتقاد من أكبر ما تنبز به الشيعة الإمامية ويشنع عليهم بل ولا شك في أن هذا من نوع التهويلات التي تتخذها الطوائف الإسلامية ذريعة لطعن بعضها في بعض والدعاية ضده.

ولا نرى في الواقع ما يبرر هذ التهويل لأن الاعتقاد بالرجعة لا يخدش في عقيدة التوحيد ولا في عقيدة النبوة بل يؤكد صحة العقيدتين إذ الرجعة دليل القدرة البالغة لله تعالى كالبعث والنشر وهي من الأمور الخارقة للعادة التي تصلح أن تكون معجزة لنبينا محمد وآل بيته وهي عيناً معجزة إحياء الموتى التي كانت للمسيح بل أبلغ هنا لأنها بعد أن يصبح الأموات رميماً ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٨-٧٩].

وأما من طعن بالرجعة باعتبار أنها من التناسخ الباطل فلأنه لم يفرق بين معنى التناسخ وبين المعاد الجسماني.

والرجعة، من نوع المعاد الجسماني فإن معناه رجوع نفس البدن بشخصياته النفسية فكذلك الرجعة، وإذا كانت الرجعة تناسخاً فإن إحياء الموتى على يد عيسى كانت تناسخاً وإذا كانت الرجعة تناسخاً كان البعث والمعاد الجسماني تناسخاً.

وعلى كل حال فالرجعة ليست من الأصول التي يجب الاعتقاد بها والنظر فيها وإنما اعتقادنا بها كان تبعاً للآثار الصحيحة الواردة عن أهل البيت الذين نؤمن بعصمتهم من الكذب وهي من الأمور الغيبية التي أخبروا عنها ولا يمتنع [1] وقوعها ومن أنكرها يبقى مسلماً ومؤمناً أيضاً بنظرنا.



(١) عقائد الإمامية، المظفر، ص١٠٥ - ١٠٨.

التقية

▽**س٩: التقية هي النفاق بعينه لأن الشيعة يظهرون أنهم مسلمون لكن عندهم طقوس باطنية غير ظاهرة للعيان.**

ج٩: قيل للمرحوم الشيخ محمد جواد مغنية، الشيعة يقولون بالتقية، قال: نعم، ولكن لعن الله من ألجأهم إليها.

التقية ليست طقوساً باطنية كما هو شائع وإنما هي مفهوم عام يتعامل به المستضعفون منذ فجر التاريخ خوفاً من سلاطين البطش والظلم وأحياناً يتعامل بها الأسياد خوفاً من افتضاح مشروعهم التآمري على مصالح الناس وأمنهم. وكل مشاريع أمريكا العدوانية تبدأ سراً ويتظاهرون بأنهم يعملون لمصالح الأمة وهم يدسون السم بالعسل.

وقد ذكرت في محاضرة لي عن التقية أموراً كثيرة جداً عن أمثال هذه الأمور وأعود لأكرر قول المرحوم مغنية لعن الله من ألجأهم إليها.

وعقيدتنا في التقية ما روي عن صادق آل البيت في الأثر الصحيح: (التقية ديني ودين آبائي وأجدادي) و(من لا تقية له لا دين له) وكذلك هي كانت شعاراً لآل البيت دفعاً للضرر عنهم وعن أتباعهم وحقناً لدمائهم واستصلاحاً لحال المسلمين وجمعاً لكلمتهم ولماً لشعثهم وما زالت سمةً تعرف بها الإمامية دون غيرها من الطوائف والأمم وكل إنسان

إذا أحس بالخطر على نفسه أو ماله بسبب نشر معتقده أو التظاهر به لا بد أن يتكتم ويتقي في مواضع الخطر.

وهذا أمر تقتضيه فطرة العقول، ومن المعلوم أن الإمامية وأئمتهم لاقوا من ضروب المحن وصنوف الضيق على حرياتهم في جميع العهود ما لم تلاقه أية طائفة أو أمة أخرى.

فاضطروا في أكثر عهودهم إلى استعمال التقية بمكاتمة المخالفين لهم وترك مظاهرتهم وستر إعتقاداتهم وأعمالهم المختصة بهم عنهم لما كان يعقب ذلك من الضرر في الدين والدنيا ولهذا السبب امتازوا بالتقية وعرفوا بها دون سواهم وللتقية أحكام من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف مواقع خوف الضرر مذكورةٌ في أبوابها في كتب العلماء الفقهية.

وهي ليست بواجبة على كل حال بل قد يجوز أو يجب خلافها في بعض الأحوال كما إذا كان في إظهارالحق والتظاهر به نصرةً للدين وخدمةً للإسلام وجهاداً في سبيله، فإنه عند ذلك يُستهان بالأموال ولا تُعزُّ النفوس.

وقد تحرم التقية في الأعمال التي تستوجب قتل النفوس المحترمة أو رواجاً للباطل أو فساداً في الدين أو ضرراً بالغاً على المسلمين بإضلالهم أو إفشاء الظلم والجور فيهم.

وعلى كل ليس معنى التقية عند الإمامية أنها تجعل منهم جمعية سرية تهدف إلى الهدم والتخريب، كما يريد أن يصورها بعض أعدائهم غير المتورعين في إدراك الأمور على وجهها ولا يكلفون أنفسهم فهم

الرأي الصحيح عندنا، كما أنه ليس معناها إنها تجعل الدين وأحكامه سراً من الأسرار لا يجوز أن يذاع لمن لا يدين به كيف وكتب الإمامية ومؤلفاتهم فيما يخص الفقه والأحكام ومباحث الكلام والمعتقدات قد ملأت الخافقين وتجاوزت الحد الذي ينتظر من أية أمة تدين بدينها.

إن عقيدتنا في التقية قد استغلها من أراد التشنيع على الإمامية فجعلوها من جملة المطاعن فيهم وكأنهم كان لا يشفي غليلهم إلا أن تقدّم رقابهم إلى السيوف لاستئصالهم عن آخرهم في تلك العصور التي يكفي فيها أن يقال هذا رجل شيعي ليلاقي حتفه على يد أعداء آل البيت من الأمويين والعباسيين بل والعثمانيين وإذا كان طعن من أراد أن يطعن يستند إلى زعم عدم مشروعيتها من ناحية دينية فإننا نقول له:

أولًا: إننا متبعون لأئمتنا ونحن نهتدي بهداهم وهم أمرونا بها وفرضوها علينا وقت الحاجة وهي عندهم من الدين وقد سمعت قول الصادق: (ومن لا تقية له لا دين له).

ثانياً: قد ورد تشريعها في نفس القرآن الكريم ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

وقد نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر الذي التجأ إلى التظاهر خوفاً من أعداء الإسلام وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨] ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ [غافر: ٢٨] (١).

---

(١) عقائد الإمامية، ص١٠٩ ـ ١١٠.

السجود على التربة الحسينية

▽س١٠: الشيعة يسجدون على الأحجار والأخشاب ويقبّلونها وهي من أعمال الجاهلية والكفر والشرك بالله فلماذا السجود على الحجارة وترك الأرض؟

ج١٠: أعوذ بالله من الكفر والشرك، الشيعة مسلمون مؤمنون موحدون يصلّون ويصومون ويزكّون ويحجّون وهم محتاطون في دينهم أكثر من غيرهم.

والشيعة يصلّون لله ويقولون في نيّة الصلاة نويت أن أصلّي صلاة الظهر - مثلًا - قربةً إلى الله تعالى، فأي كفر وشرك بعد وضوح المطلب.

وها هم إخوانك يصلّون الجمعة والجماعات وهم قريبون، فراقب وسوف تجد الحق وما تقوّله عنهم التاريخ الأموي البغيض.

والشيعة لديهم روايات ومدارك شرعية عن القرآن والسنة والإجماع والعقل ولا يختلفون عن إخوانهم إلا في بعض التفاصيل كما يختلف مجتهد عن آخر.

وأما السجود فإنهم يسجدون لله فقط وإنما يسجدون على الأرض وما أنبتت ويتركون السجود على غير ذلك والروايات عن النبي رواها

الأطهار من أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم وإليك ما يلي:

روى رئيس المحدثين المعروف بالشيخ الصدوق (قده) في كتابه من لا يحضره الفقيه ما يلي:

قال هشام ابن الحكم لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق: أخبرني عما يجوز السجود عليه وعما لا يجوز؟ قال الإمام: السجود لا يجوز إلا على الأرض أو على ما أنبتت الأرض إلا ما أُكِلَ ولُبِسَ، فقال له: جعلت فداك ما العلة في ذلك؟ قال: لأن السجود خضوع لله عز وجل فلا ينبغي أن يكون على ما يؤكل أو يُلبس لأن أبناء الدنيا عبيد ما يأكلون ويلبسون والساجد في سجوده في عبادة الله عز وجل فلا ينبغي أن يضع جبهته في سجوده على معبود أبناء الدنيا الذين اغتروا بغرورها، والسجود على الأرض أفضل لأنه أبلغ في التواضع والخضوع لله عز وجل (١).

تأمّل يا أخي في هذه الرواية كيف تجعل المصلي بعيداً حتى عن التصورات والتخيلات التي يوسوس فيها الشيطان ليبقى الإنسان في سجوده وخضوعه أقرب إلى الله تعالى والإمام يعلل السجود على الأرض وما تنبت غير ما أكل ولَبِس لإبعاد التفكير عن معبود أبناء الدنيا فهل رأيت أحسن من هذا التوجه والتذلل والصفاء في السجود والعبادة وهل مثل هؤلاء يعبدون الحجر.

وأما قولك: يسجدون على الحجر والخشب، لأن التراب والحجر

---

(١) مَن لا يحضره الفقيه، ج١، ص١٧٤.

وجميع أنواع أحجار الأرض المقلوعة منها هي أرض، والحجر جزء من الأرض فلو كنت في فلاة والأرض كلها حصىً وتراب معاً وتريد أن تسجد أوَلَا تسجد عليها؟ وأحياناً لا يكون إلا الأحجار الصغير منها والكبير فماذا تصنع أوَلَا تسجد على الأرض التي أنت عليها؟ وأما الخشب وغصون الأشجار وأوراق الأشجار فكلها فروع ومصاديق لقوله ما نبت من الأرض ما عدا ما أكل أو لبس، ولا فرق في ذلك بين أن تسجد على خشبة كبيرة أو تقطع الخشبة إلى قطع صغيرة وتسجد عليها وبما أننا لا نسجد إلا على الأرض فعندما يكون المسجد كمساجدنا السابقة دون فرش كنا نسجد على تراب حصى المسجد، وعندما أصبح المسجد مفروشاً بالسجاد الذي هو ما يلبس لا نسجد عليه بل نأتي بقطعة من حجر أو من خشب نسجد عليها إلتزاماً بالتعاليم الصحيحة.

وللأسف أنّ البعض لا ينظر إلينا بالنظرة العلمية والموضوعية، ويرشقوننا بالتُّهم بدون روية ولو سألوا كما سألت لزالت كل الشبهات والاتّهامات.

وأما تقبيل التربة فهذا له منشأ شرعي مهم، وهو أن الحسين الذي ثار في وجه يزيد بن معاوية عليه لعنة الله والذي سال دمه في أرض كربلاء وضمخ دمه الطاهر عرصات كربلاء فقد عوّضه الله عزّ وجل كما في رواياتنا أنْ جعل الله الشفاء في تربته، واستجابة الدعاء تحت قبته، والأئمة من ذريته، وجعل الله لهذه التربة مرتبة أفضل من بقية التراب.

وروى عن الإمام الصادق بسند معتبر رواه الصدوق أيضاً قال: السجود على طين قبر الحسين ينَور إلى الأرض السابعة.

ومن هنا يأخذ المؤمنون في كربلاء من أرضها وخصوصاً من موقع المعركة والتي هي قريبة من الحائر الحسيني المبارك كمية من التراب ويحولونها إلى سجدات يسهل حملها وتوضع الجبهة عليها حين السجود بشكل أكثر سهولة وطمأنينة.

وهذا شيء جميل أن يتذكر الإنسان المؤمن معركة كربلاء ومأساويتها وأهدافها العليا ويذكر فيها الشراسة والدموية التي كانت في جيش يزيد ليظل هذا المصلي دائماً في صف الحسين ومن أتباعه ويعادي يزيد وأشباهه من أعداء الله والإسلام والإنسان والحمد لله رب العالمين.



الشورى في الإسلام

▽س١١: قال الله عزّ وجل: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] فمن أين أتت هذه البدعة عند الشيعة أن علياً قد جاء تنصيبه كخليفة من بعد النبي بينما الآية الكريمة تدل على أن أمر المسلمين شورى، وهذا تكريس للنظام الديمقراطي وهو أساس المجتمعات الحديثة الآن؟

ج١١: لا مانع لا من العقل ولا من الشرع أن يكون أمر المسلمين شورى ويكون الحاكم الشرعي منصوصاً عليه.

على أن الشورى التي تذكرها الآية تشير إلى الوضع الخارجي للأمة والدولة وأن هذه الأمة أمة عاقلة تتشاور فيما بينها لتحل مشاكلها السياسية والاجتماعية ولو كانت الشورى هي القاعدة في الثقافة الإسلامية لجيل الصحابة (رض) لكانت آثار هذه الثقافة واضحة للعيان وما بين أيدينا من كتب حديثية وتأريخية وتفسيرية تشير إلى عكس ذلك تماماً ولا تتعرض إلى شيء اسمه شورى.

ولو كانت الشورى هي المرجعية الأولى للأمة لما رأينا الانقسام الواضح يوم السقيفة كل جهة تدعو لصاحبها، وأنت تعلم أنه عندما توفي رسول الله اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليتداولوا ترشيح

وتنصيب سعد بن عبادة الخزرجي دون الالتفات إلى أحد، والأنصار هم الركن الأساس في الإسلام ولم يتحدث أحد منهم إلا أنهم أحق الناس بالأمر.

ولما علم أبو بكر وعمر ذهبا وتركا علياً وبني هاشم مشغولين بغسل رسول الله وناقشوا القوم وعندما تكلم أبو بكر أكّد على حق المهاجرين والأسبق إلى الدعوة ولم يتكلم بشيء عن الشورى وكذلك في حديث عمر مع الأنصار.

وعندما تكلم بعض الأنصار بالمناصفة قالوا منا أمير ومنكم أمير ولم يقل لهم عمر اتركوها شورى وإنما قال كلمته المشهورة: هيهات لا يجتمع سيفان في غمد.

وحصلت ملابسات وأخذ أبو بكر الخلافة وكانوا يقولون لعلي: أنت صغير وأبو بكر رجل كبير له خبرة.

وروي عن علي أنه قال: واعجباً أتكون الخلافة بالصحابة والقرابة.

وروي عنه إيضاً:

إذا كنت بالشورى ملكت أمورهم

فكيف بهذا والمشيرون غيب

وكان على الشيخين أن يتركا المسألة إلى النهاية وبعد الدفن يطرحون القاعدة الشرعية وهي الشورى كما تقول وينتخبون من تراه الشورى أهلًا لذلك، لم يتم الأمر ولم تذكر الشورى البتة.

ولو كان للشورى أساس لما كان أبو بكر يقول في أكثر أوقاته

صعوبة أقيلوني ولم يرد عليه أحد منهم غير مسؤولين عن قبول إقالته واستقالته.

ولو كانت الشورى هي القاعدة لكان أبو بكر جمع الناس وشاورهم في أواخر أيامه وفي بداية مرضه ولكنه أوصى به إلى عمر بن الخطاب بالنص.

وعندما جيء بعثمان ليكتب وصيته وهو ينازع قال أبو بكر اكتب: هذا ما أوصى به أبو بكر عبد الله بن قحافة إلى، وأُغشيَ عليه فكتب عثمان ولّيت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا، ولمّا أفاق من غشيته أخبره بأنه كتب هكذا فتحملها منه لأنه كان هواه في عمر.

فأخبرني عن الشورى أين هي ومن استعملها من هذا الجيل الذي لم يعرف عنها شيئاً؟

وما جاء بعد ذلك كله لا قيمة له لأنه جاء في عهود متأخرة.

نعم إن الخليفة الأول والثاني كانا يستعملان الشورى في قضايا الحرب والسلم والآراء والفتاوى ليس إلّا، أما في المسألة السياسية الكبرى فلم يكن للشورى أية علاقة بها.



ولاية الإمام علي (ع)

▽س١٢: لم يذكر اسم الإمام علي في آية وليس هناك نص واضح في السنة النبوية وكل ما ورد روايات تحض على حب الإمام علي كرم الله وجهه ونحن نحبه ونحب آل بيته ونتمنى أن يكون هناك نص واضح على توليته فما هو دليلكم؟

ج١٢: لا يشترط فيمن يجب ولايته أن يذكر اسمه في القرآن بل يكفي في ذلك الدعوة إلى توليته كما حدث ذلك مع الإمام علي في أكثر من مناسبة ولعل أشهرها واقعة غدير خم.

ولا يوجد أوضح من نصوص الولاية والمقصود بها الإمرة والإمامة السياسية وفي كل عهد لملك أو أمير يكون له ولي عهد، على هذا جرت سنة السياسة عبر الأعصار والأدهار وربما يكون ولده أو صهره أو أخاه أو أحد محبيه والتاريخ أمامنا وهو مشاع للجميع فتصفح صفحاته فسوف تجد فيه العجب العجاب والعالم أمامك فانظر في ممالكه وإماراته فهل ترى غير ذلك؟!

ولم يشذ النبي عن السنّة التاريخية لهؤلاء العقلاء الذين كانوا يحافظون على ممالكهم ودولهم.

ومنذ الدعوة الأولى وبزوغ فجرها النيّر دعا النبي بني هاشم بعدما طلب منه ربه بقوله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

وقال: يا علي اصنع لنا طعاماً، فذبح علي وجاء باللبن وقدم الطعام للحاضرين وكانوا أكثر من أربعين بقليل فأخذ النبي الطعام ودعا وشرب من اللبن فأكلوا جميعاً وشربوا من اللبن وقبل أن يتكلم قاموا وانصرفوا.

ثم عاد رسول الله وأمر علياً فجمعهم على مائدة أخرى وصنع لهم مثل ما صنع أولًا وتوكل أبو طالب بأخيه أبي لهب أن يمسكه إذا تكلم بشيء حتى يفضي النبي بما عنده ثم تكلم النبي وأنذر وبشر وقال: إنما بعثت إلى العالمين فأيكم يؤازرني على أن يكون أخي ووصي وخليفتي على الناس من بعدي فوجم الجميع إلا علي الذي تكلم وحده وقال: أنا يا رسول الله، ثم كرّر الرسول ثلاث مرات وفي كل مرة يسكت الجميع ويتكلم علي وحده ويقول: أنا يا رسول الله.

عندها قال النبي لعلي أنت أخي ووصي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي، فنهض القوم وهم يقولون لأبي طالب ليهنك اليوم أن دخلت في دين ابن أخيك فقد جعل ابنك أميراً عليك.

قال الشيخ المفيد وهذه منقبة جليلة لم يشركه فيها أحد من الصحابة الأكارم [1].

وفضائل علي وسبقه للإسلام وفضله على غيره أشهر من أن يذكر

(١) أعيان الشيعة، م٢، ص٢٧.

ونحن فقط نذكّر الأمّة والقرّاء وإلا فهي مشهورة متواترة لا شك فيها ولا شبهة تعتريها.

ومنها مبيته على الفراش ليلة الغار وفداؤه النبي بنفسه ولباسه ثوب الحضرمي ومخادعته للمؤتمرين حتى تمكن النبي من الخلاص من كيدهم ومؤامرتهم التي خرجوا فيها موحدين بقرار تصفية النبي محمد جسداً ليناموا مطمئنين فحماه الله بعلي حتى وصل إلى الغار ومنه إلى المدينة سالماً معافاً المصدر نفسه..

ومنها حديث المنزلة:

عندما عزم النبي على غزوة تبوك عرف المنافقون أن سفرته طويلة فتآمروا على الوثوب في غيبته والسيطرة الأمنية والسياسية على المدينة فترك علياً والياً عليها لأن وجوده يمنع كيد المشركين والمنافقين وبوجود علي وصولته تفشل مؤامراتهم فروّجوا بين الناس إنما أمّره على النساء والصبيان وكان عدد المنافقين أكثر من ألف رجل وتذاكر الناس هذا النص فغضب ولبس لامة حربه وحمل سلاحه ولحق برسول الله على خمسة أميال ولما وصل إلى رسول الله سأله باستغراب ما الذي جاء بك قال: يقولون أنك استخلفتني على النساء والأطفال.

فأفهمه النبي خبر الوحي وقال له: لا يحل لي أن اذهب إلّا وأنت حاكم على المدينة ثم توجه بهذا الوسام العظيم.

(يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)، ولا ريب في صحة هذا الحديث وشموخه ووضوحه حتى أن معاوية بن أبي سفيان العدو اللدود لعلي، رواه كما يقول صاحب المراجعات،

وبهذا يكون النبي قد منحه الولاية العامة على الأمة وما توليته الصغرى إلا مقدمة للولاية العظمى والإمامة الكبرى حيث منحه كل ما منح موسى أخاه هارون ما عدا النبوة وصار هارون حاكماً على بني إسرائيل، ولولا أنّ النبي خاتم الأنبياء لكان علي أيضاً نبياً المراجعات، ص١٥٧، مطبعة حسام..

وللحصول على مناقب علي ونصوص الولاية يراجع كتاب المراجعات والغدير وغيرها من الكتب الهامة الطافحة بهذه الأحاديث الواضحة.

وأمّا حديث الغدير وقصة الغدير التي ملأت الدنيا فنلخصها بما يلي:

أجمع رسول الله على الحج في السنة العاشرة للهجرة وأذّن بالناس وأعلمهم فقدم المدينة خلقٌ كثير يأتمون به في حجته التي يقال لها حجة الوداع وحجة التمام وحجة الكمال وحجة البلاغ ولم يحج غيرها منذ هاجر حتى توفاه الله سبحانه وفي تلك السنة أصيب الناس بمرض الجدري فامتنع خلق كثير من الحج بسبب المرض.

ومع ذلك حجّ معه عدد كبير قدّر بتسعين ألفاً وقيل بأكثر من ذلك حتى قيل بماءة ألف وأربع وعشرين ألفاً وهذا عدد من خرج معه أما الذين خرجوا وحدهم وحجّوا في نفس السنة مع النبي فهم أكثر من ذلك قطعاً.

ولما قضى مناسكه وانصرف راجعاً إلى المدينة ومعه الجموع التي ذكرنا وصل إلى غدير خم يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة نزل

عليه جبرئيل بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وأمره أن يقيم علياً علماً للناس ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة فأمر رسول الله أن يرد من تقدم منهم ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان ونهى عن سمرات خمس متقاربات دوحات عظام أن لا ينزل تحتهن أحد حتى إذا أخذ القوم منازلهم فَقُمَّ ما تحتهن حتى إذا نودي للصلاة عمد إليهن فصلى بالناس تحتهن وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض ردائه على رأسه وبعضه تحت قدمه من شدة الرمضاء وظُلّل لرسول الله بثوب على شجرة سمرة من الشمس فلما انصرف ﷺ من صلاته قام خطيباً وسط القوم على أقتاب الإبل وأسمع الحجيج رافعاً صوته فقال: الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا لا هادي لمن ضل ولا مضل لمن هدى وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله أما بعد.

أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمّر نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله وإنّي أوشك أن أدعى فأجيب وأني مسؤول وأنتم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنك قد بلّغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً.

قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق وناره حق وأن الموت حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، قالوا: بلى، نشهد بذلك.

قال: اللهم اشهد، ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون؟

قالوا: نعم.

قال: فإني فرطكم على الحوض وأنتم واردون عليَّ الحوض وأن عرضه ما بين صنعاء وبصرى وفيه أقداح عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين فنادى منادٍ: وما الثقلان يا رسول الله ؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا ولا تضلوا والآخر الأصغر عترتي وأن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض فسألت ذلك ربي فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا.

ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رُؤى بياض إبطهما وعرفه القوم أجمعون فقال: أيها الناس من أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا: الله ورسوله أعلم قال: إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه.

يقولها ثلاث مرات . وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة أربع مرات . ثم قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وابغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه كيفما دار.

ثم قال: ألا فليبلّغ الشاهد الغائب.

ثم لم يتفرقوا حتى نزل الأمين جبرئيل بقوله تعالى: د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع فقال رسول الله: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام

النعمة ورضى الرب برسالتي والولاية لعلي من بعدي.

ثم طفق القوم يهنؤون أمير المؤمنين صلوات الله عليه وممن هنأه في مقدمة الصحابة الشيخان أبو بكر وعمر كل يقول: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

وقال ابن عباس وجبت والله في أعناق القوم.

وقال حسان بن ثابت إئذن لي يا رسول الله أن أقول في علي أبياتاً تسمعهن فقال رسول الله: قل: على بركة الله، فقام حسان فقال: يا معشر مشيخة قريش اتبعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية ثم قال:

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم واكرم بالنبي مناديا

يقول فمن مولاكمُ ووليكم أجابوا ولم يبدوا هناك التعاميا

الهك مولانا وأنت ولينا ولا تجدَنْ منّا لك اليوم عاصيا

فقال له قم يا علي فإنني رضيتك من بعدي إماماً وهادياً

هناك دعا اللهم وال وليه وكن للذي عادى علياً معاديا

هذه خلاصة القصة الشهيرة التي نصّب بها النبي علياً على الأمة من بعده ولا يوجد في العالم كله واقعة غير هذه الواقعة التي كلما ذكرت ذكّرت الناس بأحقية علي في الولاية الكبرى التي عقدها له النبي في هذا الموقع في الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشرة للهجرة يوم الخميس.

وقد روى هذه الواقعة مائة وعشرة من الصحابة الأجلاء (رض)، أولهم أبو هريرة الدوسي المتوفى سنة ٥٧هـ وآخرهم أبو مرازم يعلي بن

مرة بن وهب الثقفي.

كما رواه مجموعة أكبر من التابعين وانتشر ذكره في الآفاق فصار على كل لسان والشعراء من القرن الأول ومنذ تلك اللحظة الحاسمة كان لهم دور في تدوين النص وصياغة الخطاب وفي الشعر كما ذكرنا عن حسان بن ثابت حتى لا يوجد قرن إلا وفيه عدد من مشاهير الشعراء يصوغ هذه الكلمات الدرية بغرر أشعارهم راجع [١].

ولا يستطيع أحد أن يماحك مع وضوح النص وبيان البيعة ومبايعة الصحابة وأمهات المؤمنين وبعد إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب إلا إذا كان منكراً للتاريخ أو غير قارىء للكتاب العزيز أو معاند لأهل الحق.

فهل ترى أيها الأخ الكريم تخرصاً وادعاء أم هو وضوح رواية وواقعة وصدوع آية وملك يهبط من السماء لإعلان الولاية؟

وأحيل القراء وكل من يريد التفصيل في هذه الواقعة إلى كتاب البحاثة الكبير والمرجع العظيم العلامة الأميني صاحب كتاب الغدير فإنه شفاء لكل داء.



---

(١) الغدير، ج١، ص٩.

البكاء على الإمام الحسين (ع)

▽س١٣: لماذا البكاء والنوح على الحسين وهذه المآتم التي يقوم بها الشيعة ليست من السنّة النبوية بشيء لأنه لم يرد عن النبي أو في الكتاب أنه أقيم لاستشهاد أي من الصحابة مأتم وروي عن النبي قوله الحزن إلى ثلاث، وقد مات الحسين منذ ألف وأربعمائة سنة؟

ج١٣: أولًا: أراد الإسلام تصغير المصائب وتهوينها على الناس عند موت الأعزاء ولم يفرض الحداد بمدة طويلة إلا على الزوجة حيث فرض عليها الحداد فترة مائة وثلاثين يوماً وأما باقي الناس فالتعزية بعد الثلاث تجديد للمصيبة لأنه لو كانت الأمة كلها مشغولة بالمصائب فسوف تنحصر في الموت فقط ولوازم الموت وبهذا تخسر الأمة كثيراً من نشاط الحياة.

ثانياً: إن إقامة مأتم كبير أو صغير راجع إلى جوامع عرفية حيث لا مانع من شرع أو عقل، والأصل في مثل هذه الأمور الإباحة. أصل الأصول كما يقال. وقد يرد على الأمة حاجة لإقامة مأتم لأنه يشد ركن الإسلام في هذا الاجتماع أو يغض من ركن الأعداء فيكون مباحاً وحلالًا وربما ينتقل بحسب الخصوصية إلى الرجحان أيضاً ومن هنا تندرج مثل هذه المناسبات تحت أصل الإباحة وثانية تنتقل إلى الرجحان ومنها أيضاً

مناسبة عيد مولد النبي وباقي عظماء الأمة فالأصل له الإباحة أولًا والرجحان ثانياً.

وإذا كنتم لا تعترضون على احتفالات المولد النبوي الشريف فلا يمكنكم أن تعترضوا على إقامة مأتم للنبي وبما أن الإمام الحسين من رسول الله كما ورد في الأثر الصحيح والمشهور (حسين مني وأنا من حسين) فالاحتفال بمولد الحسين أو إقامة مأتم له سواء، فإذا صح في الأول صح في الثاني بلا فرق بينهما.

ثالثاً: لقد اعتاد العالم والدول على تعظيم الشهداء والعظماء عندهم ولا دليل على هذه الاحتفالات إلا الإباحة والأعراف التي تشبه القوانين الشرعية التي لم يمنعها الإسلام.

وقوله الحزن إلى ثلاث لا يمنع إقامة مأتم يظهر فضل الميت وذكره وتاريخه الجهادي والاستشهادي وإنما قوله محصور في خصوص هذا الجانب ولا يتعداه إلى غيره.

وأنت تعيش في بلد كله مناسبات من مولد الرسول إلى ميلاد المسيح إلى يوم الشهداء إلى يوم الاستقلال إلى يوم الجيش إلى يوم الإنتصار على العدو الإسرائيلي وكلها أيام خوالد ترفع مستوى الأمة وتذكر بتاريخها ولا يوجد أي مانع، بل الحاجة إلى جرّ التاريخ إلى الواقع هو المطلوب، لتدريس هذه الأخلاق الجهادية وبث روح الشجاعة والفداء والتضيحة في جسم الأمة وروحها الفقيرة والمتعطشة إلى مثل هذا الدم الحسيني الهدار لإرواء عطشها، ولو أنكم قرأتم التاريخ لوجدتم أحسن الأثر وأصدق الخبر في وصايا الأنبياء والأولياء وما هي إلا السنن

الشرعية التي تنتقل إلى الأجيال جيلًا بعد جيل.

ولا نريد أن نسرد لك من رثاء الجاهليين كرثاء الخنساء على أخيها صخر ولا رثاء سالم المهلل على أخيه كليب ولا رثاء جليلة على أخيها جساس بن مرة وزوجها كليب بن ربيعة ولا أريد أن أعيدك إلى أجدادك الأقحاح الذين تقرأ شعرهم وتلتذ، وتقرأ مكارمهم وتتركها وهي أمثولة الفخر ولكن تعال إلى القرآن الأصل في كل تشريع لنقرأ معاً بكاء يعقوب ويوسف وهما من الأنبياء.

ولقد بكى يعقوب على يوسف حتى ابيضت عيناه من الحزن والبكاء.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٤-٨٦].

فهل أنّب الله نبيه يعقوب أو أن القرآن صاغ لغة الدمع بألفاظ يبكي من يسمع القصة بعد آلاف السنين وهذا تبني واضح لحزن يوسف ويعقوب وبكائهما.

وجاء في السيرة النبوية أنّه لما توفي إبراهيم ابن رسول الله وأخبروا النبي بوفاته بكى وترقرق دمعه على خديه، قال الصحابة: أوأنت يا رسول الله، قال: إن القلب ليحزن والعين لتدمع وإنا بك يا إبراهيم لمحزنون.

فأكد النبي شرعية الدمعة على مثل إبراهيم وعلى الولد والأخ

والأب والزوج ولكن المهم أن يبقى الإنسان في الوسط لا يقول إلا ما يرضي الرب.

لقد بكى النبي على حمزة.

روى ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة حمزة عن جابر بن عبد الله الأنصاري لما رأى النبي حمزة قتيلًا بكى فلما رأى ما مُثِّل به شهق ومنع أخته صفية أن تنظر إليه.

وقال في السيرة الحلبية إن النبي ندب عمه بقوله وهو يبكي يا عم رسول الله يا أسد الله ورسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات.

ولو أردنا لحشدنا لك بكاء الزهراء، وبكاء السجّاد عليه السلام على أبيه، وبكاء أئمة الهدى والعلماء عبر العصور، ولكان هذا البحث فوق المعتاد وهذا كافٍ والحمد لله.



الشيعة وكُتب السنّة

▽س١٤: هناك شيء غريب وهو أنّ الشيعة يخطئون الكتب الحديثية الصحيحة مثل صحيح البخاري ومسلم الذين أجمع علماء الإسلام على صحة أحاديثهما وأنها حقاً صادرة عن النبي محمد.

ج١٤: من يدرس علم الحديث عند الشيعة لا يرى فرقاً بينه وبين دراسة علم الحديث عند السنة فالنقد والتجريح من مميزات علماء الحديث، والعدالة والوثاقة شرط أكيد في الراوي.

وشروط صحة الحديث وقبوله والموازين الموضوعة أكثرها متساوية وربما نجد قسوة في النقد عند السنة أكثر مما هو عند الشيعة.

ويعتبر علماء الشيعة أن الشيخ البخاري ضبط أحاديثه ضبطاً عالياً وتبعه على ذلك مسلم وبقية الصحاح.

وقد قسموا الحديث إلى صحيح وحسن وموثق وضعيف وجعلوا لكل واحد علامة تدل عليه وربما نرى السبق لعلماء السنة في تدوين هذه الشروط والضوابط حيث الحاجة إلى ذلك كانت أكثر منها عند الشيعة.

كما أن تدوين علم الأصول الذي بدأ به الشافعي كانت الحاجة إليه عند السنة أكثر لأن أول من تكلم في علم الأصول الإمام

الصادق عليه السلام لكن منهج الشيعة الإمامية يبقى محفوظاً ما دام الإمام الذي يعتبر قوله وفعله سنّة موجوداً.

وأما بالنسبة لأخواننا حيث ابتعدوا عن عالم النص كان لا بد لهم من وضع شروط وضوابط وعندما يدرس علماء الشيعة كتب الحديث عند السنة وخصوصاً صحيح البخاري نجدهم يعظمونه ويعطونه حقه من التقدير خلافاً لما يقوله السائل وبين يدي كتاب لأستاذي الكبير السيد هاشم معروف الحسني من جبل عامل وهو (دراسات في الكافي للشيخ الكليني والصحيح للشيخ البخاري.

فاستمع إلى هذا العالم الشيعي الألمعي ما يقول في الصفحة السابعة: (أقول ذلك وبين يدي كتابان من كتب الحديث وهما الصحيح للبخاري والكافي للكليني، ولست مبالغاً إذا قلت بأنهما من أوثق الكتب في موضوع الحديث عند السنة والشيعة وأغناها بالآثار الإسلامية التي تناولت جميع الشؤون الإسلامية وأمدت الفكر بالإنتاج والإبداع في مختلف المواضيع ذلك لأن ما جاء به الإسلام من القوانين والأنظمة والأخلاق والآداب وغير ذلك من المناهج التربوية والاجتماعية، وضع أصول هذه القواعد القرآن أولًا والسنة ثانياً وستبقى السنة إلى جانب القرآن مصدراً غنياً بتلك الثروة التي تمد الإسلام بالخلود والبقاء حتى يرث الله الأرض ومن عليها).

بعد هذا هل وجدت الشيعة يكذّبون الصحيح أو يعظمونه؟ وهذا جهبذ من جهابذة الحديث والفقه والأصول، نعم وهو يناقش أخذ عليه بعض الأمور منها:

انه لا يروي عن جعفر بن محمد الصادق الذي ينتسب الشيعة إليه وهو أستاذ الأئمة الأربعة كما هو مشهور ولا عن ولده الأطهار الذرية الطيبة لرسول الله وهم أوثق أهل الأرض.

ومع ذلك روى عن الأشرار والفجار بنظره طبعاً كمروان بن الحكم وعمران بن حطان الذي مدح عبد الرحمن بن ملجم قاتل الخليفة الرابع عند السنة غدراً وهو صهر الرسول وابن عمه والمسلم الأول والمجاهد الأكبر عند جميع المسلمين فكيف يليق لعالم مثل البخاري أن يروي عن قاتل علي وهل من يمدح قاتل علي يبقى عنده دين وثقة وفي الصحيح عشرات من هذا النوع.

ولو أن الشيخ البخاري وهو الناقد البطل استعمل سلاح النقد بحق هؤلاء الذين روى عنهم لما روى عنهم قطعاً، ولكن لظروف سياسية أو لضغط معنوي وسياسي سجل لهم ما لا يجوز وكان عليه كناقد موضوعي رفضهم وجعلهم في مزابل التاريخ وهذه مؤاخذات علمية موضوعية بعيدة عن العاطفة والعصبية.

وكذلك عندما يروي عن الجميع يأتي بغرباله ومصهره فيغربل وفق شروط وضعها، لكنه عندما يروي عن الصحابة يطوي البساط ولا يجوز عليهم أي نقد أو تجريح فيجعلهم فوق القانون على اختلاف طبقاتهم وأعمارهم وأن ما صدر عنهم من الغلط والعمد والشذوذ والإنحراف لا يسلبهم صفة العدالة لأن صحبتهم للنبي ولو مرة واحدة في لحظة من أعمارهم تكفّر عنهم ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر مهما بلغ شأنها وتعاظم خطرها، وهذا موضع الفرق بيننا وبين مشايخ الحديث، ولولا

هذا الغلو في الصحابة وإسدال الستار على جميع أخطائهم وفق خطة سياسية لما كان للبخاري ومسلم وغيرهما إلا التقدير والتفخيم.

ونحن مع ذلك ومع هذا النقد الموضوعي نحترم الكتب والشروط والنقد اللاذع الذي يوجهه إلى المحدثين.

ولسنا الآن بحاجة أكثر من هذا وقد ثبت لديك أننا نحترم أحاديث النبي كما نحترم من يحملها ومن يحافظ عليها لأنها الجزء الثاني المكمل للإسلام وللقانون الإسلامي العام.



خلافة أبي بكر

▽س١٥: **لقد ورد عن عمر بن إبراهيم بسنده إلى عبد الله بن عباس أن رسول الله قال لعمه العباس يا عم إن الله جعل أبا بكر خليفتي على دين الله فاسمعوا له وأطيعوا.**

فلماذا ترفضون خلافة أبي بكر وتقدّمون غيره؟

ج١٥: أولًا إن أبا بكر لم يدّعِ يوماً أن النبي نصّ على خلافته ولا ادّعى له أحد من جماعة السقيفة إطلاقاً ولو كان لبان مع أنه كانت هناك محاولات فلم يستطع أحد أن يحصل على ادعاء من هذا القبيل على أن أبا بكر لا يأبه للنص ولا يريده، وهو العالم بالنص على علي عليه السلام في أكثر من موقع منها يوم الدار ومنها تبوك ومنها خيبر ومنها حجة الوداع، وأقوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في علي عليه السلام وإمامته متواترة، أما سبك الحديث فهو واضح من أنه أبعد القول عن كلام النبوة، وأما ظرفه فهو واضح أنه متأخر، والواضع له غير جيد السبك وأنه لا يقرأ الحديث ولا التاريخ، ولو فرض أننا تنازلنا وقلنا أنّ له علاقة بذلك فالعباس هاجر في السنة الثامنة للهجرة مع فتح مكة ولحق بأهل الفتح في حرّ الظهران كما يقول المؤرخون.

وكان النبي قد سجّل لعلي مجموعة مناقب مولوية تؤهله إلى الخلافة الكبرى والإمامة العظمى فكيف يسجّل الخلافة والإمامة لعلي ثم ينقلها إلى أبي بكر وفي حديث سرّي لا يعلم به أحد، فهل أن النبي يبيع ولايات ويقبض عليها أموالًا كما روي في زمن الخلافة العباسية أن ولاية خراسان بيعت لعشرين والياً وكل وال كان قد دفع مليون درهم لوزير الدولة.

سَتْرُ هذا الحديث أفضل بكثير من عرضه المفضوح الذي لا ينفع السائل ولا ينفع أبا بكر.

الحديث الثاني الذي رواه الصحابي أبو هريرة بقول ما يلي:

إن جبرئيل نزل على رسول الله يقول يا محمد العلي الأعلى يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك سل أبا بكر هل عني راض فإني عنه راض.

وبهذا يكون مقام أبو بكر هو الأول لأن الله يسأل عن رضاه وبالتالي فيستحق الخلافة.

لو صح السؤال لما كان كل من يرضى عنه الله صالحاً للخلافة لأن للخلافة شروطاً غير رضاه تعالى وغير رضا عبده له فكثير من الأولياء الذين يدخلون الجنة لزهدهم غير مؤهلين للخلافة فالربط بينهما على نحو اللابدية غير موجود لا في الذهن ولا في الخارج أيضاً.

ولو أن السائل قرأ تاريخ الإمام الجواد عليه السلام وردّه على يحيى بن أكثم شيخ القضاة يومها لاستراح من هذا السؤال الذي أجاب عنه الإمام الجواد وهو ابن عشر سنوات في زمن المأمون العباسي عندما كان

حاضراً بإعلان زفاف ابنة المأمون أم الفضل من الإمام محمد الجواد وفي نهاية الجلسة التي أفحم فيها قاضي الزمان من هذا الإمام الصغير في عمره، الكبير في علمه. فلطف بالإمام وسأله جعلت فداك يا ابن رسول الله ما تقول في الخبر الذي روي أن جبرئيل نزل على رسول الله وقال: يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك سل أبا بكر هل هو عني راض فإني عنه راض.

فقال الإمام الجواد: لست بمنكر فضل أبي بكر، ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله في حجة الوداع قد كثرت عليَّ الكذابة وستكثر بعدي فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله وسنتي فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا فيه وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به.

وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦] فالله عزّ وجل خفي عليه رضا أبي بكر من سخطه حتى يسأل من مكنون سره؟ هذا مستحيل في العقول.

وهناك أحاديث مشابهة أوردها القاضي القمي وضحض حجتها الإمام العظيم وبيَّن كذبها [(١)].

---

(١) راجع الإرشاد للشيخ المفيد والبحار للعلامة المجلسي الإرشاد، ص٣٠٤، والبحار، ج٥٠، ص٨٠.

الشيعة والصحابة

▽س١٦: لماذا يلعن الشيعة أصحاب رسول الله وقد جاء فيهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، ومنهم الصحابي أبو هريرة الذي يتهمه الشيعة بالكذب؟

ج١٦: نحن أمام مشكلة كبرى وقف التاريخ أمامها ملجماً واختفت الحقيقة فيها وراء ركام من الادعاءات الكاذبة والأقوال الفارغة فالتوت الطرق الموصلة إليها كما أثيرت حولها زوابع من المشاكل والملابسات ولم نعالج القضية بدراسة علمية ليبدو جوهر المسألة واضحاً وتظهر الحقيقة كما هي.

وعلى أية حال فقد ولع كثير من المؤلفين والمؤرخين بذمّ الشيعة ونسبت أشياء إليهم بدون تثبت فهم يكتبون بدون قيد أو شرط ويتقوّلون بدون وازع ديني أو حاجز وجداني، وقد اتسعت صدور الشيعة لتحمل أقوالهم بل تقوّلاتهم وترفّعوا عن المقابلة بالمثل وإن أهم تلك التهم هي مسألة الصحابة وتكفيرهم والعياذ بالله مما أوجب أن يحكم عليهم بالكفر والخروج عن الإسلام كما يأتي بيانه.

قال السيد عبد الحسين شرف الدين: إن من وقف على رأينا في

الصحابة علم أن رأينا أوسط الآراء إذ لم نفرط فيه تفريط الغلاة الذين كفروهم جميعاً ولا أفرطنا إفراط الجمهور الذين وثقوهم جميعاً.

فإن الكاملية ومن كان في الغلو على شاكلتهم قالوا بكفر الصحابة كافةً.

وقال أهل السنة بعدالة كل فرد ممن سمع النبي أو رآه من المسلمين مطلقاً، واحتجوا بحديث كل من دب أو درج منهم أجمعين.

أما نحن فإن الصحبة بمجردها وإن كانت عندنا فضيلة لكنها بما هي من حيث هي غير عاصمة فالصحابة كغيرهم من الرجال فيهم العدول وهم عظماؤهم وعلماؤهم، وفيهم البغاة وفيهم أهل الجرائم من المنافقين وفيهم مجهول الحال.

فنحن نحتج بعدولهم ونتولاهم في الدنيا والآخرة، أما البغاة على الوصي وأخي النبي وسائر أهل الجرائم كابن هند وابن النابغة وابن الزرقاء وابن عقبة وابن أرطأة وأمثالهم فلا كرامة لهم ولا وزن لحديثهم.

ومجهول الحال نتوقف فيه حتى يتبين أمره في جملة الحديث من الصحابة والكتاب والسنة، بنينا على هذا الرأي كما هو مفصل في مظانه من أصول الفقه.

لكن الجمهور بالغوا في تقديس كل من يسمونه صحابياً حتى خرجوا عن الاعتدال فاحتجوا بالغثّ والثمين واقتدوا بكل مسلم سمع النبي أو رآه اقتداء أعمى على من يخالفهم في هذا الغلو وخرجوا في الإنكار على كل حد من الحدود.

أشد إنكارهم علينا حين يروننا نرد حديث كثيرٍ من الصحابة مصرحين بجرحهم أو بكونهم مجهولي الحال عملاً بالواجب الشرعي في تمحيص الحقائق الدينية والبحث عن الصحيح في الآثار النبوية.

بهذا ظنوا بنا الظنون فاتهمونا بما اتهمونا رجماً بالغيب وتهافتاً على الجهل ولو ثابت إليهم عقولهم ورجعوا إلى قواعدهم لعلموا أن أصالة العدالة في الصحابة مما لا دليل عليه ولو تدبروا القرآن لوجدوه مشحوناً بذكر المنافقين منهم وحسبك منه سورة (الأحزاب) و(التوبة ١١٠).

على أي حال فإنَّ فروض المسألة ثلاثة:

الأول: الصحابة كلهم عدول أجمعين وما صدر منهم يحتمل لهم وهم مجتهدون، وهذا رأي الجمهور من السنة.

الثاني: إن الصحابة كغيرهم من الرجال وفيهم العدول وفيهم الفساق فهم يوزنون بأعمالهم فالمحسن يجازى لإحسانه والمسيء يؤخذ بإساءته، وهذا رأي الشيعة.

الثالث: إن جميع الصحابة كفّار والعياذ بالله، وهذا رأي الخارجين عن الإسلام لا يقوله إلا كافر وليس من الإسلام في شيء.

ثلاثة فروض في المسألة.

وهنا لا بد أن نقف ملياً لتفحص هذه الأقوال.

أما القول الثالث فباطل بالإجماع ولم يقل به إلا إعداء الإسلام أو الدخلاء فيه.

أما القول الأول وهو أشبه بادعاء العصمة للصحابة أو سقوط

التكاليف عنهم وهذا شيء لا يقره الإسلام ولا تشمله تعاليمه.

فالقول الوسط وهو الذي تذهب إليه الشيعة من اعتبار منازل الصحابة حسب الأعمال ودرجة الإيمان.

إن الصحبة شاملة لكل من صحب النبي أو رآه أو سمعه فهي تشمل المؤمن والمنافق والعادل والفاسق والبر والفاجر كما يدل عليه قول النبي في غزوة تبوك عندما أخبره جبرئيل بما قاله المنافقون: إنَّ محمداً يخبر بأخبار السماء ولا يعلم الطريق إلى الماء، فشكا ذلك إلى سعد بن عبادة فقال له سعد: إن شئت ضربت أعناقهم، قال: (لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ولكن نحسن صحبتهم ما أقاموا معنا).

فالصحبة إذن لم تكن بمجردها عاصمة تلبس صاحبها إبراد العدالة وإنما تختلف منازلهم وتتفاوت درجاتهم بالأعمال.

ولنا في كتاب الله وأحاديث رسوله كفاية عن التمحّل في الاستدلال على ما نقوله والآثار شاهدة على ما نذهب إليه من شمول الصحبة وأن فيهم العدول من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ورسخت أقدامهم في العقيدة وجرى الإيمان في عروقهم وأخلصوا لله فكانوا بأعلى درجة من الكمال وقد وصفهم القرآن في آياته منها: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ

وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقد أمر الله باتباعهم والاقتداء بهم فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] هؤلاء هم أصحاب النبي محمد، ومَن يستطع أن يقول فيهم ما لا يرضي الله تعالى ويخالف قوله؟

شمول الصحبة ومميزاتها:

الصحبة تشمل مَن مردوا على النفاق، والذين ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لرسول الله الأمور وأضمروا الغدر حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون.

وفيهم من يؤذي رسول الله وقد وصفهم الله تعالى بقوله:

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

المخادعون والذين يظهرون الإيمان وقد وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٨-٩] ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧].

والحاصل أن الصحبة منزلة عظيمة وفضيلة جليلة وهي بعمومها تشمل من امتحن الله قلبه وأخلص لله وجاهد وناصر ومن رقي درجة الكمال النفساني فكان مثالاً في الأخلاق وهم يخشون الله ويمتثلون أوامره كما وصفهم تعالى بقوله:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤] لم تشمل مَن لم يدخل الإيمان قلبه ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١] ليت شعري ما هذه العصمة أكانت في حياة النبي أم بعده؟! فإن كانت في حياته فما أكثر الشواهد على نفي ذلك.

أخرج البيهقي بسنده عن أبي عبد الله الأشعري عن أبي الدرداء قلت: يا رسول الله بلغني أنك تقول ليرتدنَّ أقوامٌ بعد إيمانهم؟

قال: أجل ولستَ مِنهم (١).

ومن الغريب أن البعض علّل ذلك بأن المراد من هؤلاء المرتدّين

---

(١) تاريخ ابن كثير، ج٦، ص١٧٠.

هم الذين قتلوا عثمان، وأنّ أبا الدرداء مات قبل قتل عثمان، وبهذا التوجيه يتوجه الطعن على أكثر الصحابة لأنّهم اشتركوا في قتل عثمان والمتخلّفون عن ذلك عدد لا يتجاوز أصابع الكف، وبمقتضى هذا التأويل يدخل في قائمة الحساب عدد كثير هو أضعاف ما في قائمة الشيعة من المؤاخذات.

وإليك بعض الشواهد على نفي العدالة في زمن النبي:

كان رجل يكتب للنبي وقد قرأ البقرة وآل عمران، فكان رسول الله، يملي عليه غفوراً رحيماً فيكتب عليماً حكيماً، فيقول له النبي: أكتب كذا وكذا، فيقول: أكتب كيف شئت، ويملي عليه عليماً حكيماً فيكتب سميعاً بصيراً، وقال: أنا أعلمكم بمحمد.

فمات ذلك الرجل فقال النبي: الأرض لا تقبله فوجدوه منبوذاً، فقال أبو طلحة: ما شأن هذا الرجل؟

قالوا: دفناه مراراً فلم تقبله الأرض.

قال ابن كثير وهذا على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وهذا الوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي سمّاه رسول الله فاسقاً حينما أرسله النبي على صدقات بني المصطلق فعاد وأخبر النبي أنهم خرجوا لقتاله فأراد النبي أن يجهز جيشاً فأنزل الله فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ﴾ [الحجرات: ١-٦].

وهذا الجد بن قيس أحد بني سلمة نزلت فيه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].

وهذا مسجد ضرار وما أدراك ما مسجد ضرار قد بناه قومٌ وسموا بالصحبة يتظاهرون فيه بأداء الصلاة في أوقات لا يسعهم الوصول إلى النبي ولكن فضح الله سرهم وأبان أمرهم فهم منافقون وأنزل فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧] وكانوا اثني عشر رجلًا من المنافقين منهم خذام بن خالد بن عبيد ومن داره أخرج المسجد، ومعتب بن قشير وأبو حبيبة بن أبي الأزعر وغيرهم (١).

وهذا ثعلبة بن حاطب بن عمر بن أمية ممن شهد بدراً وأحداً فقد منع زكاة ماله فأنزل الله فيه: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٦] (٢).

---

(١) سيرة ابن هشام، ج٤، ص٣٤١.

(٢) راجع الإصابة، ج١، ص٢٠١.

ثعلبة هذا من الصحابة ملازماً لأداء الصلاة في أوقاتها وكان فقيراً معدماً، فقال لرسول الله: ادع الله لي أن يرزقني مالًا، فقال: ويحك يا ثعلبة قليل تشكره خير من كثير لا تطيقه، فقال ثعلبة: والذي بعثك في الحق نبياً لئن دعوت الله فرزقني مالًا لأعطين كل ذي حق حقه، قال رسول الله: اللهم ارزق ثعلبة مالًا.

فزاد وفْرة وكثر مالُه وامتنع عن أداء زكاته فأعقبه نفاقاً إلى يوم يلقاه بما أخلف وعده وكان من الكاذبين.

وهذا ذو الثدية كان في عداد الصحابة متنسكاً عابداً، وكان يعجبهم تعبّده واجتهاده فأمر النبي بقتله وكان يقول: إنه لرجل في وجهه لسفعةٌ من الشيطان.

وأرسل أبا بكر بقتله فلما رآه يصلي رجع وأرسل عمراً ليقتله فلم يقتله، ثم أرسل علياً فلم يدركه وهو الذي ترأس الخوارج وقتلهُ علي يوم النهروان.

هؤلاء قوم وسموا بالصحبة كانوا يجتمعون في بيت سويلم يثبطون الناس عن رسول الله فأمر النبي مَن أحرق عليهم بيت سويلم.

وهذا قزمان بن الحرث شهد أحداً وقاتل مع النبي قتالًا شديداً فقال أصحاب النبي: ما أجزأ عنّا أحد كما أجزأ عنّا قزمان، فقال النبي: أما إنه من أهل النار.

ولما أصابته الجراحة وسقط فقيل له هنيئاً لك الجنة يا أبا الغيدات قال: جنة من حرمل والله ما قاتلنا إلا على أحسابنا.

وهذا الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس طريد رسول الله ولعينه وهو والد مروان بن الحكم وعم عثمان.

حدث الفاكهة بسند عن الزهري وعطاء الخراساني أن أصحاب محمد دخلوا عليه وهو يلعن الحكم فقالوا: يا رسول الله ما باله؟

فقال: دخلَ عليَّ شق الجدار وأنا مع زوجتي فلانة.

ومرّ النبي بالحكم فجعل الحكم يغمز النبي بإصبعه فالتفت فرآه،

فقال: اللهم اجعله وزغاً فزحف مكانه [١].

وكان يسمى خيط الباطل وقال فيه: ويل لأمتي ممّا في صلب هذا.

ومن حديث عائشة أنها قالت لمروان بن الحكم: أشهد أن رسول الله لعن أباك وأنت في صلبه.

وهذه أم المؤمنين عائشة لم يثبت لها الإيمان كما حدّث كثير بن مرة عنها أن النبي قال: أطعمينا يا عائشة قالت: ما عندنا شيء، فقال أبو بكر: إن المرأة المؤمنة لا تحلف أنه ليس عندها شيء وهو عندها، فقال النبي: ما يدريك أنها مؤمنة؟

إن المرأة المؤمنة في النساء كالغراب الأبقع في الغربان علل الحديث [٢].

وهذا إنكار من النبي على القطع بالعدالة والإيمان.

---

(١) الإصابة، ج١، ص٣٤٦.

(٢) ابن أبي حاتم، ج١، ص٤٣٩.

ولو كان كما يدعي لقال مؤيداً لقول أبي بكر: نعم إنها مؤمنة وزوجة نبيٍّ ومن أهل الجنة، ولكنه لم يرضَ بذلك الاعتقاد وإنما الأمور منوطة بالعمل وحسن الخاتمة ويدل على ذلك أنه عاد كعباً في مرضه فقالت أم كعب: هنيئاً لك الجنة يا كعب، فقال: من هذه المتألية على الله تعالى، قال كعب: هي أمي يا رسول الله، فقال: وما يدريك يا أم كعب؟ لعل كعباً قال ما لا يعنيه ومنع ما لا يُغنيه [1].

وأخرج النسائي في صحيحه عن ابن عباس في نزول قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ [الحجر: ٢٤]، أنه قال: كانت امرأة تصلي عند رسول الله حسناء من أحسن الناس، وكان بعض القوم يتقدم لئلا يراها ويستأخر حتى يكون في الصف المؤخر فإذا ركع نظر من تحت إبطه ليراها فأنزل فيهم ذلك.

وأخرج ابن حنبل من طريق ابن عباس وابن عمر أنهما سمعا النبي على منبره يقول: لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكتبن من الغافلين [2].

وأخرج أحمد في مسنده: عن عبد الله بن مسعود عن النبي أنه قال لأصحابه: أنا فرطكم على الحوض ولأنازعنَّ أقواماً ثم لأغلبن عليهم فأقول: يا رب أصحابي فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك [3].

---

(١) تاريخ بغداد، ج٤، ص٢٧٣.
(٢) مسند أحمد، ج٥، ص٤٠.
(٣) مسند أحمد، ج٦، ص٥١.

أخرج ابن مسعود أيضاً بلفظ: وإني ممسك بحجورك إن تهافتوا في النار كتهافت الفراش.

وأخرج الترمذي عن النبي: ويؤخذ من أصحابي برجال ذات اليمين وذات الشمال أقول يا رب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فإنهم لن يزالوا يرتدّون على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح إن تعذبهم فإنهم عبادك (١).

وأخرج مسلم من طريق عائشة بلفظ: إني على الحوض أنتظر من يرد عليَّ منكم فوالله لينقطعن رجال فلأقولن أي ربي... الحديث.

وأخرج مثله عن طريق أم سلمة.

لعل الاستمرار بذكر الشواهد وما أكثرها يوجب الإطالة، والإطالة توجب الملالة، لذا نكتفي بالقليل من البيان حول الشواهد على نفي العدالة المزعومة لكل من دب ودرج، إنّ الصحبة بما هي فضيلة جليلة لكنها غير عاصمة، فإن فيهم العدول والأولياء والصديقون، وهم علماء الأمة وحملة الحديث، وفيهم مجهول الحال، وفيهم المنافقون وأهل الجرائم، كما أخبر تعالى بقوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

وفيهم من كان يؤذي رسول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١] فإلى الله نبرأ من هؤلاء وممن ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً

---

(١) صحيح الترمذي، ص٦٧.

فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [المجادلة: ١٦].

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢-١٤٣].

والكتاب العزيز يعلن بصراحة عن وجود طائفة تستمع إلى رسول الله ولكن طبع الله على قلوبهم لأنهم اتبعوا الهوى فقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦].

كما أعلن تعالى عن طائفة منهم وهم الذين في قلوبهم مرض والذين يفسدون في الأرض ويقطعون أرحامهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ١٦-٢٤].

أجل أين ذهب أولئك بعد رسول الله وقد جرعوه الغصص في

حياته ودحرجوا الدباب فهل انقلبت حالهم بعد موته من النفاق إلى الإيمان ومن الفساد إلى الصلاح، ومن الشك إلى اليقين، فأصبحوا في عداد ذوي العدالة من الصحابة الذين طبعت نفوسهم على التقى والورع وعفة النفس والعلم والحلم والتضحية في سبيل الله وهم الذين وصفهم الله تعالى بقوله:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

لا نرتاب في ديننا ولا نخالف قول الحق في تمييز منازل الصحابة ودرجات الصادقين منهم، ونوالي من اتصف بتلك الصفات التي ذكرها الله ورسوله، لا نأتمن أهل الخيانة لله ورسوله ففي ذلك جناية على الدين وخيانةً لأمانة الإسلام.

ولم أرَ ضرورة بعد ذلك للتوسعة أكثر مما ذكرنا، ومن أراد التوسعة في هذا الموضوع عليه مراجعة كتاب (عدالة الصحابة) للمحامي أحمد حسين يعقوب، وكتابي (الفصول المهمة) و(المراجعات) للسيد شرف الدين، و(إحقاق الحق وشرحه) للمرجع المرعشي، و(دلائل الصدق) للمرحوم الشيخ حسن المظفر، وكتاب (الغدير) للعلّامة الأميني.

ولا داعي لذكر الصحابي أبي هريرة أيضاً حيث يكفي السائل ما ذكرناه، ومن أراد التفصيل فليراجع كتاب أبو هريرة للسيد شرف الدين وللأستاذ أبو ريه العالم المصري.

ويمكنه أن يعرف أبا هريرة وعدالته من طرق ثلاثة:

الأولى: طريق عمر بن الخطاب الذي شتمه وضربه وأخذ منه

الأموال التي جباها في البحرين وادعاها لنفسه، وقال له: استعملتك وأنت بلا نعلين فمن أين جاءت لك هذه الأموال؟

فقال له: هدايا وعطايا ثم تناتجت وتناسلت وتنامت... إلخ، فقال: لا رجّعتْ بك أميمة لرعية الحمر، هلّا جلست في بيتك وأتتك الهدايا.

ثم عزله ومنعه عن الحديث لكذبه.

وأما أبو حنيفة إمام المذهب فقد ردّ أحاديثه ولم يقبل منها حديثاً واحداً.

وأما الإمام علي وأبناؤه عليهم السلام فقد رفضوا عدالته وأحاديثه بالمطلق فكيف يكون مع معاوية وفي صف البغاة ثم يقبل عند علي وإذا رفضه هؤلاء الأعلام فكيف بنا أن ندافع عنه ونتبنى أحاديثه؟! لأننا إذا تابعناه سوف نترك هؤلاء الأعاظم حتماً، وتركهم غير لائق وجائز ديناً وشرعاً ولياقة على الأقل.



معاوية بن أبي سفيان

▽س١٧: ما سبب لعن معاوية بن أبي سفيان فهو الذي قام بفتوحات إسلامية أفادت المسلمين وهو من كتبة الوحي وقد نقل هو وابنه يزيد الأحاديث عن النبي لذلك لا يمكن لعن الصحابة فقد سخّر الله يزيد لكي يقتل الحسين فقتل الحسين هو إرادة الله فلماذا لعن يزيد؟

ج١٧: ليس السب والسباب من أدبيات الشيعة، بل في أدبياتهم الكلام الحسن والجميل، وقد ورد عن النبي: سباب المؤمن فسوق وقتله كفر، وربما قال: وقتاله كفر وأكل لحمه معصية وحرمة ماله كحرمة دمه.

وفي حرب صفين سمع الإمام علي قوماً من جماعته يتسابون مع أهل الشام يعني أهل الشام بدؤوا بالسباب فرد العراقيون عليهم بالمثل فنهاهم الإمام بقوله: (إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر وقلتم مكان سبكم إياهم اللهم احقن دماءنا ودماءهم) [١].

وبالطبع فإن القرآن نهانا عن السباب حتى مع الكفار عبّاد الصنم،

---

(١) نهج البلاغة، ص٢٠٦.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨].

ونقل عن الإمام علي عليه السلام أنه حذّر أصحابه بأن معاوية سوف يأخذهم ويأمرهم بسبّه والبراءة منه فقال لهم: (ستدعون إلى سبي والبراءة مني، أما السبّ فسبوني فإنه لكم نجاة ولي زكاة، وأما البراءة فلا تتبرؤوا مني) [١].

هكذا عرفنا ثقافتنا وأخذنا من إمامنا، أما معاوية وجماعته فقد كانوا يسبّون علياً أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وهي التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها والحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة.

وظلوا يسبّونهم على المنابر قبل الصلاة وبعدها طيلة حكم معاوية ومروان وعبد الملك وأولاد عبد الملك حتى جاء دور عمر بن عبد العزيز الذي رأى أن دولة بني أمية ستزول وأن المصلحة لنا وللأمة كلها منع السباب، وبعث بمرسوم الخلافة إلى جميع البلاد وأئمة المساجد بترك سبّ علي وآل البيت بعد أن صار سنّة، وقيل: إن خطيب فلسطين عندما ترك السبّ التزاماً بقول عمر ولم يخبر الناس بذلك ناداه الناس السنّة السنّة.

أرأيت كيف أصبح سبّ الوصي وبضعة النبي وسيدي شباب أهل الجنة سنّةً سنّها معاوية.

(١) شرح النهج، ج٤، ص٥٤.

ومع كل ما حدث من التزام في زمن عمر بن عبد العزيز بقي الكثيرون على سنّة معاوية وتناقلت الأسفار بعد ذلك الشيء الكبير والكثير وما سكتنا عنه أدهى وأعظم.

فهل يكون الشيعة هم الذين بدؤوا بالسب أم معاوية هو الذي بدأ وعلّم الناس هذه الأخلاقيات؟ وإذا أردنا أن نجاري رأي العلماء الذين يقولون بعدالة الصحابة وحرمة الخوض فيهم وسبّهم، أليس حرمة القرابة أعظم من حرمة الصحابة؟ وهم أشد صحبة لرسول الله ﷺ من غيرهم، ومع ذلك رضي الناس بسبّ القرابة لميلهم - أي الناس - إلى بني أمية.

ومنعوا سب الصحابة لا للصحابة لأن الصحابة الأطهار والأبرار لا يسبهم أحد ولكنه من أجل معاوية وأضرابهم والمستحقين العقاب الأليم في الدنيا والآخر.

وإذا ما أردنا مجاراة الجمهور الذين قالوا: مَن سبّ صحابياً فقد كفر، فإنّ معاوية سبّ علياً وأهل البيت جميعاً طيلة أربعين سنة فيكون معاوية من أكفر الناس، وإذا سبّه بعد ذلك عرض من الناس لا يكون قد سب صحابياً وإنما يكون سبّ كافراً حسب القاعدة، وسبّ الكافر إذا كان فيه مصلحة يكون جائزاً وربما كان واجباً في بعض الحالات.

ولا بدّ لنا من عرض بعض أخلاقيات معاوية وما جاء فيه عن النبي محمد لنرى مناقبه وشمائل أخلاقه.

مناقب معاوية:

سوف لا أذكّركم بتاريخ عشيرته وإن كانت كلها فساداً وفواحش في الجاهلية، ولا أذكر لكم أباه ومحاربته لرسول الله محمد وتأليبه المشركين واليهود وقيادة الأحزاب لاستئصال الإسلام وتدمير المدينة على مَن فيها.

وسوف لا أذكر أمه هند وتقطيعها لحوم الشهداء في مبضعها التي جاءت به خصيصاً لأكل لحوم الشهداء، وتقطيعها لكبد سيد الشهداء حمزة، سوف أترك ذلك لكم لأعْبر إلى مناقب معاوية وضررها على الإسلام وأسميها مناقب خوفاً أن يقال بأني أسب الصحابة فأتحول إلى كافر أستحق بعدها النار وإليك ما يلي موثّقاً:

١ . الحائر في كتاب صفين طبع مصر ص٢٤٧:

عن علي بن الأقمر عن عبد الله بن عمر مرجع الأمويين قال خرج رسول الله فنظر إلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق فلما نظر إليهم رسول الله قال: اللهم العن القائد والسائق والراكب.

قلنا أنت سمعت من رسول الله؟

قال: نعم فصمّتا أذناي كما عميتا عيناي.

٢ . وفي تاريخ الطبري ج١١، ص٣٥٧:

قد رأى أبا سفيان مقبلًا على حمار ومعاوية يقود به ويزيد ابنه

يسوقه قال: لعن الله القائد والراكب والسائق.

وإلى هذا الحديث أشار الإمام السبط فيما يخاطب به معاوية بقوله: أنشدك الله يا معاوية أتذكر يوم جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده فرأكم رسول الله فقال: اللهم العن الراكب والقائد والسائق.

وأشار إلى ذلك محمد بن أبي بكر في كتاب كتبه إلى معاوية بقوله: وأنت اللعين ابن اللعين.

وسيوافيك الكتاب.

٣ . كتاب صفين، ص٢٤٤، طبعة مصر:

عن البراء بن عازب: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية فقال رسول الله: اللهم العن التابع والمتبوع، اللهم عليك بالأقيعس، فقال البراء لأبيه: مَن الأقيعس؟

قال: معاوية.

٤ . في تاريخ الطبري، ج١١، ص٣٥٧:

إن رسول الله قال: يطلع عليكم من هذا الفج رجل من أمتي يحشر على غير ملتي.

فطلع معاوية.

٥ . كتاب العتب الجميل ص٨٦:

عن رسول الله: إن معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها

ينادي يا حنّان يا منّان.

فيأتيه الجواب: ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

٦ . الطبري، ج١١، ص٣٥٧:

عن أبي ذر الغفاري قال لمعاوية: سمعت رسول الله يقول وقد مررت به: اللهم العنه ولا تشبعه إلا بالتراب.

٧ . وفي نفس المصدر ص٣١٢:

عن أبي ذر الغفاري رحمه الله قال لمعاوية: سمعت رسول الله يقول: إست معاوية في النار، فضحك معاوية وأمر بحبسه.

٨ . أخرج نصر بن مزاحم في كتاب صفين والخطيب وغيرهما عن طريق أبي سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ : إذا رأيتم معاوية على منبري يخطب فاقتلوه وفي لفظ أبي سعيد فلم نفعل ولم نفلح.

وقد ذكر العلامة الأميني مناقب معاوية في الجزء العاشر من كتاب الغدير وذكر فيه من المثالب ما لو وضعت على جبل شاهق لخرّ من علوه وأكثر من حشد روايات شربه للخمر وأكله للربا واستلحاقه ولد الزنا بالنسب مع أن النبي قال: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

وعليك مراجعة هذا الكتاب فإنه وضع النقاط على الحروف والحروف على السطور وسوف تجد مناقب ومناقب حيث يفحّ نتنها وصنينها.

ويكفي ابن هند أنه خارج على إمام زمانه الإمام المعصوم والعادل بلا منازع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومَن خرج على إمام زمانه وجب قتله.

ومعاوية من الفئة الباغية بل رأسها والتي قتلت عمّار بن ياسر، وقد صدع رسول الله بذلك في مرات عديدة: (يا عمّار تقتلك الفئة الباغية).

وبايع لولده يزيد وهو معروف بفسقه وفجوره قسراً وقهراً ولقد أنكر على معاوية في فعلته الشنيعة هذه جموع من الصحابة فلم يرتدع بل أصرّ وهي إحدى الموبقات الأربع التي قالها الحسن البصري في حق معاوية.

وفي تاريخ ابن عساكر ص٤١٢، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٣١ قال الحسن البصري وهو مرجع الدولة الأموية: أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه إلا واحدة منهن لكانت موبقة، الأولى: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة، واستخلافه ولده يزيد بعده سكيراً خميراً، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير.

وادعاءه زياداً بأنه أخوه من أبي سفيان بشهادة أبو مريم الخمار وقد قال رسول الله الولد للفراش وللعاهر الحجر وقد ولد زياد على فراش عبيد، وكانوا يقولون له زياد بن عبيد.

قاتل الإمام علي وخرج عليه وهو إمام زمانه ولما رفع المصاحف عمر بن العاص وحدثت الفتنة وخان أبو موسى الأشعري وغدر عمر بن العاص عاد معاوية يدير كيفية اغتيال علي بن أبي طالب وتوصل إلى

حبْكِ قصة قتله عن طريق الخوارج وشارك معاوية في قتل علي مجموعة من المنافقين وعلى رأسهم الأشعث بن قيس.

ثم ولي الحسن فحاربه وهو ابن رسول الله وسيد شباب أهل الجنة وأخيراً تمّ الصلح بينهما فغدر معاوية ونكث فلم يف بالشرط لأن الشرط إذا مات معاوية فالبيعة للحسن وإن لم يكن الحسن فلأخيه الحسين ولكن معاوية كان هواه فوق كل المعاهدات ليثبت العرش الأموي لولده يزيد ثم سم الإمام الحسن بالإتفاق مع زوجته جعدة بنت الأشعث وصفَّى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد عندما عرف بأنه يرشح نفسه للخلافة أو يرشحه البعض حتى عبّد الطريق ولم يبق في ذلك الزمن إلا من يزين لمعاوية هذه الموبقة المهلكة.

ولو جئنا لتاريخ معاوية العملي والسلوكي لوجدناه مخالفاً للسنة مجيباً للبدعة قاتلاً للنفس المحرمة مشيعاً للفاحشة محرماً ما أحل الله محللاً ما حرمه الله، ويكفيه سوء منقلب أنه فرض على الأمة يزيد الذي أباد العترة الطاهرة في سنته الأولى وقتل ألف وسبعماية من بقايا الصحابة الأكارم وعشرة آلاف من الموالي في السنة الثانية وجرى الدم في مسجد رسول الله الذي قُتل فيه المصلّون كما يجري الميزاب وقتل الأطفال والرضع واغتصب الجيش الأموي الذي كان تحت إمرته أكثر من ألف فتاة من بنات الصحابة وفي السنة الثالثة دمَّر الكعبة وبعث عليها عيناً طاغية فنصب المنجنيق على جبل أبي قيس وبدأ يدك الكعبة على الطائفين والراكعين والساجدين.

وبعد ذلك يأتي من يقول أنه فتح وخدم الإسلام، إنه لأمر

عجيب!!.

ويزيد هذا الذي لعنته ملائكة الأرض والسماء والجن والإنس والأنبياء والأولياء كيف يُسأل لماذا يلعن؟!

وهل هناك مذبحة أكبر من المذبحة التي قتل فيها الحسين عليه السلام وأهل بيته؟ وهل هناك أكثر شناعةً وإيذاء لرسول الله من هذه المذبحة المروعة؟!

وهل يخطر ببالك مذهب يجيز مثل هذه المذابح وحتى من قالوا إنّ الحسين قتل بسيف جده لم يتحدثوا بهذه اللغة.

وهذا مذهب الجبرية البعيد عن العقل الذي استخدمه بنو أمية لتمرير مذابحهم وجرائمهم حيث أعلنوه أمام كل فاحشة كبرى من هذا النوع.

وقالوا لا دخل لنا، نحن أدوات بيد الله.

وهل أراد الله أن يقتل الحسين بهذه الوحشية ويداس صدره وتكسر أضلاعه بحوافر الخيول ويقول لنا بعد ذلك هذه شريعتي وإرادتي.

إعزف أخي السائل عن هذا المغزل الأموي والعادات الجاهلية وعد معي إلى التاريخ ليثبت لك وضوح الجريمة بكل مشاهدها وشهودها وتداعياتها الإنسانية والمأساوية وعندها نعرف أين نضع يزيد ومعاوية وهند وأبا سفيان والشجرة الملعونة في القرآن ولا بد من تذكير القارىء الكريم بالشاعر المسيحي القاضي بولس سلامة القائل في وصف يزيد:

ضاقت الأرض من شرور يزيد فهو بحرٌ مزمجرٌ يتعالى

ملأ السهل والتلال فساداً ويكاد الخضم يعلو الجبال

كاد لولا مشيئة الله يطغى ويداني عرش الإله تعالى

وقال:

يا إلهي لقد لعنتُ يزيداً قبل أن تحمل النساء يزيداً



توسّل الشيعة بأئمتهم

▽س١٨: لماذا يتوسل الشيعة بأئمتهم وهم بشر لا يقدمون ولا يؤخرون ولماذا لا يتوسلون بالله مباشرة.

والقرآن يقول: بأنّ الله أقرب إلينا من حبل الوريد، ويقول تعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]؟

ج١٨: ورد ذكر الوسيلة في القرآن الكريم مرتين:

الأولى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

الثانية: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

والوسيلة في الآيتين بمعنى واحد والمؤمن يدعو ربه ويقوم بين يديه وسيلة لقول الدعاء وربما تكون الوسيلة صدقة من الصدقات أو صلوات أو نذر أو إخلاصاً وتحولاً في توجّه، وربما تجعل وسيلة بين يديك حب النبي وآل بيته وأصحابه الأكارم والأولياء والأنبياء وهم وسائل طبيعية وعقلية وعرفية ولا مانع من التوسط والشفاعة والتوسل للوصول إلى الهدف المطلوب الذي يتوخاه الإنسان المؤمن من خلال

هذه الوسيلة.

ومن الآيات القرآنية التي تؤيد ذلك، قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] ولا يوجد أوضح من هذه الآية في بيان كيفية توسّل العباد إذا أساؤوا وعصوا.

الأمر الأول: الاستغفار ولوم النفس الأمارة وإعلان التوبة.

والثاني: التوسل برسول الله والطلب منه أن يستغفر لهم.

والجواب والنتيجة أن الإنسان المؤمن إذا تاب واستغفر له الرسول سوف يجد الله غفوراً رحيماً.

وعلّمنا القرآن أيضاً حيث ذكّرنا ما اقترفه أبناء يعقوب من ذنب في محاولة قتل يوسف وإلقاءه في الجبّ ثم التزوير والكذب وادعاء أن الذئب أكله وجاؤوا على قميصه بدم كذب وأخيراً وبعد دورة زمنية تمّ افتضاح عملية التزوير والمؤامرة على يوسف واعترف أبناء يعقوب بالذنب الكبير وطلبوا من أبيهم الاستغفار، ووعدهم واستغفر لهم وقبل الله بذلك توبتهم.

والقرآن مليء بمثل هذه الأساليب التي تُفتح فيها أبواب السماء بوجه التائبين.

وكما يجوز أن تتوسل بالنبي في حياته يجوز التوسل به في مماته فلو أن إنساناً ارتكب ذنباً وأسرف على نفسه ثم ندم وتاب وذهب إلى قبر الرسول الأكرم لكان هذا وسيلة صحيحة لقبول عمله.

وجاء في كتاب السمهودي وهو من علماء أهل السنة والرواية منقولة عن عمر بن الخطاب أن آدم إبان خطيئته علّمه الله أن يتوسّل بالنبي حتى ينتهي من مأساته.

يقول آدم: (ربِّ إني أسألك بحقّ محمد لمّا غفر لي).

وجاء رجل إلى النبي ﷺ يطلب منه أن يدعو له بشفاء مريضه فأمره النبي ﷺ بتلاوة هذا الدعاء: (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي لتقض لي اللهم شفّعه فيَّ) [(١)].

ثم يذكر أحاديث كثيرة أن الصحابة (رض) كانوا يتوسلون بالنبي في حياته وبعد وفاته وكانوا إذا قحطوا يتوسلون برسول الله منذ صغره في أيام الجاهلية وكانوا يستسقون فيسقيهم الله بحضور النبي وهو شاب صغير حتى قال أبو طالب قصيدته الشهيرة في مدح الرسول ومنها هذا البيت:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

واستمر الصحابة في ديدنهم هذا وكان النبيّ ﷺ يستسقي لهم ويتوسلون به إلى الخير وبعد النبي كانوا يتوسلون بعمّه العباس وبسبطيه الحسن والحسين وهو شيء شائع ويكاد يكون من المسلّمات التي لا نقاش فيها، ثم يقول السمهودي: أنهم ـ أي الصحابة ـ كانوا يتوجهون إلى قبر النبي ويدعون الله أن يقضي حوائجهم وكانت تقضى مباشرة أو بعد

---

(١) وفاء الوفاء، السمهودي، ج٣ ص١٣٧١؛ الأمثل، ج٣، ص٤٦١.

ساعات قليلة.

وكان الشافعي يتوسل بأهل بيت النبي ويقول:

آل النبي ذريعتي وهمُ إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غداً بيد اليمين صحيفتي

وذكر أيضاً أن الشافعي عندما يكون في بغداد يتوسل إلى الله تعالى بأبي حنيفة وكان يزور قبر أبي حنيفة ويدعو الله ويتوسل بصاحب القبر.

والشيعة يتوسلون بالنبي وأهل بيته الأطهار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً لأنهم أسهموا إسهاماً كبيراً في تربية نفوسهم وأخلصوا إلى ربهم فأصبحوا عباداً مكرمين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

وهم أحياء عند ربهم يُرزقون لأنهم شهداء ومن هنا نتوسل بهم إلى الله لعلمنا بكرامتهم ووجاهتهم تبعاً لجدهم النبي وأمهم الزهراء وأبيهم الولي والوصي وكانت الأمّة كلها على دينهم حتى جاء اتباع ابن تيمية وجماعة محمد بن عبد الوهاب الذين وقفوا على ظواهر الأمور ولم يسبروا غور هذا التاريخ ويعرفوا حياة السلف الصالح وكان لهم رأي مخالف.

وعلى كل حال فنحن عندما نذهب إلى مراقد الأئمة ندعو الله عزّ وجل ونصلي لله ونتوسل ببركات ووجاهات هذه الأنفس الزاكية أن يقضي حوائجنا ويحل مشاكلنا والله عز وجل يستجيب المضطرين ويقبل شفاعة المعصومين ويقضي حوائج السائلين.

ولو أن الوقت والمجال يسع لأكثرت من ذكر نتائج هذه الزيارات والتوسلات وما حققت من حالات عصيت على الطبيب وفرَّج الله عن أهلها.

هذا خلاصة موجزة في هذا السبيل والله الموفق وهو نعم المولى ونعم الوكيل.



فضائل الإمام علي (ع)

▽س١٩: هناك ادعاء أن علي بن أبي طالب أفضل من الأنبياء ما عدا النبي محمد فهل عليّ يصل إلى هذه المرتبة، والأنبياء لهم مرتبة عظيمة؟

ج١٩: الدخول في باب المفاضلة مع الأصحاب والأنبياء كان له وقته لأن الجهات الحاكمة أطبقت الأبواب على فضائل علي وأهل البيت فكان على الطرف المظلوم وجماعته الدخول إلى قلوب الأمة عن طريق الإعلام الفردي وعن الوسائل المتاحة أمامهم يومها.

وأما بعد أن انقشع الضباب وأصبح الكتاب بل المكتبات في متناول أيدي الشباب في كل مكان واليوم على الأنترنت تستطيع أن تأخذ كل شيء وتقرأ وحدك من أي مكتبة عالمية، فلا داعي أمام هذا الإنفتاح لفتح هذا الباب وإثارة مواقف لا تحتاجها الأمة، وطرحها لا ترفع الفاضل ولا تقزم المفضول خصوصاً إذا كان الفاضل هو علي الذي يقبل الناس جميعاً أن يكونوا بخدمته كما كان هو في خدمة رسول الله.

لكن مع ذلك حتى لا تتهمنا بالهرب من الجواب سوف ألخّص لك الجواب بثلاثة محاور:

الأول: عالم الأنوار.

الثاني: عالم الحياة.

الثالث: عالم الشهادة والمستقبل.

أما الأول: فقد روى العلّامة المجلسي في البحار عن أنس بن مالك قال: بينما رسول الله صلى صلاة الفجر ثم استوى في محرابه كالبدر في تمامه، قلنا: يا رسول الله إن رأيت أن تفسر لنا هذه الآية: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

فقال رسول الله: أما النبيون فأنا، وأما الصديقون فعلي بن أبي طالب، وأما الشهداء فعمي حمزة، وأما الصالحون فابنتي فاطمة وولداها الحسن والحسين، فنهض العباس من زاوية المسجد إلى أن صار بين يديه وقال: يا رسول الله ألسنا أنا وأنت وعلي وفاطمة والحسن والحسين من ينبوع واحد؟ فقال له: وما وراء ذلك يا عم؟

قال: لأنك ذكرت علياً ولم تذكرني وشرّفته ولم تشرّفني.

قال رسول الله: أما قولك: أنا وأنت وعلي وفاطمة والحسن والحسين من ينبوع واحد فصدقت، ولكن خلقنا الله حيث لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا جنة ولا نار، وكنّا نسبحه حيث لا تسبيح ونقدسه حيث لا تقديس فلما أراد الله بدأ الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش فنور العرش من نوري ونوري من نور الله وأنا أفضل من العرش، ثم فتق نور علي بن أبي طالب فخلق منه الملائكة فنور الملائكة من نور علي ونور ابن أبي طالب من نور الله فنور علي بن أبي طالب أفضل من

نور الملائكة، وفتق نور ابنتي فاطمة فخلق منه السموات والأرض فنور السموات والأرض من نور فاطمة ونور فاطمة من نور الله وفاطمة أفضل من السموات والأرض، ثم فتق نور الحسن فخلق منه الشمس والقمر، فنور الشمس والقمر من نور الحسن، ونور الحسن من نور الله، فنور الحسن أفضل من نور الشمس والقمر، ثم فتق نور الحسين، فخلق منه الجنة والحور والعين، فنور الجنة والحور العين من نور الحسين، ونور الحسين من نور الله، فالحسين أفضل من الجنة والحور العين، ثم إنَّ الله خلق الظلمة بالقدرة فأرسلها في سحائب البصر.

فقالت الملائكة: سبوح قدوس ربنا مذ عرفنا هذه الأشباح ما رأينا سوءً فبحرمتهم إلا ما كشفت عنّا ما نزل، فهنالك خلق الله تعالى قناديل الرحمة وعلّقها على سرادق العرش فقالت إلهنا لمن هذه الفضيلة وهذه الأنوار؟

فقال تعالى: إن هذه أنوار أَمتي فاطمة الزهراء بنت محمد فلذلك سميت أَمتي الزهراء لأن السموات والأرضين بنورها زهرت وهي ابنة نبي وزوجة وصي وحجتي على خلقي أشهدكم يا ملائكتي إني جعلت ثواب تقديسكم وتسبيحكم لهذه المرأة وشيعتها إلى يوم القيامة.

روى العلامة السيد عبد الله شبر في كتابه الأنوار اللامعة عن الإمام الرضا عن آبائه قال: قال رسول الله:

(أنا سيد ولد آدم أنا سيد من خلق الله عز وجل، وأنا خير من جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وحملة العرش وجميع الملائكة المقربين وأنبياء الله المرسلين، وأنا صاحب الشفاعة العظمى والحوض الشريف،

وأنا وعلي أبوا هذه الأمة مَنْ عرفنا فقد عرف الله ومن أنكرنا فقد أنكر الله، ومِنْ عليٍ سبطا نبي، سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين، ومن ولد الحسين أئمة تسعة طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي وتاسعهم قائمهم ومهديهم وأن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا..) (١).

أما في الولادة والحياة فإن علياً له موقع لم يحصل لأحد من قبل وهذا خيرة الله تعالى حيث شاء الله أن يولد في وسط الكعبة.

ولادته أشهر من أن تعرف وقد نظمها عبد الباقي المعمري البغدادي بمطلع قصيدته العصماء:

أنت العليّ الذي فوق العلى رُفعَ ... ببطن مكة وسط البيت إذ وُضعَ

وعندما جاء نصارى نجران إلى رسول الله وعرض الإسلام عليهم فتمنعوا فدعاهم إلى المباهلة، وذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩-٦١].

وفي اليوم التالي لم يأت النبي إلا بعلي وفاطمة والحسن والحسين في قصة طويلة فثبت أن النساء فاطمة والأبناء الحسنان والأنفس علي

---

(١) راجع بحار الأنوار، ج٣٨، ص١٨.

وهذا يعني أنه أصل واحد فهم نفس رسول الله وبضعة رسول وابن رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين نقلاً عن كتاب إشراقات كربلائية، للمؤلف..

وبما أن محمداً أفضل الأنبياء والمرسلين فيكون علي كذلك وكذلك فاطمة التي هي بضعة منه وكذلك الحسنان.

وقد ظهر لك في الحديث السابق بأنه أفضل من الملائكة والأنبياء وجميع من خلق الله من المخلوقات الكريمة فكذلك أهل بيته.

وأما على مستوى الدور فدور الأئمة أكبر من دور الأنبياء بكثير وخذ مثلاً واحد فقط وهو الحسين الذي استطاع من خلال ثورة اجتماعية سياسية عسكرية متواضعة أن يصد كل جيوش الجاهلية القديمة ويعيد الناس إلى الإسلام المحمدي، ومن هنا قال النبي: (حسين مني وأنا من حسين)، أي لولا الحسين لباد دين جده ولولا هذا الدم المراق على تراب كربلاء لوئِد الإسلام في مهده، فدور الحسين بإحياء الدين لا يقاس به أحد من الأنبياء على الإطلاق خصوصاً وأنه في الخلق والجاه والدور تالي رسول الله وشريكه في عالم الأنوار والمناقب ومحيي دينه بعد وفاته.

ومعلوم لدى جميع فرق المسلمين أن الإمام المهدي سيأتي في آخر الزمان ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، فهل هناك دور أعظم من أنّ الأديان جميعاً تنحصر في الدين الإسلامي وينزل عيسى بن مريم فيصلي خلف الإمام المهدي (عجّل الله تعالى فرجه) في بيت المقدس ويقدّمه الإمام لأنه نبي عزيز على الله، فيقول

عيسى عليه السلام المحراب والمنبر لكم يا ابن رسول الله، وينادي عيسى المسيحيين جميعاً بتأييد الإمام المهدي واعتناق الدين الإسلامي ويدخل الناس جميعاً في دين الله ويظهر الله دينه على الدين كله، فهل هناك دور أعظم من هذا الدور؟

وحديث المهدي متواتر عند الجميع فأيّ نبيّ أو وليّ يكون له مثل هذا الدور العظيم؟

فلا عجب إن قلنا بالأفضلية على جميع الأمم والأنبياء لكبير خطرهم وعظيم دورهم من عالم الأنوار حتى عالم الحياة والشهادة.



الشيعة والمذاهب الأربعة

▽س٢٠: مذهب الشيعة وهو المذهب الجعفري الوحيد المخالف لمذاهب أهل السنة والجماعة وقد أجمع علماء السنّة على أن المذاهب أربعة فقط وهي الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي فمن أين أتى المذهب الجعفري؟

ج٢٠: عجباً لهذا السؤال؟

وكيف تسأل عن أستاذ أئمة المذاهب الذي إنحنى جميع علماء العصر بما فيهم الأئمة الأربعة أبو حنيفة ومحمد بن إدريس الشافعي ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل، ولو راجعت بداية شرح نهج البلاغة للعلامة عبد الحميد ابن أبي الحديد المعتزلي لأراحك، ولما سألت هذا السؤال الذي يعرفه أقل قارىء للتاريخ الإسلامي.

ويعرف بأن الإمام الصادق وآباؤه من قبل هم أساس الدين وعماد اليقين وأن أئمة المذاهب الأربعة استقوا كثيراً من علومهم أيام تواصلهم مع مدرسة الإمام الصادق حيث لم يبق أحد من علماء الأمصار إلا وشدّ الرحال إلى جامعة الكوفة التي بلغ عدد طلابها الكبار الذين يحضرون الدروس العالية التي يلقيها الإمام الصادق عليه السلام بلغ يومها أربعة آلاف

وهو رقم كبير جداً في ذلك العصر وقد استفاد الملوك العباسيون قبلهم من هذه المدرسة قبل أن يحاربوها.

وإليك بعض الأسماء اللامعة التي انحنتْ أمام جلال علم الإمام الصادق.

يقول زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام: (في كل زمان رجل منّا أهل البيت يحتجّ به الله على خلقه وحجّة زماننا ابن أخي جعفر لا يضلّ من تبعه ولا يهتدي من خالفه) [1].

ويقول أبو جعفر المنصور: (إن جعفر كان ممن قال الله فيه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] وكان ممن اصطفاهم الله وكان من السابقين في الخيرات وأنه ليس من أهل بيت إلا وفيهم مُحدَّث . تحدّثه الملائكة . وإن جعفر بن محمد مُحدَّثنا اليوم) المصدر نفسه..

يقول مالك بن أنس: (جعفر بن محمد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على إحدى ثلاث خصال: إما مصلٍّ، وإما صائم، وإما قارىء للقرآن، وما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد علماً وعبادة وورعاً).

يقول المقدام: (كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمتُ أنه من سلالة النبيين).

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب، ج٢، ص١٤٢.

يقول أبو حنيفة: (ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد، لما أقدمه المنصور بعث إليَّ فقال: يا أبا حنيفة إن الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمد فهيّيء له من المسائل الشداد فهيّأت له أربعين مسألة ثم بعث إليَّ أبو جعفر وهو بالحيرة فأتيته فدخلت عليه وجعفر بن محمد جالس عن يمينه فلما بصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر بن محمد الصادق ما لم يدخلني لأبي جعفر المنصور فسلّمت عليه وأومأ إليَّ فجلست ثم التفتّ إليه فقال: يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة.

قال جعفر: نعم، ثم أتبعها: قد أتانا كأنه كره ما يقال فيه أنه إذا رأى رجلًا عرفه، ثم التفت المنصور إليَّ فقال: يا أبا حنيفة القِ على أبي عبد الله مسائلك فجعلت ألقي عليه فيجيبني، فيقول: أنتم تقولون كذا وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا فربما تابعهم وربما خالفنا حتى أتى على الأربعين مسألة.

ثم قال أبو حنيفة: ألسنا روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس) (١).

وله نص آخر يقول فيه: (لولا السنتان لهلك النعمان).

أرأيت كيف عبّر مالك بأنه لم تسمع أُذن ولم تر عين ولم يخطر على قلب بشر أفضل من جعفر علماً وعبادة وورعاً، أتريد أكثر من ذلك وهل هناك شيء أكثر إحاطة بالتعظيم من هذا الكلام.

---

(١) مناقب أبي حنيفة للموفق، ج١، ص١٧٣، وجامع أسانيد أبي حنيفة، ج١، ص٢٢٢.

وأما أبو حنيفة فصرّح بأنه الأعلم وبأنه صاحب الهيبة العظمى لأن هيبته أعظم من هيبة المنصور، أفهل تريد شيئاً أوضح من هذا؟

وبناء على هذه الشهادات العالية ألا يتوجّب على كل مَن هو تابع لمذهب من المذاهب أن يلتزم بالأخذ عن الإمام الصادق عليه السلام ؟

وكان من الأفضل لو غيّرت سؤالك وقلت: إذاً مع وجود الأعلم والأورع ومَن فيه من الأوصاف ما لا يخطر على قلب بشر . على حدّ تعبير مالك . كيف اتبعوا أئمة المذاهب الأربعة وتركوا مذهب جعفر الصادق وهو الأصل والمنبع؟

فانظر كيف مع كل هذا الوهج والهيبة للإمام الصادق الذي لم يماش الحكم يومها جعلوا من تلامذته الصغار أئمة وغيبوا شمس معارفه وفخر محاسنه وخزان علومه، حتى وصل الأمر إلى أن يقال: من أين أتى هذا الإمام؟ وكيف أتى المذهب الجعفري؟

فلا حول ولا قوة إلا بالله وإلى الله أشكو عجري وبجري كما قال أمير المؤمنين عندما غيب زهده وعلمه وشجاعته.

ولو استمرّ عمل حكومة ظالمة مدة خمس سنوات فإنّها تكون كافية لطمس معالم تاريخ؟ فكيف إذا استمرّت أكثر من ألف سنة؟

كما أن تجهيل الأمة أمر مدروس وتغييب أهل البيت وعلومهم متفق عليه من الدولة إلى القبيلة ومن الوالي إلى الخليفة وسوق العلم رائج إلا علوم آل محمد فلا يشتريها أحد ولا يمكن لأحد الوصول إلى مدرستها.

ولو كانت لدينا فرصة أحسن لذكرنا لك بداية تأسيس المذهب وقرأنا عليك فصولًا واضحة من هذا التاريخ الذي أسسه النبي محمد وبذر بذرته الأولى في حياته المباركة وربما نعود إلى ذلك حين تتاح الفرصة.



عصمة الأئمة (ع)

▽س٢١: الشيعة يقولون إنّ الأئمة الإثني عشر معصومون فما هو الدليل على عصمتهم؟

ج٢١: يعتقد الشيعة الإمامية بأنّ الإمامة امتداد للنبوة ولا فرق بينهما إلا بالوحي.

والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أن يكون في كلّ عصر إمام يهدي الناس ويرشدهم ويدير شؤونهم، فالأئمة هم حفظة الشرع والقوّامون عليه حالهم في ذلك حال النبي، لذا يجب أن يكون الإمام كالنبي معصوماً من السهو والخطأ والنسيان وجميع الفواحش والرذائل، والدليل على عصمة الأئمة هو نفسه الدليل على عصمة الأنبياء وقد أجبنا عليه في السؤال الثاني فراجع.

ونزيد عليه هنا بأن تاريخ الأئمة كان معروفاً ولم يكونوا بعيدين عن الشرائح الشعبية ولا علماء الحديث، وكانوا يمارسون دورهم أمام الملأ وكان لهم أولياء وأعداء، وكان أولياؤهم وأعداءهم سواء في ذكر فضلهم وزهدهم وورعهم، حتى أن الإنسان ليعجب كيف يبقى لهؤلاء القوم خصماء، ومن جانب آخر إنهم درسوا فقط عند آبائهم ولم يسألوا عن

شيء في هذه الدنيا من الأرض إلى السماء إلا وأجابوا عنه بوضوح وكأنهم لا شغل لهم إلا بهذا العلم.

وما استطاع أحد من المترجمين عندما يذكرهم إلّا وينحني أمام فضلهم وكريم نبلهم مما يعني أن العصمة ميراثهم أباً عن جد وقد أضافوا إلى دعم هذا الميراث الزهد والقناعة والمكرمات والطاعة وتعالوا عن كل سفالة ووجدوا مع كل نبالة فهم نجوم مشرقة وشموس مضيئة علماً وعملًا وورعاً وزهداً.



صلاة التراويح

▽س٢٢: لماذا لا يصلّي الشيعة صلاة التراويح وكثير من صلوات السنّة؟ ولهذا أطلق عليهم الروافض لأن الشيعة يرفضون اتّباع السنّة.

ج٢٢: السؤال فيه كثير من المغالطة.

أولًا: تسمية الشيعة بالرافضة ليس لأنهم كما تقول لا يصلون التراويح بل هي نبز سياسي كان ينبز به من لا يقول بشرعية الخلفاء الأولين، وهذه التسمية لم تكن في زمن الخلفاء الثلاثة وإنما اخترعها الأمويون في مواجهة المسيرة الجهادية العادلة في مواجهة المخططات الأموية التي تستهدف الإسلام وعدالته الاجتماعية وأطروحاته السامية وهذا ديدن معروف لضرب قوى التحرير في مواجهة ناهبي خيرات الشعب وآكلي لحوم البشر من اليزيديين.

وثانياً: إن الشيعة أكثر الناس حرصاً على متابعة السنّة النبوية المباركة الصحيحة وهم يتحرّون ويجتهدون ما وسعهم بحثاً وتدقيقاً لبراءة ذمتهم من الواجبات الشرعية.

ولا يخفى لديك أن الشيعة عاشوا فترة تحت الضغط السياسي والأمني الظالم، كانوا يُسبّون ويطال السباب أمهاتهم وعقائدهم وهم

صابرون حفاظاً على السنّة والوحدة.

والشيعة أكثر المسلمين اندفاعاً نحو المساجد خاصة في العراق وإيران وبلاد الخليج ولبنان في الجمعة والجماعات ولهم من آدابهم والتزاماتهم في حفظ المساجد والآداب فيها ما يجعلهم مفخرة من مفاخر الإسلام.

وإذا جاء شهر رمضان يحيون أكثر لياليه من المساء حتى الصباح وخصوصاً ليالي القدر الثلاثة (١٩ . ٢١ . ٢٣) وبعضهم يحيي العشر الأواخر كلها وبعضهم يعتكف في الليالي المباركة.

وهم يصلّون في هذه الليالي ألف ركعة وأحياناً أكثر فالمسنون ألف ركعة ولكن بعضهم يصلي أكثر من ثلاثة آلاف ركعة في شهر رمضان بمعدل ماءة ركعة كل ليلة وبعضهم يختم القرآن كل يوم في شهر رمضان.

بالإضافة إلى أن بعض صلاة الليالي تتطلّب جهداً كبيراً فهو يصلي صلاة ركعتين ويقرأ فيها في الركعة الأولى الحمد مرة والإخلاص ألف مرة وفي الركعة الثانية الحمد مرة والإخلاص مرة وهذه تستغرق أكثر من ساعتين، فهل يقال بأن الشيعة لا يصلون صلاة التراويح؟ وقد ذكر ابن طاووس في كتابه الإقبال مسنونية هذه الصلوات ونقلها عنه العلّامة المقدّس السيد محسن الأمين في كتابه مفتاح الجنات وإليك بعضها:

صلوات ليالي شهر رمضان:

أما صلوات ليالي شهر رمضان فقد نقلها الكفعمي . وهو عالم متهجد من علماء جبل عامل . في مصباحه . وهو كتاب أدعية اشتهر باسم

المصباح . عن كتاب الأربعين حديثاً للشهيد الثاني(رض) مروية عن النبي:

فمن صلى في الليلة الأولى أربع ركعات بالحمد مرة والتوحيد خمساً وعشرين مرة أعطى ثواب الصديقين والشهداء وغفر له ذنوبه وكان يوم القيامة من الفائزين ثم يكمل على هذه الوتيرة فيعدد صلاة كل ليلة وثوابها وكيفية الصلاة وعدد الركعات وما عليها من ثواب عظيم عند الله مفتاح الجنات، ج٣ ص١٦٨..

وفي صفحة (١٧٠) من نفس الكتاب تحت عنوان النوافل في شهر رمضان والدعاء يقول:

وهي ألف ركعة زيادة على المعتاد أي زيادة على النافلة اليومية وهي ٣٤ ومع الفريضة تصبح ٥١ وبعض ما ذكرنا فربما يكثر وربما يقل:

ثم يبدأ ببيان وكيفية الإتيان بهذه الصلوات فيقول: منها خمسمائة في العشرين الأولين، ثمان بعد المغرب، واثنتا عشر بعد العشاء، وفي ليلة تسعة عشر مائة غير عشرينها، وفي العشر الأخير خمسمائة كل ليلة ثلاثون، ثمان بعد المغرب، واثنان وعشرون بعد العشاء، وفي ليلة إحدى وعشرين مائة غير عشرينها وكذلك ليلة ثلاث وعشرون.

وبهذا يصل إلى الألف غير النافلة المرتبة.

وأما الأدعية فلا أظن أن غير الشيعة يملكون من هذا الرصيد المعنوي الكبير الذي فاض به الأئمة خصوصاً دعاء الافتتاح ودعاء السحر ودعاء الجوشن الكبير وهي أدعية حافلة بالذكر والخشوع لله العلي القدير.

وليالي مساجدنا وبيوت الشيعة في العالم عامرة بذكر الله.

نعم، هناك نقطة يمكن أن يكون السائل وجه السؤال إليها وهي أن الشيعة لا يصلون النافلة جماعة وبهذا لا يظهر لهم كثرة وجمهرة كأخوانهم السنة في حضور صلاة التراويح حيث يأتون إلى المسجد ويصلونها جماعة فيظهر لهم دوي وحضور قوي وهذا صحيح.

لكن الشيعة يمتنعون عن صلاة النافلة جماعة لأن النافلة لا تشرع جماعة، الجماعة فقط للصلوات الواجبة وأما النافلة بكل أشكالها ليس فيها جماعة عندهم، بمعنى أنها لا تصح لو صلوها جماعة حسب اجتهاد علمائهم.

ويستندون بقولهم هذا بأن التراويح كانت في زمن رسول الله فرادى، وكذلك كانت في زمن الخليفة أبي بكر وبعض سنوات الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وذات ليلة ذهب عمر إلى المسجد فرأى الناس هذا يركع وهذا يسجد وهذا قائم وهذا قانت وهكذا فلم يعجبه، فأمر أن تُصلى النافلة جماعة، وفي الليلة الثانية صلوا النافلة جماعة.

ومعلوم أن عمر لا يحق له التشريع فكيف يلتحقون بهذه الفكرة وعمر لم يقل أني مأمور من رسول الله بذلك أو إني رأيت رسول الله يصلي بالناس كذلك بل إنّ عمر قد اعترف بأنّ رسول الله ﷺ لم يشرّع الصلاة بهذه الكيفية.

وقد ذكر اليعقوبي في حوادث سنة ١٤ هجرية هذا الأمر فقال: في هذه السنة سنّ عمر بن الخطاب قيام شهر رمضان وكتب بذلك إلى البلدان وأمر أُبي بن كعب وتميماً الدارمي أن يصلّيا بالناس فقيل له في

ذلك: إنّ رسول الله لم يفعله وأن أبا بكر لم يفعله، فقال: إن تكن بدعة فما أحسنها من بدعة [(١)].

فإذا كان الأمر شخصياً مولوياً حكومياً وهذا ممّا لا حق له فيه، وهو بنظر الشيعة ليس إماماً معصوماً فالحكم لله تعالى فقط والنبي ﷺ هو المكلّف بتبليغ الأحكام عن الله تعالى ولا يجوز لأيّ كان أن يُشرّع للناس أحكام دينهم، قال الله تعالى: الله أذن لكم أم على الله تفترون.

وقال تعالى ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦]

ومن هنا يصلي الشيعة النوافل فرادى وأكثر ما يستحب صلاة النافلة كما ورد في البيوت والفريضة مستحبة في المسجد وجماعة..

ولو كان لدى إخواننا السنة مدرك شرعي لصحة صلاة النافلة جماعة فنحن شاكرون لهم إذا قدموا لنا الدليل فليتفضل إخواننا ببيان المدرك لعلنا نجاريهم وإلا فنحن معذورون

ولتوضيح المطلب أكثر أنقل لكم هذه الرواية:

عن صحيح البخاري كتاب صلاة التراويح عن عبد الرحمن ابن عبد القاري قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رض ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٤٠.

فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب قال: ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر: نعم البدعة [1]



(١) صحيح البخاري ج ص.. وإذا أردت المزيد فراجع الفصول المهمة في تأليف الأمة للسيد شرف الدين.

زواج رسول الله ص من عائشة

▽س: كيف لا تتعارض الآية التالية مع زواج رسول الله من عائشة والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرأون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم

على اعتبار حدّ قول الشيعة عائشة من الخبيثات ويجوز لعنها؟

ج٢٣: لا ندري ما هو ربط الآية الكريمة مع السيدة عائشة أمّ المؤمنين ومن يوم تزويجها برسول الله إلى يومنا هذا.

والآية وما سبقها في معرض بيان صورة مشرقة وتربوية وكأنها تقول لمن أراد الزواج من المؤمنين أن يذهب إلى بيوت كريمة ويتزوج منها لأنه كان ولا يزال كثير من الساقطين حتى بعد دخولهم الإسلام يتعاطون أنواعاً من الرذيلة الأخلاقية حتى أن بعضهم جاء إلى رسول الله بعد الإسلام وطلب منه أن يسمح له بالزنى فتأمل فيه النبي، ثم قال له: أترضاه لأمك؟

قال: لا، فقال له الرسول ﷺ: هل ترضاه لأختك؟

قال: لا، ثمّ قال له ﷺ: هل ترضاه لابنتك؟

قال: لا، وبهذا الأسلوب الهادىء صرفه النبي ومسح على صدره

فصار الزنى عنده مبغوضاً.

ولم يصدر عن الشيعة في شأن أم المؤمنين عائشة إلا الاحترام والتقدير وهم تبع لإمامهم أمير المؤمنين علي الذي حاربته عائشة وقادت جيشاً عرمرماً لقتاله في البصرة، وكانت معركة قتل فيها كما قيل خمس وعشرين ألفاً من الفريقين وانتهت المعركة بقتل البغاة على إمام زمانهم الإمام الشرعي الذي بايعوه في غدير خم ثم بايعوه بعد قتل عثمان ثم نكثوا وجاؤوا إلى حربه في البصرة حيث اضطروه إلى الخروج من مركز الخلافة في حينه.

ومع كل قسوة المعركة وتداعياتها المؤلمة رأينا علياً يعامل أم المؤمنين بكل احترام ويبعث معها جيشاً من النساء ليحفظنها ولم يقل لها شيئاً رغم إظهار العداوة له وظلت أم المؤمنين حاقدة على إمام زمانها حتى جاءها نعيه فأطلقت عقيرتها وفيها قال الشاعر:

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر

وهذا يشير إلى فرحها وسرورها بمقتل أمير المؤمنين عليه السلام .

ونحن رغم ما وصلنا من هذه الشماتات بعلي وآل علي، ومَنْعها الإمام الحسن أن يدفن مع جده محمد مع ذلك نكن لها كل الاحترام ولا نقول عنها إلا أنها أمّنا أخطأت بحق إمامها وغفر الله لها.

ولذا كان صاحب القلب الكبير وصاحب الحق الشرعي قد تركها وشأنها فما يعنينا نحن في هذه المسألة إذا كنا له أتباعاً إلا أن نسلّم لأمره ونتّبع سنّته وطريقته بالصفح والعفو.

وأنا أرى أنّ طرح مثل هذه الأسئلة والتعقيدات المذهبية التي تورث الفتن لا يجوز إطلاقاً، فلنكف عن مثل هذه الأمور فنحن أحوج ما نكون في هذه الأيام إلى وحدة حقيقية في مواجهة الغزو الأمريكي الكافر على أرضنا الإسلامية في فلسطين والعراق وأفغانستان وكل بلاد العرب والمسلمين من المحيط إلى المحيط.



زواج عثمان من بنات النبي

▽س٢٤: أليس النبي أعلم الناس فكيف يزوّج بناته من عثمان بن عفان وهو يعلم أنه سيغصب الخلافة من علي؟

ج٢٤: الشائع تاريخياً أن عثمان تزوج ابنتي رسول الله حيث ماتت الأولى فتزوج بعدها الثانية وكان عثمان رجلًا موسراً وبعدها لقب عثمان بذي النورين.

وكان لعثمان كل هذا التاريخ العظيم ووصل فجلس على سدة الخلافة العظمى بسبب النورين ولا بد من كلمة مختصرة أمام هذا التاريخ.

ان بني أمية خلطوا هذا التاريخ وسجلوه كما تهوى نفوسهم وكل من كتب من المؤرخين في عصرهم كتب لهم حتى بات التاريخ صفحة أموية.

لماذا لم يعط لعلي شيء من هذا الوهج وهو زوج سيدة نساء العالمين فاطمة التي قال عنها رسول الله: فاطمة بضعة مني، فاطمة يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها، إلى آخر خاتمة المرويات الشهيرة التي لا أحتاج إلى توثيقها لشهرتها ولم يرو في حق البنات الأخريات أي

شيء من الثناء، لماذا؟

أين أبو العاص من هذا التكريم الصهر الأول لرسول الله كما يقال؟

وهل أنّ خديجة تزوجت قبل رسول الله أو لا؟

وعلى فرض الزواج هل كان لها أولاد؟

ينقل العلامة السيد جعفر مرتضى ـ وهو محقق في التاريخ ـ ما يلي:

خديجة لم تتزوج أحداً قبل النبي بنات النبي ﷺ أم ربائبه [١]،

ويقول: ولعلّ هذه الدعوى قد صنعتها يد السياسة أو أنها جاءت لتكريس فضيلة لعائشة أم المؤمنين مفادها أن رسول الله لم يتزوج بكراً غيرها.

إلا أن المتتبع يلمس حرصاً من أم المؤمنين ومن محبّيها وخصوصاً الزبيريين منهم على تسطير الفضائل لها ولو بالإغارة على فضائل غيرها المصدر نفسه..

ولا تنس أن الأمويين اخترعوا وفبركوا قصة زواج علي من ابنة أبي جهل حتى يقولوا: إن النبي غير راض عن علي.

وهي قصة ذكرها بعض المؤرخين الأمويين ونشرتها الألسن والكتب أيضاً.

---

(١) السيد جعفر مرتضى، ص٨٨.

وممّا ينفي أن يكون لخديجة بنات فضلًا أن يكونوا للنبي ما روي عن أبي الحمراء قال:

قال النبي لعلي: يا علي أُوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحد ولا أنا أوتيت صهراً مثلي ولم أوت أنا مثلي وأوتيت صدّيقة مثل ابنتي ولم أوت مثلها زوجة وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبي مثلهما ولكنهم مني وأنا منكم إحقاق الحق [١]،

فلو كان عثمان أو أبو العاص قد تزوجا بنات رسول الله لم يصح منه ذلك القول لا سيما وأن هذا الكلام قد صدر منه بعد ولادة الحسنين[٢].

إذاً فلا مجال حتى لدعوى أن عثمان قد يكون تزوج بإحدى بناته بعد صدور هذا القول منه.

والذي توصلنا إليه أن خديجة كانت لها أخت وعندها هذه البنات فماتت فكفلتهن خديجة وكانت البنات ترى خالتهن بمثابة أمهن والنبي بمثابة الأب وكان النبي يحبهن كحبه لأولاده ومن هنا ظن الكثيرون لهذه المعاملة أنهن بناته، وإذا صح أن عثمان قد تزوج هاتين المرأتين فيكون قد تزوج من بنات أخت خديجة اللواتي ربين في بيتها وليس من بنات خديجة حين كانت بكراً ولم تتزوج إلّا محمد وبالطبع ليس هؤلاء من بنات النبي كما ذكرنا وهذا آخر ما توصل إليه المحققون.

---

(١) قسم الملحقات للمرعشي النجفي، ج٥، ص٧٤..

(٢) المناقب، ج٤، ص٤٤٤، نقلاً عن كتاب بنات النبي، ص١٠٠.

خصائص الإمام علي (ع)

▽س٢٥: كيف يكون علي أعدل الناس وقد لقب عمر بالفاروق؟

ج٢٥: لا يوجد مانع يمنع أن يكون علي له خصائص وغيره له خصائص، وكثير من العظماء يتقاربون في خصائصهم، وكلمة الفاروق إن صحّت لعمر فهي له وغير مانعة لخصائص غيره.

والمعروف أن علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما كان يعدد مزاياه وسوابقه وخصائصه والأوسمة التي أهداها النبي إليه كان يقول: وأنا الصديق الأكبر والفاروق الأعظم ولا يقول أحد غيري أو بعدي إلاّ كذّاب.

وإذا صح لقب عمر بالفاروق فيكون علي هو الفاروق الأعظم أما غيره فله قدر وقيمة ولكنها دون علي ولا مانع من ذلك.

ولكننا لم نقرأ لعمر بن الخطاب أنه نادى بالملأ وذكر صفاته وإنما هي صفات قيلت في عهود متأخرة عنه في أيام التفاخر بالمناقب والتي روجها معاوية وحواشيه نكاية بمناقب أهل البيت وعلى رأسهم مناقب علي.

ولسنا بمنكرين مناقب الشيخين ولا مناقب الصحابة لكنك تعلم أن

ما ذكر من مناقب لعلي وآل بيته أكثر مما ذكر للجميع مع وجود تعتيم إعلامي عام في كل أرجاء الدولة الأموية ومع ذلك ظهرت كل هذه المناقب.

مما لا يبقي شكاً إن كثيراً من المناقب للشخصيات والقبائل والأماكن كان يقصد بها الفخر الفارغ أمام المناقب الحقة التي حصل عليها أهل البيت.



زواج عمر من أم كلثوم

▽س٢٦: إذا كان علي على خلاف مع عمر فكيف يزوج علي ابنته أم كلثوم من عمر؟

ج٢٦: لا يستحيل زواج وعلاقات نسبية مع خلافات سياسية حيث الخلاف القائم بين علي وعمر هو خلاف سياسي، وربما يكون الزواج مدخلًا للصلح بين الشخصين.

وهذا الزواج إذا صح فإنّه ليس إلّا زواجاً سياسياً حيث من الواضح تاريخياً أن عمر بن الخطاب كان ممن خطب الزهراء من رسول الله وسعى في سبيل ذلك، وكذلك فعل أبو بكر ولكن النبي لم يزوجهما وزوّج علياً.

ولما سئل النبي كيف قدّمت علياً أجاب أنا لم أزوّج علياً بل الله هو الذي زوّجه وبهذا النص حسم أي إشكال أو اعتراض وظلت في ذهن عمر نزعة إلى التقرب برسول الله ولو كان عن طريق ابنة بنته مع أن عمره غير صالح مع الأم فكيف مع البنت فأم كلثوم لم تتجاوز العشر وهو أصبح في العقد السابع.

ومثل هذا الزواج غالباً لا يكون لقضاء الوطر والولع في تعدد

الحسناوات وإنما يكون بدواعي الصلح أو الفخر أو لدوافع سياسية كما قلنا.

وقد نقل عن المغيرة بن شعبة عندما ولاه عمر على الكوفة أنّه ذهب يبحث عن دار النعمان بن المنذر ملك الحيرة، ولدى وصوله وجد ابنته عمياء وخرساء وعمرها مائة عام، فطلب خطبتها وإعلان الزواج منها فرفضت، ولما سُئلت عن سبب رفضها قالت: إني غير صالحة للزواج من كل الجوانب وأنا مقعدة وعمياء وليس لدي أي قابلية لعلاقات الرجال، وهو لم يرد مني ذلك وإنما أراد أن يقول بين الناس إني نكحت بنت النعمان بن المنذر ليكسب الشرف.

فإذا كان مثل النعمان البائد يحظى بالشرف كلّ مَن يتقرّب إليه فكيف لا يكون ذلك مع رسول الله؟.

ولما طلب عمر أم كلثوم قال أبوها علي إنها صغيرة الآن، فقال: ليس حيث تذهب وإنما أردت القربى برسول الله، لأنني سمعته يقول كل حسب ونسب ينقطع إلا حسبي ونسبي فإنه لا ينقطع إلى يوم القيامة.

ونقل عنه بعد الزواج وهو في حالة فرح: يقول رفئوني رفئوني أي هنئوني لقد سمعت رسول الله يقول كل حسب ونسب ينقطع إلا حسبي ونسبي فإنه لا ينقطع إلى يوم القيامة.

فهذا هو الهدف من الزواج وهو بيّن من تصريح عمر وأحاديثه.

ومهما قيل في هذا الزواج فقد ساعد علياً وعمر على التقارب حتى أصبح علي في زمن عمر هو المرجع الشرعي بلا منازع والمستشار السياسي الأول في الحروب وكان عمر يرجع إلى رأيه في أكثر الأوقات

حراجة.

وقد رجع إلى رأيه عندما طُلب من عمر أن يتقدم البعوث والجيوش واستشار أصحابه فشجعوه إلا علي فمنعه من الخروج وقال له ما مضمونه: إنك إن ذهبت وقتلت فمن يبقى ملجأ والرأي أن ترسل من يمثلك وتبقى سنداً ومرجعاً للأمة تهيّيء لها الجيوش وتوزّع لها الفيء.

ونتيجة لهذا التقارب أصبح علي بنظر الصحابة وصنّاع السياسة هو الثالث بلا منازع حيث كان عمر يمنع أن يُفتي في المسجد وعليّ حاضر (لا يفتين أحد في المسجد وعليّ حاضر).

وأي معضلة كانت تطرأ على الأمة كان عمر يذهب إلى علي ولو كان في بستانه وعندما يحلّها عليّ يقول عمر: (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن).

ونقل عنه كثيراً قوله: (لولا علي لهلك عمر).

من هنا فكر الأمويون حقيقة بإزاحة عمر قبل أن يعقد له الولاية في أعناق الأمة وعندئذٍ يصعب على الأمويين الوقوف في وجه تولية عمر لعلي وكان القرار الأوحد والأكيد تصفية عمر سريعاً وتم الإتفاق مع المغيرة بن شعبة عن طريق غلامه أبو لؤلؤة الفارسي حتى طعنه بخنجره فمات وانتهى الأمل بتكريس خلافة علي مجدداً وعاد الأمويون إلى سدة الواجهة من جديد يمهدون لمستقبل الصبيان وإمارة الصبيان [١].

---

(١) راجع أيام الحسين، لأديب العصر الشيخ عبد الله العلايلي، ص٢٤٦.

قول آمين في الصلاة

▽س٢٧:لا يوجد مانع من استعمال كلمة آمين في الصلاة إذا كانت بمعنى (اللهم استجب).

والصلاة في طبيعة الحال هي نوع من أنواع الدعاء، كما أن كلمة آمين كثيراً، ما تطلق من الأخوة الخطباء على المنابر بعد الفراغ من الذكر، فهل يجوز ذكرها على المنابر ولا تجوز في الصلاة؟

ج٢٧: لو كان كل ما يقوله الخطيب على المنبر يجوز قوله في الصلاة لطالت الصلاة حتى بلغ وقتها ساعتين أو ثلاث.

ثم إنّ الصلاة والعبادات توقيفية ولا يجوز لنا الزيادة أو النقيصة ومن هنا بعد مرور ألف وأربعمائة عاماً نؤكد أن ما وصل إلينا من صلاة الرسول الأكرم هو ما نقوم به لا زيادة ولا نقصان.

ولولا هذا التأكيد والالتزام والقرار الصارم والالتزام المتين من المسلمين لتغيرت أمور كثيرة.

والصلاة وقف ويمنع الزيادة والنقيصة في الوقف، وهذه سنن شرعية مثل السنن الكونية لا تتغير كطلوع الفجر وغياب الشمس وهلة القمر ودورته الطبيعية.

أما كلمة آمين فرأي فقهاء الشيعة الإمامية إن كانت بمعنى الدعاء (اللهم استجب) ولا تعني الجزئية الزائدة فلا مانع منها، وأما إذا فرضت فيها على أساس اللابديّة والجزئية الأصلية للسورة فهذا زائد وغير موجود في زمن الحقيقة الشرعية ولا المتشرعية فكيف يجوز أن نضيف إلى الصلاة حرفاً واحداً وهي صلاة مخصوصة وتوقيفية.

المسألة ليست ذات أهمية، ولا موقع يستحق الخلاف عليه، هو ليس إمارة أو ولاية أو غيرها من الأمور السياسية الكبرى، كما أنها لا تضر في العقيدة، ولا في التوحيد ولا في النبوّة ولا في الإمامة ولا في العدل ولا في المعاد وهي قطعاً ليست من فروع الدين، وإنما هي كلمة إضافتها يقع في دائرة الاستحسان، فمن جاء بها بمعنى الدعاء لا بمعنى الزيادة كما ذكرنا فهو جائز، ومن أتى بها خلاف ذلك فعليه استدراك فعله.



كسر ضلع الزهراء عليها السلام

▽س٢٨: من أين جاء الشيعة برواية كسر ضلع سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها وهل يصدق على صحابة النبي أن يهجموا على بيته ويكسروا ضلع ابنته الزهراء وخصوصاً عمر بن الخطاب المعروف بحبّه للرسول الأكرم ؟

ج٢٨: إن الحديث عن مصائب سيدتنا فاطمة الزهراء متعبٌ للسائل والمجيب في مجتمع تسالم على تصديق الحاكم ومؤلفات عصره وأراح نفسه من عناء البحث الموضوعي والتزم برفض كلام المعارضة مهما كان شأنها الديني والعلمي.

وهو متعب أيضاً حيث وصلنا إلى درجة نعمل برأي الصحابة ولا نعمل برأي النبي الذي علّم الصحابة، وفي جوّ يتحوّل فيه الصحابة إلى معصومين يُحتجّ بحديثهم ويترك آل بيت العصمة وينبذون، وفي جوّ طغى فيه التوجيه الأموي لإخفاء مناقب آل رسول الله وإظهار محاسن بني أمية بل وادّعاء مناقب لبني أمية.

وعندما يعيش الكاتب أو المؤلف أو الخطيب في مثل هذه الأجواء سوف يداري أو يتقي أو يجامل أصحاب الشأن وأصحاب العصبية

وأصحاب المصالح.

وتاريخنا الإسلامي مملوء بمثل هذه الشواهد حينما أطبق بنو أمية على الأمة بعد استيلائهم على سدّة الحكم فخربوا أصول الإسلام وأصول التاريخ وزوّروا كل صفحاته وشوّهوا وجهه الحسن والجميل.

لقد كان في ما مضى من الأسئلة بعض الإتعاب لخشونة ملامح السؤال ووعورة السلوك في المطالب، غير أننا اليوم وفي هذا السؤال نحن في وضع أكثر حراجة مما مضى فالصراحة والوضوح مثير وربما يزعج الكثيرين.

ولكن هل يجوز ترك السؤال غامضاً؟ والهروب هنا كالفرار من الزحف إلّا متحيّزاً لفئة، ولا يمكننا بسط التاريخ على حقيقته وذكر مصائب الزهراء وضربها وكسر ضلعها وإسقاط جنينها في جو معارك تتشظى وتتقطع فيه أوصال الأمة وتتناثر لحوم بني البشر من المسلمين وحدهم في الأرض والسماء والماء والهواء ويتغذى الطير والوحوش على هذه المائدة السخية التي يقدمها الجيش الصهيوني في فلسطين والأمريكي والبريطاني في العراق وأفغانستان.

وكنت أريد ردّ السؤال وترك الإجابة لوقت نحن فيه أكثر انشراحاً وأيسر تداولًا وخفتُ من جانبين:

الأول: من السائل الذي طالب بالصراحة وكلمة الحق لأن كلمة الحق أخف كلمة عند المنصفين ولو كانت ثقيلة عملياً لأنها موقف صريح لا خداع فيه ولا تقية ولو أني تركت الجواب الذي أعتقده ربما ظنّ السائل أني عاجز عن الجواب بل ربما وجد أن السؤال لا أصل له

إذ لو كان هناك جواب لأجاب والسكوت هنا يشبه المعصية بل هو المعصية الكبرى لأنّ على العالم أن يظهر علمه ومَن لم يظهر علمه في أيام الفتنة فهو ملعون.

والجانب الآخر: هو الجناح الثقيل والتركة الباهظة ممن لا يسترون عمّا صدر ولا يعذرون لمن عثر ولا يقبلون ممن تأخر ولا يعفون عما سقط أو كبا جواده أو نبا سيفه أو هفا لسانه أو توقف لتوجس نفسي أو عدوّ خارجي أو ظنّ للقضية خطورة فوقف يتأمل وارتأى الصبر وعدم الرد لربما تثور ثائرة، والقوم مدججون بسلاح التاريخ جاهزون للانقضاض على هذا العبد الفقير.

ولو كتبنا وأثبت التاريخ صدق مدّعانا لقيل لنا: ليس هذا في محلّه ولو تركنا لقيل: فرّ من الزحف إلى غير فئة وهو من الكبائر.

تحيرت مع هذا الزمان وأهله فما أحد من ألسن الناس يسلم

وعلى كل فقد ارتأيت بعد التأمل أن يكون ردي واضحاً، واضعاً النقاط على الحروف، مختصراً ما استطعت، سائلًا ربي سبحانه ببركة الزهراء أن يجنبني الوقوع في الخطأ والإساءة إلى مؤمن.

بدايةً نبدأ من العلّامة العلايلي ص١٩ في كتابه: (سموّ المعنى في سموّ الذات) تحت عنوان أعمال مهّدت إلى الاضطراب وإثارة الخواطر:

الاختلاف في التسابق على البيعة يوم السقيفة وامتناع فاطمة وآل البيت عموماً بما فيهم العباس وأخذ آل البيت بالشدة وفّر لهم الأنصار لأنهم أولى الناس برسول الله وقد التفت لهذا الأمر الحسّاس أبو بكر فاضطر إلى تنازلات كثيرة وتراجع عن أمور كثيرة.

وقد أدرك بالفعل خطأه مع السيدة فاطمة وقال كما ذكر المسعودي في مروج الذهب (١).

وقال وهو يحتضر: ما آسى على شيء إلا على ثلاث فعلتها وددت أني تركتها، وثلاث تركتها وددت أني فعلتها، وثلاث وددت أني سألت رسول الله عنها، وأما الثلاث التي فعلتها وودت أني تركتها فوددت أني لم أكن فتشت بيت فاطمة وذكر كلاماً كثيراً.

وهذا أوضح كلام بأن أبا بكر بعث العسكر ففتشوا بيت فاطمة وطبعاً عندما منعتهم فاطمة دخلوا البيت عنوةً وبقوة السلاح، والمأمور عليه التنفيذ دون الإلتفات إلى الموقع وحرمة البيوت ودون الإلتفات إلى النتائج.

ثانياً: ما ذكره عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي عن النقيب أبو جعفر العلوي رحمه الله قال محمد بن إسحاق: فحدثت عن زينب أنها قالت: بينا أنا أتجهز للحوق بأبي لقيتني هند بنت عتبة فقالت: ألم يبلغني يا بنت محمد أنك تريدين اللحوق بأبيك فقلت ما أردت ذلك، فقالت: أي بنت عم لا تفعلي إن كانت لك حاجة في متاع أو فيما يرفق بك في سفرك أو مال تبلغين به إلى أبيك فإن عندي حاجتك فلا تضطني . تستحي . مني فإنّه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال، قالت: وأيم الله، إني لأظنها حينئذٍ صادقة، ما أظنها قالت حينئذٍ إلّا لتفعل ولكن خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك قالت: وتجهزت حتى فرغت من

(١) أنظر مروج الذهب، ج٢، ص١٩٤، طبعة دار الأندلس . بيروت، ص٣٠١.

جهازي فحملني أخو بعلي وهو كنانة بن الربيع.

قال محمد بن إسحاق: قدم لها كنانة بن الربيع بعيراً فركبته وأخذ قوسه وكنانته وخرج بها نهاراً يقود بعيرها وهي في هودجٍ لها وتحدث بذلك الرجال من قريش والنساء، وتلاومت في ذلك، وأشفقت أن تخرج ابنة محمد من بينهم على تلك الحال، فخرجوا في طلبها سراعاً حتى أدركوها بذي طوى فكان أول من سبق إليها هَبار بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ونافع بن عبد القيس الفهري.

فروَّعها هبار بالرمح وهي في الهودج وكانت حاملًا فلما رجعت طرحت ما في بطنها وقد كانت من خوفها رأت دماً وهي في الهودج فلذلك أباح رسول الله يوم فتح مكة دم هبار بن الأسود.

قلت: وهذا الخبر أيضاً قرأته على النقيب أبي جعفر رحمه الله، فقال: إذا كان رسول الله أباح دم هبار بن الأسود لأنه روَّع زينب فألقت ذا بطنها فظهر أنه لو كان حياً لأباح دم من روَّع فاطمة حتى ألقت ذا بطنها.

فقلت: أروي عنك ما يقوله قوم أن فاطمة رُوِّعت فألقت المحسن؟

فقال: لا تروه عنّي ولا تروِ عني بطلانه [١].

ويُشم من أبي جعفر رائحة التقية لحفظ النفس لأنه أثبت أولًا أن

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي، ج١٤، ص١٩٢-١٩٣.

النبي لو كان حاضراً لأهدر دم من روّع فاطمة كما أهدر دم هبار.

لأن الثابت عنده أن فاطمة روّعت وألقت جنينها وللخوف يسكت عن الفاعل لأن حراب الخلافة مشهورة وجاهزة لقطع الرؤوس.

وذكر الشهرستاني في الملل والنحل ج١، ص٧٥، أن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت جنينها من بطنها.

الإسفرائيني المتوفى ٤٢٩ في كتابه (الفرق بين الفِرق) عندما تكلم عن النظام طعن في عمر وزعم أنه شكَّ يوم الحديبية في دينه وكان فيمن نفر بالنبي ليلة العقبة وأنه ضرب فاطمة ومنع ميراث العترة.

وذكر العسقلاني: وقال محمد بن أحمد بن حماد الكوفي الحافظ بعد أن أرّخ موته ستقيم الأمر عامة دهره ثم في آخر أيامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب، ورجل يقرأ عليه أن عمر رفس فاطمة حتى أسقطت بمحسن.

والمرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه المراجعات حول الهجوم يذكر أنّ علياً عليه السلام قعد في بيته ولم يبايع حتى أخرجوه كرهاً [(١)].

وأما أخرجوه كرهاً، فتلك قضية لها قصتها التي حكاها أصحاب الأثر، والإنذار بالتحريق سهل يمكن أن يتصور حدوثه على أهل البيت الأطهار ألم يكن انطباق السماء على الأرض أهون من هذا التهديد الذي

---

(١) المراجعات، ص٣٥٠، رقم.

يصدر من الذنابى للقوادم والعجز للكاهل فجدعاً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ألا أنهم هم الخاسرون ولكن لا يشعرون.

وروى الطبري في دلائل الإمامة بسند صحيح عن الإمام الصادق في خبر الوفاة والدفن عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال: قبضت فاطمة في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدى عشرة من الهجرة وكان سبب وفاتها أن قنفذاً مولى عمر لكزها بنعل السيف بأمره فأسقطت محسناً ومرضت من ذلك مرضاً شديداً ولم تدع أحداً ممن أذاها يدخل عليها.

وكان الرجلان من أصحاب النبي سألا أمير المؤمنين صلوات الله عليه أن يشفع لهما إليها فسألها أمير المؤمنين فلما دخلا عليها قالا لها: كيف أنت يا بنت رسول الله؟ قالت: بخير بحمد الله، ثم قالت لهما: أما سمعتما النبي يقول فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله؟

قالا: بلى، قالت: والله لقد آذيتماني، قال: فخرجا من عندها وهي ساخطة عليهما.

قال العلامة الحلي (قدس سره) في كتابه نهج الحق وكشف الصدق:

وذكر الواقدي أن عمر جاء إلى علي في عصابة فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن أسلم فقال: أخرجوا أو لنحرقنها عليكم.

ونقل ابن خيزرانة في غرره، قال زيد بن أسلم: كنت ممن حمل الحطب مع عمر إلى بيت فاطمة حين امتنع علي وأصحابه عن البيعة أن

يبايعوا، فقال عمر لفاطمة: أخرجي مَن في البيت وإلا أحرقته ومن فيه، قال: وفي البيت علي وفاطمة والحسن والحسين وجماعة من أصحاب النبي، فقالت فاطمة: تحرق علي ولدي؟

فقال: أي والله أو ليخرجنَّ.

وقال ابن عبد ربه الأندلسي وهو من أعيان السنّة: فأما عليّ والعباس فقعدوا في بيت فاطمة وقال له أبو بكر: إن أبيا فقاتلهما، فأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرم عليها الدار فلقيته فاطمة: فقالت يا ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟

قال: نعم نهج الحق وكشف الصدق للعلّامة الحلّي، ص٢٧١..

روى ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة قال: وإن أبا بكر رضي الله عنه تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي كرّم الله وجهه فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار علي فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على مَن فيها فقيل له يا أبا حفص: إن فاطمة فيها، فقال: وإن، فخرجوا فبايعوا إلا علياً فإنه زعم أنه قال حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن.

فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم تركتم رسول الله جنازةً بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردّوا لنا حقاً.

فأتى عمر أبا بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟

فقال أبو بكر: لقنفذ وهو مولى له: إذهب فادع لي علياً.

قال: فذهب إلى علي فقال له: ما حاجتك؟

قال: يدعوك خليفة رسول الله، فقال علي: ما أسرع ما كذبتم على رسول الله، فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلًا، فقال عمر: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر (رض) لقنفذ: عدْ إليه فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ فأدى ما أمر به فرفع علي صوته فقال: سبحان الله لقد ادّعى ما ليس له، فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة فبكى أبو بكر طويلًا، ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا باب فاطمة فدقّوا الباب فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة، فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تتصدع وأكبادهم تنفطر وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا علياً ومضوا به إلى أبي بكر فقال له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذاً والله الذي لا إله إلا هو تضرب عنقك، قال: إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسول الله، قال عمر: أما عبد الله فنعم وأما أخو رسول الله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه فلحق عليّ بقبر رسول الله يصيح ويبكي وينادي يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني [١].

وكذلك ذكر اليعقوبي حادثة الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة، ص١٢.

في تاريخه [١].

وقد روى العياشي وسليم بن قيس الهلالي - وهما من أصدق المؤرخين - الرواية كاملة واقتصر على رواية سليم بن قيس الهلالي وأحيل القارىء على المصادر.

يقول: كنت عند عبد الله بن العباس في بيته ومعنا جماعة من شيعة علي فحدثنا فكان فيما حدثنا أن قال: يا أخوتي توفيٍّ رسول الله يوم تُوفيَ فلم يوضع في حفرته حتى نكث الناس وارتدوا وأجمعوا على الخلاف واشتغل علي بن أبي طالب برسول الله حتى فرغ من غسله وتكفينه وتحنيطه ووضعه في حفرته ثم أقبل على تأليف القرآن وشغل عنه بوصية رسول الله ولم يكن همته الملك لما كان رسول الله أخبره عن القوم فلما افتتن الناس بالذي افتتنوا به من الرجلين فلم يبق إلا علي وبنو هاشم وأبو ذر والمقداد وسلمان في أناس معهم يسير، قال عمر لأبي بكر: يا هذا إن الناس أجمعين قد بايعوك ما خلا هذا الرجل وأهل بيته وهؤلاء النفر فابعث إليه، فبعث إليه ابن عم لعمر يقال له قنفذ فقال: انطلق إلى علي فقل له أجب خليفة رسول الله، فانطلق فأبلغه فقال علي: ما أسرع ما كذبتم على رسول الله وارتددتم، والله ما استخلف رسول الله غيري، فارجع يا قنفذ فإنما أنت رسول فقل له قال لك عليٌّ والله ما استخلفك رسول الله وإنك لتعلم من خليفة رسول الله، فأقبل قنفذ إلى أبي بكر فبلغه الرسالة فقال أبو بكر: صدق عليٌّ ما استخلفني

---

(١) راجع تاريخ اليعقوبي، ج٣، ص١٦٢.

رسول الله، فغضب عمر ووثب وقام فقال أبو بكر: اجلس، ثم قال لقنفذ: اذهب إليه فقل له أجب أمير المؤمنين أبا بكر، فأقبل قنفذ حتى دخل على علي فأبلغه الرسالة فقال: كذب والله انطلق إليه فقل له: لقد تسمّيت باسم ليس لك فقد علمت أن أمير المؤمنين غيرك، فرجع قنفذ فأخبرهما فوثب عمر غضبان فقال: والله إني لعارف بسخفه وضعف رأيه وأنه لا يستقيم لنا أمر حتى نقتله فخلّني آتك برأسه فقال أبو بكر: اجلس، فأبى فأقسم عليه فجلس ثم قال: يا قنفذ انطلق فقل له أجب أبا بكر فأقبل قنفذ فقال: يا علي أجب أبا بكر فقال علي: إني لفي شغل وما كنت بالذي أترك وصية خليلي وأخي وانطلق إلى أبي بكر وما اجتمعتم عليه من الجور.

فانطلق قنفذ فأخبر أبا بكر فوثب عمر غضبان فنادى خالد بن الوليد وقنفذاً فأمرهما أن يحملا حطباً وناراً ثم أقبل حتى انتهى إلى باب علي وفاطمة، وفاطمة قاعدة خلف الباب قد عصبت رأسها ونحل جسمها على وفاة رسول الله فأقبل عمر حتى ضرب الباب ثم نادى: يا ابن أبي طالب افتح الباب، فقالت فاطمة: يا عمر ما لنا ولك لا تدعنا وما نحن فيه، قال: افتحي الباب وإلا أحرقناه عليكم، فقالت: يا عمر أما تتقي الله عز وجل تدخل عليَّ بيتي وتهجم عليَّ داري فأبى أن ينصرف، ثم دعا عمر بالنار فأضرمها في الباب فأحرق الباب ثم دفعه عمر فاستقبلته فاطمة وصاحت: يا أبتاه يا رسول الله! فرفع السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت فرفع السوط فضرب به ذراعها فصاحت يا أبتاه فوثب علي بن أبي طالب فأخذ بتلابيب عمر ثم هزّه فصرعه ووجأ أنفه ورقبته وهمَّ بقتله فذكر قول رسول الله وما أوصى به من الصبر

والطاعة، فقال: والذي كرّم محمداً بالنبوة يابن صهاك لولا كتاب من الله سبق لعلمت أنك لا تدخل بيتي.

فأرسل عمر يستغيث فأقبل الناس حتى دخلوا الدار وسل خالد بن الوليد السيف ليضرب فاطمة فحمل عليه بسيفه فأقسم على علي إلّا كف، وأقبل المقداد وسلمان وأبو ذر وعمار وبريدة الأسلمي حتى دخلوا الدار أعواناً لعلي حتى كادت تقع فتنة فأُخرج علي واتبعه الناس واتبعه سلمان وأبو ذر والمقداد وعمار وبريدة وهم يقولون: ما أسرع ما خنتم رسول الله وأخرجتم الضغائن التي في صدوركم وقال بريدة بن الخصيب الأسلمي: يا عمر أتيت على أخي رسول الله ووصيه وعلى ابنته فتضربها وأنت الذي تعرفك قريش بما تعرفك به، فرفع خالد بن الوليد السيف ليضرب به بريدة وهو في غمده فتعلق به عمر ومنعه من ذلك فانتهوا بعلي إلى أبي بكر ملبباً، فلما نظر به أبو بكر صاح: خلّوا سبيله، فقال: ما أسرع ما توثبتم على أهل بيت نبيكم يا أبا بكر بأي حق وبأي ميراث وبأي سابقة تحث الناس إلى بيعتك ألم تبايعني بالأمس بأمر رسول الله؟ فقال عمر: دع عنك هذا يا علي فوالله إن لم تبايع لنقتلك، فقال علي: إذاً والله أكون عبداً لله وأخا رسول الله المقتول، فقال عمر: أما عبد الله المقتول فنعم وأما أخو رسول الله فلا، فقال علي: أما والله لولا قضاء من الله سبق وعهد عهده إلي خليلي لست أجوزه، لعلمت أينا أضعف ناصراً وأقل عدداً، وأبو بكر ساكت لا يتكلم.

فقام بريدة فقال: يا عمر ألستما اللذين قال لكما رسول الله انطلقا إلى علي فسلما عليه بإمرة المؤمنين فقلتما أعن أمر الله وأمر رسوله؟

فقال: نعم، فقال أبو بكر: قد كان ذلك يا بريدة ولكنك غبت وشهدنا والأمر يحدث بعده الأمر، فقال عمر: ما أنت وهذا يا بريدة وما يدخلك في هذا؟! قال بريدة: والله لا سكنت في بلدة أنتم فيها أمراء، فأمر به عمر فضرب وأخرج.

ثم قام سلمان فقال: يا أبا بكر اتق الله وقم عن هذا المجلس ودعه لأهله يأكلوا به رغداً إلى يوم القيامة، لا يختلف على هذه الأمة سيفان.

فلم يجبه أبو بكر، فأعاد سلمان فقال مثلها؟ فانتهره عمر وقال: ما لك ولهذا الأمر وما يدخلك فيما هاهنا؟!

فقال: مهلًا يا عمر، قم يا أبا بكر عن هذا المجلس ودعه لأهله يأكلوا به والله خضراً إلى يوم القيامة وإن أبيتم لتحلبن به دماً وليطمعن فيه الطلقاء والطرداء والمنافقون والله لو أعلم إني أدفع ضيماً أو أعز لله ديناً لوضعت سيفي على عاتقي ثم ضربت به قدماً، أتثبون على وصي رسول الله فأبشروا بالبلاء واقنطوا من الرخاء.

ثم قام أبو ذر والمقداد وعمار فقالوا لعلي: ما تأمر؟

والله إن أمرتنا لنضربن بالسيف حتى نقتل، فقال علي: كفوا رحمكم الله واذكروا عهد رسول الله وما أوصاكم به فكفوا، فقال عمر لأبي بكر وهو جالس فوق المنبر: ما يجلسك فوق المنبر وهذا جالس محارب لا يقوم فيبايعك أوتأمر به فنضرب عنقه، والحسن والحسين قائمان على رأس علي فلما سمعا مقالة عمر بكيا ورفعا أصواتهما: يا جداه يا رسول الله! فضمهما عليّ إلى صدره وقال: لا تبكيا فوالله لا

يقدران على قتل أبيكما هما أذل وأدخر من ذلك، وأقبلت أم أيمن النوبية حاضنة رسول الله وأم سلمة فقالتا: يا عتيق ما أسرع ما أبديتم حسدكم لآل محمد، فأمر بهما عمر أن تخرجا من المسجد، وقال: ما لنا وللنساء، ثم قال: يا علي قم بايع، فقال علي: وإن لم أفعل، قال: إذاً والله تضرب عنقك قال: كذبت والله يا ابن صهاك لا تقدر ذلك أنت ألأم وأضعف من ذلك فوثب خالد بن الوليد واخترط سيفه وقال: والله إن لم تفعل لأقتلنك، فقام إليه علي وأخذ بمجامع ثوبه ثم دفعه حتى ألقاه على قفاه ووقع السيف من يده، فقال عمر: قم يا علي بن أبي طالب فبايع، قال: فإن لم أفعل؟ قال: إذاً والله نقتلك، واحتج عليهم علي ثلاث مرات ثم مدّ يده من غير أن يفتح كفه فضرب عليها أبو بكر ورضي بذلك ثم توجه إلى منزله وتبعه الناس [(١)].

هذه فصول من التاريخ أضعها أمامكم وهي موثقة في كتب الفريقين فاقرؤوها بتجرد وراجعوا هذا وذاك وخذوا قراركم.

وتحريق دار علي تخطى التاريخ إلى الأدب وقد ذكرها شاعر النيل حافظ إبراهيم في قصيدته العمرية وإليكها:

وقولة لعلي قالها عمر أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرَّقت دارك لا أبقي عليك بها إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها

ما كان غير أبي حفص بقائلها أمام فارس عدنانٍ وحاميها

وأما شعراء المنبر الحسيني الذين ذكروا هذه الواقعة فهم كثر، قال

---

(١) كتاب سليم بن قيس، ص٢٢٩ ـ ٢٣٣، طبعة دار الإرشاد الإسلامي، بيروت..

أحدهم:

فـأسـقـطـت بـنـت الـهـدى واحـزنـا جـنـيـنـهـا ذاك الـمـسـمّـى مـحـسـنـا

وقال آخر:

أوتـدري مـا صـدر فـاطـم مـا الـمـسـمـار مـا حـال ضـلـعـهـا الـمـكـسـور

مـا سـقـوط الـجـنـيـن، مـاحـمـرة الـعـيـن مـا بـال قـرطـهـا الـمـنـثـور

قال ثالث:

ولـسـت أدري خـبـر الـمـسـمـار سـلْ صـدرهـا خـزانـة الأسـرار [(١)].

استمرت فاطمة في معارضتها للحكومة الجديدة وطالبتهم بفدك التي صادروها منها ورفعت دعوى قضائية أمام الخليفة وجاءت بالشهود علي والحسنين وأم أيمن أن فدكاً لها وأن وكيلها فلان وقد منحها النبي فدك في حياته ومنذ معركة خيبر وفاطمة تملك فدكاً نحلة لها من أبيها رسول الله الذي استولى على فدك دون قتال وله الحق أن يمنحها من يشاء وكان يريد أن يعوض على فاطمة مال أمها خديجة وكان مثل الرمال والذي أنفقه النبي في سبيل الإسلام ولم يبق لفاطمة ديناراً ولا درهماً فاستأثر القوم بفدك دعماً للدولة الجديدة.

ذهبت إلى المسجد والمسجد مملوء وخطبت خطبتها الشهيرة التي اختصرت فيها الفلسفة والأدب والعلوم والفرائض وقدمت حجتها بأوفى بيان وأوضح برهان:

---

(١) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، القزويني، ص٢١٤.

تعظ القوم في أتم بيان

حكت المصطفى بها وحكاها يراجع نصّ الخطبة في ملاقات النساء، المجالس السنية [1]، وكل ما قالته من حكم وما قدمته من شهود عدول ومن مرافعة شرعية لم يؤثر في القوم الذين أصروا على انتزاع فدك من يدها لعلمهم أن فدكاً ذات مردود اقتصادي كبير ويجب إفقار المعارضة السياسية حتى لا تتمتع بأي قوة تواجه بها الحكومة الجديدة.

ولما منعوها حقها وغصبوها إرثها لجأت إلى بيتها حزينة ودبّ المرض في جسدها النحيل وبدأ الضعف يتنامى في قوتها حتى وصل الخبر إلى الخليفة ونائبه.

وهنا توسطا علياً في زيارتها ولما كلّمها وقال لها: يا ابنة الصفوة وبقية النبوة إن فلان وفلان قد كلماني في زيارتك، فأبت، فقال لها: إني ضمنت لهما ذلك، فوافقت ولما أعلمهما علي بالموافقة انطلقا ولما قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط فسلّما عليها فلم ترد السلام.

فتكلم أبو بكر قائلًا: يا حبيبة رسول الله والله إن قرابة رسول الله أحب إليّ من قرابتي وإنك لأحب إلي من ابنتي عائشة ولوددت يوم مات أبوك إني متّ ولا أبقى بعده أفتراني أعرفكِ وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله

إلا أني سمعت رسول الله يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ما

(١) الطبري، وأيضاً المصدر السابق، ص٢٤٢ . ٣٦٧ مع الشرح.

تركناه صدقة.

فقالت: أرأيتما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله تعرفانه وتفعلان به فقالا: نعم، فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي فمَن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني ومن أرضَ فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني، قالا: نعم، سمعناه من رسول الله.

قالت: فإنّي أشهد الله وملائكته أنكما أسخطماني وما أرضيتماني ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه.

فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه ومن سخطك يا فاطمة، ثم انتحب يبكي حتى كادت نفسه تزهق وهي تقول: والله لأدعون عليك في كل صلاة أصلّيها.

ثم خرج باكياً فاجتمع الناس إليه فقال لهم: يبيت كل رجل معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا فيه لا حاجة لي في بيعتكم أقيلوني بيعتي [(١)].

وقال شريف مكة:

جرعاها من بعد والدها الغيظ مراراً فبئس ما جرعاها

ليت شعري ما كان ضرهما الحفظ لعهد النبي لو حفظاها

---

(١) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص٤١٧، وسيرة الأئمة، هاشم معروف الحسني، ج١، ص١٣٥.

كان إكرام خاتم الرسل الهادي البشير الـــنـــذيـــر لـــو أكـــرمـــاهـــا
ولكان الجميل أن يُقطعاها فدكاً لا الـجـمـيـل أن يَـقـطـعـاهـا

موت فاطمة:

ولما أحست فاطمة بدنوّ أجلها استدعت أمير المؤمنين فأوصته وصيتها وألحّت عليه أن يواري جثمانها في غسق الليل وأن لا يحضر جنازتها أحد من الذين ظلموها وجحدوا حقها وأن يُخفى موضع قبرها.

وأوصت أسماء أن تهيء لها نعشاً يسترها وأن تتولى غسلها وأن تمنع النساء وحتى أمهات المؤمنين من الدخول عليها بعد الموت ولما ماتت وأقبلت عائشة تريد الدخول إلى البيت الذي فيه الجثمان الطاهر منعتها أسماء وقالت عهدت إليّ الزهراء أن لا يدخل عليها أحد، كما جاء في رواية أسد الغابة وكنز العمال.

وانصرف علي عملًا بوصيتها أظهر لهم عن طريق سلمان أنه يريد تأخير الجنازة إلى الغد ولمّا مضى من الليل شطره الأكبر والناس نيام أخرجها مع جماعة من خلّص أصحابه وآل بيته ودفنها ليلًا في البقيع كما روى أكثر المحدثين ومثله رواية البحار أنها دفنت في بيتها.

ورثاها الإمام بأوجع ما يمكن من كلام مؤثر حباً وحناناً وتراه في موقفه هذا والجمر يلهب في أحشائه والأسى يضطرم في قلبه ودموع عينيه تجري على خديه وهو يعتصر الألم والألم يحزّ في كيانه وحشاياه لهفاً ولوعة.

وهاكَ مختصر ما قال أديب الشرق عباس محمود العقاد، قال:

إن في كل دين صورة للأنوثة الكاملة المقدسة يتخشع بتقديسها المؤمنون كأنها هي آية الله من ذكر وأنثى، فإذا تقدست في المسيحية صورة مريم العذراء ففي الإسلام لا جرم أن تتقدس صورة فاطمة البتول.

لقد أخذت الزهراء مكانها الرفيع بين أعلام النساء في التاريخ واقترن اسمها بمئات الشهداء وظل اسم المنتسبين إليها يقضّ مضاجع الحكام وطغاة العصور مئات السنين وكان لأكبر دولة إسلامية شرف الانتساب إليها خلال ثلاثة قرون أو تزيد بل كان الانتساب إليها من أقوى الدعائم لأنها بنت نبي وزوجة إمام وأم لآلاف الشهداء الذين استشهدوا في سبيل الضعفاء والمحرومين والمعذبين بل لأنها رافقت دعوة أبيها منذ بدايتها وتأصلت في نفسها حتى أصبحت وكأنها جزء من كيانها وطبيعتها تمدها بالثبات على الحق والدفاع عن المظلومين مهما كان الثمن غالياً[١].

أترك القلم الذي سطر هذه المعلومات الموثقة وأوكل القارىء إلى فهمه وموضوعيته وأقول فيك الخصام وأنت الخصم والحكم ولا تحكم إلّا بالحق والحق أحق أن يتبع.



---

(١) سيرة الأئمة الأطهار، هاشم معروف الحسني، ص١٣٨.

فدك

▽س٢٩: قال رسول الله نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة وقد رواه أبو بكر وهو معروف بعلاقته مع النبي، وتدعي الشيعة أن فدك ميراث الزهراء فكيف هذا والأنبياء لا يورّثون؟

ج٢٩: فدك: قرية في الحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة وهي أرض يهودية في مطلع تاريخها المأثور وكان يسكنها طائفة من اليهود ولم يزالوا على ذلك حتى السنة السابعة حيث قذف الله الرعب في قلوب أهليها فصالحوا رسول الله على النصف من فدك وروي أنه صالحهم عليها كلها.

وابتدأ بذلك تاريخها الإسلامي فكانت ملكاً لرسول الله لأنها ممّا لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ثم قدمها النبي لابنته الزهراء وبقيت عندها حتى توفي أبوها فانتزعها منها الخليفة الأول. على حد تعبير صاحب الصواعق المحرقة. وأصبحت من المصادر المالية العامة وموارد ثروة الدولة يومذاك، حتى تولى عمر الخلافة فدفع فدكاً إلى ورثة رسول الله وبقيت فدك عند آل محمد إلى أن تولى الخلافة عثمان بن عفان فأقطعها مروان بن الحكم على ما قيل ثم يهمل التاريخ أمر فدك بعد

عثمان فلا يصرح عنها بشيء ولكن الشيء الثابت هو أن أمير المؤمنين علياً انتزعها من مروان على تقدير كونها عنده في خلافة عثمان بن عفان كسائر ما نهبه بنو أمية في أيام خليفتهم [وعادت كما كانت لورثة فاطمة].

ولما ولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة أمعن في السخرية وأكثر من الاستخفاف بالحق المهضوم فأقطع مروان بن الحكم ثلث فدك وعمر بن عثمان ثلثها ويزيد ابنه ثلثها الآخر، فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت كلها لمروان بن الحكم أيام ملكه ثم صفت لعمر بن عبد العزيز بن مروان فلما تولى الخلافة رد فدك على ولد فاطمة وكتب إلى واليه على المدينة أبي بكر بن عمر بن حزم يأمره بذلك فكتب إليه: إن فاطمة قد ولدت في آل عثمان وآل فلان وفلان فعلى من أرد منهم؟

فكتب إليه: أما بعد، فإني لو كتبت إليك آمرك أن تذبح بقرةً لسألتني ما لونها فإذا ورد عليك كتابي هذا فأقسمها في ولد فاطمة من علي.

فاستنكر بنو أمية ذلك على عمر بن عبد العزيز وعاتبوه وقالوا له: هجّنت فعل الشيخين.

فلما عاتبوه على فعله قال لهم: إنكم جهلتم وعلمت ونسيتم وذكرت، إن أبا بكر بن محمد بن عمر بن حزم حدثني عن أبيه عن جده أن رسول الله قال: فاطمة بضعة مني يسخطها ما يسخطني ويرضيني ما أرضاها، وإن فدك كانت صافية على عهد أبي بكر وعمر ثم صار أمرها إلى مروان فوهبها لعبد العزيز أبي فورثتها أنا وأخوتي عنه فسألتهم أن

يبيعوني حصتهم منها فمن بائع وواهب حتى استجمعت لي فرأيت أن أردها على ولد فاطمة فقالوا له: فإن أبيت إلا هذا فامسك الأصل واقسم الغلة، ففعل.

ثم انتزعها يزيد بن عبد الملك من أولاد فاطمة فصارت في أيدي بني مروان حتى انقرضت دولتهم.

فلما قام أبو العباس السفاح بالأمر وتقلد الخلافة ردّها على عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ثم قبضها أبو جعفر المنصور في خلافته من بني الحسن، وردها المهدي بن المنصور على الفاطميين ثم قبضها موسى بن المهدي من أيديهم.

ولم تزل في أيدي العباسيين حتى تولى المأمون الخلافة فردّها على الفاطميين سنة ٢١٠هـ وكتب بذلك إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة:

(أما بعد فإن أمير المؤمنين بمكانة من دين الله وخلافة رسول الله والقرابة به أولى من استنّ سنّته، وسلّم لمن منحه منحةً وتصدق عليه بصدقة منحته وصدقته وبالله توفيق أمير المؤمنين وعصمته وإليه في العمل بما يقربه إليه رغبته، وقد كان رسول الله أعطى فاطمة بنت رسول الله فدك وتصدق بها عليها وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا اختلاف فيه بين آل رسول الله ولم تزل تدّعي منه ما هو أولى به مَن صَدَق عليه، فرأى أمير المؤمنين أن يردها إلى ورثتها ويسلمها إليهم تقرباً إلى الله تعالى بإقامة حقه وعدله وإلى رسول الله بتنفيذ أمره وصدقته فأمر بإثبات ذلك في دواوينه والكتاب إلى عماله فلئن كان يُنادى في كل موسم بعد

أن قبض الله نبيه ﷺ أن يذكر له كل من كانت له صدقة أو هبة أو عِدة فيقبل قوله وتنفذ عدته، إن فاطمة رضي الله تعالى عنها لأولى أن يصدّق قولها فيما جعل رسول الله ﷺ لها وقد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبري مولى أمير المؤمنين يأمره برد فدك على ورثة فاطمة بنت رسول الله بحدودها وجميع حقوقها المنسوبة إليها وما فيها من الرقيق والغلات وغير ذلك وتسليمها إلى محمد بن يحي بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لتولية أمير المؤمنين إياهما القيام بها لأهلها.

فاعلمْ ذلك من رأي أمير المؤمنين وما ألهمه الله تعالى من طاعته ووفقه له من التقرب إليه وإلى رسوله وأعلمه من قِبَلك، وعامل محمد بن يحيى ومحمد بن عبد الله بما كنت تعامل به المبارك الطبري وأعنهما على ما فيه عمارتها ومصلحتها ووفور غلاتها إن شاء الله والسلام).

ولما بويع المتوكل على الله انتزعها من الفاطميين وأقطعها عبد الله بن عمر البازيار وكان فيها إحدى عشرة نخلة غرسها رسول الله بيده الكريمة فوجه عبد الله بن عمر البازيار رجلًا يقال له بشران بن أبي أمية الثقفي إلى المدينة فصرم تلك النخيل ثم عاد إلى البصرة ففلج.

وينتهي آخر عهد الفاطميين بفدك بخلافة المتوكل ومنحه إياها عبد الله بن عمر البازيار [١].

سردنا لكم هذا التاريخ لتعلموا تفاصيل القصة الكاملة باختصار

---

(١) راجع فدك في التاريخ، السيد محمد باقر الصدر، ص٩.

ولتعلم مدى جناية السقيفة على فاطمة ولتعلموا أن الحق عندما يغصب ويأخذه غير أهله يتحول إلى ألعوبة كما حولها عثمان إلى نسيبه مروان خيط الباطل الذي قال فيه خازن بيت مال عثمان عندما أعطى عثمان مروان خمس مال أفريقية قال له الخازن: لو أعطيت مروان مائة درهم كان كثيراً.

ويظهر أيضاً أن فدك قد حازت أهمية كبرى لأنها من القطائع الواسعة وكان للسياسة دور بارز وحساس في هذه القرية فقد كانت تعود فدك لأصحابها عندما تكون الظروف السياسية تتطلّب ذلك كما فعل عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وأبو العباس السفاح والمهدي ابن المنصور والمأمون ابن الرشيد وكم كان للمأمون حظ حيث أفرح القلوب وأعاد الحق إلى نصابه فأنشد دعبل يقول:

أصبح وجه الزمان قد ضَحِكا بردّ مأمونِ هاشمٍ فدكا

كما أن فدكاً لم تكن أرضاً صغيرة من الناحية المادية بل كانت ذات قيمة مادية عالية ويدلّ على مقدارها المادي ما يلي:

الأول: إن خلافة السقيفة استعانت في غلّتها لتقوية دولتها الجديدة التي بدأت من الصفر ومن الجلي الواضح أنّ أرضاً يستعان بها على تعديل ميزانية دولة فقيرة في ظروف حرجة كظروف الثورات والمتطلبات المتزايدة في النفقات لتعبئة الجيش وإيفاد الرسل وتثبيت الأمن وإرضاء ذوي المطامع لا بد أن يكون إنتاجها عظيماً.

الثاني: قول الخليفة في محاورة له مع الزهراء إن هذا المال لم يكن للنبي وإنما كان من أموال الأمة يحمل النبي الرجال وينفقه في سبيل

الله فكلمة يحمل به الرجال تدل دلالة واضحة على كثرته.

الثالث: ما سبق من تقسيم القرية بين ثلاثة من أمراء بني أمية مروان صاحب المطامع وعمر بن عثمان ويزيد بن الخليفة ولو لم يكن الثلث له قيمة مادية كبيرة كيف يأخذ يزيد الثلث فقط.

الرابع: التعبير عنها بقرية كما في معجم البلدان وليست مزرعة وتقدير نخيلها بنخيل الكوفة في القرن السادس الهجري كما في شرح النهج لابن أبي الحديد.

وقد ذكرنا في ما مضى: أنّ الروايات في حق فاطمة وعصمتها وصدقها ونزاهتها فاقت حد الحصر وأهم الروايات أنّ (فاطمة يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها)، (فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ويرضيني ما يرضيها)، (فاطمة صدّيقة هذه الأمة)، (فاطمة سيدة نساء العالمين).

وكانت هذه الروايات في متناول الصحابة ولذلك عندما جاء أبو بكر وعمر يسلّمان على فاطمة وكانت واجدة عليهما (أي غاضبة) سلّما عليها فلم تردّ كما ذكرنا ثم استحلفتهما بالله ثم استشهدتهما فشهدا لها بما تقول وأنه حق وأن من يؤذيها يؤذي أباها ويؤذي الله تبارك وتعالى.

وقالت لهما بعد ذلك إنكما أذيتماني وما أرضيتماني وكذبتماني ولم تصدقاني، وقالت لهما لا أرضى عنكما أبداً، وماتت وهي ساخطة عليهما وأوصت أن لا يحضرا جنازتها ولا يصليا عليها.

إذا كانت فاطمة بهذه المثابة من الصدق واليقين والعصمة والنزاهة فلم لم يصدقاها ويعطياها حقها؟!

مع أن أبا بكر كان عندما تأتيه الأموال ينادي بالناس من كان له عند رسول الله دين أو عِدة فليأتِ وكان الناس يأتون فيأخذون كما يقولون بلا بيّنة فهل كان هؤلاء أصدق من فاطمة، وفاطمة قدّمت البيّنة وهي لا تحتاج إلى بيّنة ومع ذلك لم يقبل منها مع البيّنة وإليك بعض النماذج:

فقد جاء في صحيح البخاري ج٣، ص١٨٠: أن النبي لما مات جاء لأبي بكر مال من قبل العلاء بن الحضرمي فقال: من كان له على النبي دين أو كانت قبله عِدة فليأتنا قال جابر: فقلت وعدني رسول الله أن يعطيني هكذا وهكذا وهكذا فبسط يده ثلاث مرات فعدَّ في يدي خمسمائة خمسمائة خمسمائة.

يُروى في الطبقات عن أبي سعيد الخدري أنه قال: سمعت منادي أبي بكر ينادي بالمدينة حين قدم عليه مال البحرين: من كانت له عِدة عند رسول الله فليأتِ، فيأتيه رجال فيعطيهم، فجاء أبو بشير المازني فقال: إن رسول الله قال يا أبا بشير إذا جاءنا شيء فأتنا فأعطاه أبو بكر حفنتين أو ثلاثاً فوجدوها ألفاً وأربعماية درهم.

تأمل أيها الأخ الكريم كيف يتعامل الخليفة مع الناس فيصدقهم ولا يسألهم، فهم صادقون والتشكيك وحده على فاطمة وصدقها، القضاء والنظام القضائي فقط على فاطمة ورحم الله من قال:

ولكان الجميل أن يُقطعاها فدكاً

لا الجميل أن يَقطعاها

ولكن الشيخين قطعا ظهرها بهذا الموقف وكذَّباها أمام الملأ

وحرماها بلغتها وميراثها فهل كانت فاطمة الصدوقة والصديقة كاذبة وهي وديعة رسول الله في هذه الدنيا ومع ذلك يعاملانها هذه المعاملة؟!

ألا يدلّ أن الصدّيق والفاروق كانا يتقصّدان ذلك العمل مع سطوع الحجة وبيان القصة وصدق الزهراء بأن النبي نحلها فدك وكانت من السنة السابعة إلى العاشرة تجبي إنتاجها وتوزرع ذلك على أهلها وتتصدق بالباقي وهي نحلةُ وهي ميراث لها ولم يكن لأبيها حين مات وارث غيرها ولم تدَّعِ واحدةُ من زوجات النبي شيئاً من الميراث، وأيضاً لم يتعامل مع أمهات المؤمنين في شأن البيوت كما تعامل مع الزهراء بل ترك لهن البيوت وليس لهن إلا الشيء الزهيد من البيت ومع ذلك ترك النساء وشأنهن وبيوتهن إلا الزهراء فإنه ألحَّ في خصامها وانتزع منها النحلة والميراث وادّعى بأنه القائم مقام النبي وله كل الصلاحيات ومنها مصادرة الأموال العامة وفدك من الأموال العامة كما صودرت فريضة الخمس حتى تغيرت الأوضاع وصار لهم أنصار وأعوان يعتقدون في أحقيتهم ويقدمون لهم أخماس المال.

هذه حقائق أضعها بين يديك أيها السائل آملًا أن تكون قد ساعدت في كشف الحقائق التي أُسْدِلَ عليها ألف ستار في أكثر من ألف عام، والحمد لله رب العالمين.



مصحف فاطمة عليها السلام

▽س٣٠: الشيعة يدَّعون أن هناك مصحف غير الذي بين أيدي الناس حالياً ويسمّى بمصحف فاطمة وفي هذا المصحف آيات تنص على خلافة علي وفيه كل الآيات غير المحرّفة الموجودة في القرآن الحالي وهذا المصحف سيخرجه المهدي معه عندما يظهر.

ج٣٠: قبل البدء عن مصحف فاطمة لا بدّ من التأكيد على ما يلي:

إن لازم سؤالك أن القرآن الذي بين أيدي الناس هو محرّف حسب سؤالكم وأن المصحف الصحيح هو مصحف فاطمة الذي لا تحريف فيه والذي هو موجود في خزائن المهدي وسوف يخرجه في أيام ظهوره المباركة.

ولتصحيح معلوماتك لا يوجد عند شيعة آل محمد من يقول بتحريف القرآن من علمائهم الأصوليين ومن مراجع الدين منذ العهود الأولى إلى يومنا هذا وإليك ما يقوله السيد الخوئي في كتابه (البيان في تفسير القرآن) وهو أفضل من عالج هذه الظاهرة [١].

---

(١) راجع البيان في تفسير القرآن، ص٢١٨.

بعد أن يُبين المقصود من التحريف، يقول:

(السادس: التحريف بالنقيصة بمعنى أن المصحف الذي بين أيدينا لا يشتمل على جميع القرآن الذي نزل من السماء فقد ضاع بعضه على الناس.

والتحريف بهذا المعنى هو الذي وقع فيه الخلاف فأثبته قوم ونفاه آخرون.

والمعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن وأن الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الأعظم وقد صرّح بذلك كثير من الأعلام منهم رئيس المحدثين الصدوق محمد بن بابويه وقد عد القول بعدم التحريف من معتقدات الإمامية.

ومنهم شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي وصرّح بذلك في أوائل تفسيره (التبيان).

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣].

وإليك بعض الروايات رواها ثقة الإسلام الشيخ محمد بن يعقوب في كتاب (أصول الكافي) كتاب الحجة ص ٢٤ وما بعدها،

وهي روايات معتبرة جداً:

عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن الحسين بن أبي العلاء قال: سمعت أبا عبد الله يقول: إن عندي الجفر الأبيض قال: قلت: فأي شيء فيه؟

قال: زبور داوود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم والحلال والحرام ومصحف فاطمة ما يزعم أن فيه قرآناً وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد حتى فيه الجلدة ونصف الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش وعندي الجفر الأحمر قال: قلت وأي شيء في الجفر الأحمر قال: السلاح وذلك إنما يفتح للدم يفتح صاحب السيف للقتل، فقال له عبد الله ابن أبي يعفور: أصلحك الله أيعرف هذا بنو الحسن؟

قال: أي والله كما يعرفون الليل أنه ليل والنهار أنه نهار ولكنهم يحملهم الحسد وطلب الدنيا على الجحود والإنكار ولو طلبوا الحق بالحق لكان خيراً لهم.

ثم يستمر الإمام بعرض المعلومات عندما يسأله: ومصحف فاطمة؟

قال: فسكت طويلًا ثم قال: إنكم لتبحثون عما تريدون وعما لا تريدون إن فاطمة مكثت بعد رسول الله خمسة وسبعين يوماً وكان دَخَلَها حزنٌ شديد على أبيها وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة.

والرواية واضحة أن جبرئيل كان يملي وكان علي يكتب وكان محتوى المصحف قيمة النبي عند ربه والتشويق لهذه المكانة والإخبار عمّا يحدث على ذريتها من الفتن والبلاوى والتشريد والقتل...إلخ وأي علاقة لهذا بالقرآن الكريم والزيادة وأنه القرآن الصحيح عند الشيعة؟.

ولإتمام الفائدة أنقل ما روى عن السيد الخميني (قدس سره) في

مصحف فاطمة يقول (قده): إعلم إني قاصر بالتحدث عن الصدّيقة سلام الله عليها وأكتفي بذكر رواية منقولة في الكافي بسند معتبر.

ثم يذكر الرواية المنقولة آنفاً يقول الإمام الصادق:

إن فاطمة مكثت بعد رسول الله خمسة وسبعين يوماً وكان دخلها حزنٌ شديد على أبيها وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون.

ويعلّق (قده): وظاهر الرواية أنه كان يراودها في هذه الخمسة والسبعين يوماً يعني إن ذهاب ومجيء جبرئيل كثيراً ولا أتصور أنه ورد مثل ذلك لأحد غير الطبقة الأولى من الأنبياء العظام بحيث كان يتردد جبرئيل في خلال الخمسة والسبعين يوماً ويذكر المسائل الآتية التي سوف تفتح في المستقبل على ذريتها وكان علي يكتب ذلك فكان حضرة الأمير كاتب وحي فاطمة في هذه الخمسة والسبعين يوماً كما كان كاتب وحي رسول الله وطبعاً أن الوحي هذا لم يكن بمعنى نزول الأحكام فإنها تمت برحيل الرسول الأكرم.

إن مسألة نزول جبرئيل على إنسان ليست مسألة عادية فلا يتخيل أن جبرئيل يأتي لأي كان أو من الممكن ذلك فيلزم التناسب (السنخية) بين روح ذلك الإنسان الذي يريد جبرئيل أن ينزل عليه، وبين مقام جبرئيل الذي هو الروح الأعظم.

سواء قلنا بأن قضية التنزيل وتنزيل جبرئيل يكون سبب نفس الروح الأعظم لهذا الولي أو النبي فهو الذي يتنزله ويهبطه إلى المرتبة الأدنى وسواء قلنا: لا وإنما يأمره الحق تعالى أن يذهب ويلقي هذه المسائل.

فسواء قلنا بذلك النحو الذي يقول به بعض أهل النظر أو قلنا بهذا الذي يقول به أهل الظاهر فلا يمكن تحقق هذا المعنى وهذا التناسب الذي كان بين جبرئيل الذي هو الروح الأعظم وبين أنبياء الدرجة الأولى مثل رسول الله وموسى وعيسى وإبراهيم وأمثالهم والذي لم يتحقق عند كل إنسان ما لم تتحقق السنخية . التناسب . ما بين روح هذا الإنسان الذي يتنزل عليه جبرئيل وبين جبرئيل الذي هو الروح الأعظم.

وإنني لم أر حتى في حق الإئمة أنه ورد بأنَّ جبرئيل هكذا نزل عليهم وإنما حسبما رأيت أن ذلك كان فقط للزهراء سلام الله عليها حيث تنزل عليها جبرئيل بشكل مكرر فيه الخمسة والسبعين يوماً وأخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان علي يكتب ذلك.

ولعل أحد المسائل التي أخبرها بها تتعلق بالمسائل التي تكون في عصر أعظم ذريتها صاحب الزمان سلام الله عليه ومع أننا لا نعلم فمن الممكن أن تكون مسائل إيران جزء من المسائل.

وعلى كل حال فإني أرى أن هذه الفضيلة والمنقبة أعلى من كل الفضائل العظمى التي ذكروها للزهراء فإنها لم تحصل لغير الأنبياء ومع ذلك لم تحصل لكل الأنبياء وإنما للطبقة العليا من الأنبياء وبعض الأولياء الذين في رتبتهم.

وأن هذا التعبير بأن جبرئيل كان يأتيها في هذه الخمس والسبعين يوماً لم يحدث لحد الآن لأي إنسان آخر وهذا من الفضائل المخصوصة بالزهراء الصديقة سلام الله عليها كما ورد في صحيفة نور ج١٩، ص٢٧٨، بتاريخ ١١/ ١٢/ ٦١ هجري شمسي..

الزواج المؤقت

▽س٣١: المتعة أو الزواج المؤقت قد حرّمه الرسول بعد معركة الخندق بقوله هي كانت حلالًا لكم وأنا أحرّمها عليكم ليوم الدين.

وأما الآية التي يدّعي الشيعة أنها في زواج المتعة فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة فالأجر المقصود به هنا المهر فأين الدليل على الزواج المؤقت من الكتاب والسنة؟

ج٣١: أما متعة النساء فهي قوله سبحانه ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗ﴾ [النساء: ٢٤] وكان ابن عباس وسعيد بن جبير والسّدي وغيرهم كانوا يقرؤنها (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمّى) وهو تفسير لنص الآية لا جزء منها.

وأما نصوص السنة في أصل مشروعيتها فإليك بعضه:

أخرج الشيخان في أصل مشروعيتها أحاديث صحيحة كثيرة عن كل من سلمة بن الأكوع وجابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن مسعود وابن عباس وسبرة بن معبد الجهني وأبي ذر الغفاري وعمران بن حُصَيْن والأكوع بن عبد الله السلمي وأخرجها أحمد بن حنبل في مسنده من حديث هؤلاء كلهم ومن حديث عبد الله بن عمر وأخرج مسلم في باب

نكاح المتعة من كتاب النكاح من الجزء الأول من صحيحه عن جابر بن عبد الله الأنصاري وسلمة بن الأكوع قالا: خرج علينا منادي رسول الله فقال: إن رسول الله أذن لكم أن تستمتعوا (١).

المبحث الثاني في دوام حلّها واستمرار إباحتها:

وقد ذهب إلى ذلك أئمتنا الإثنا عشر من أهل البيت وأهل البيت أدرى بالذي فيه وتبعهم على ذلك شيعتهم وأولياؤهم وحسبك حجةً لهم ما قد سمعته من إجماع المسلمين على أن الله تعالى شرّعها في دينه القويم وصدع بإباحتها في الذكر الحكيم وأذّن في الإذن بها رسول الله.

ولم يثبت نسخها عن الله تعالى ولا عن رسوله حتى انقطاع الوحي باختيار الله لنبيِّه دار كرامته ومأوى أصفيائه بل ثبت عدم نسخها بحكم صحاحنا المتواترة من طريق العترة الطاهرة فراجع في كتاب وسائل الشيعة إلى أحكام الشريعة (٢).

وإن ابتغيت صحاحا سواها فإليك ما أخرجه محدثوك أيها القائل بتحريمها.

أخرج مسلم في باب نكاح المتعة من صحيحه عن عطاء قال: قدم جابر بن عبد الله الأنصاري معتمراً فجئناه في منزله فسأله القوم عن أشياء ثمّ ذكروا المتعة فقال: نعم استمتعنا على عهد رسول الله وأبي بكر وعمر.

---

(١) راجع الفصول المهمة، ص٦٥.

(٢) راجع وسائل الشيعة، كتاب النكاح، فصل نكاح المتعة، ص٤٣٦ ـ ٤٩٦.

وأخرج مسلم في الباب المذكور أيضاً عن أبي نضرة قال: كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آتٍ فقال: ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين، فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله ثمّ نهانا عنهما عمر فلم نعدْ لهما.

وأخرج مسلم في الباب المذكور أيضاً عن أبي الزبير قال: سمعت جابر ابن عبد الله يقول: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله وأبي بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث.

وفحوى هذه الأحاديث أنهم كانوا يستمتعون أيام رسول الله وهو على علم يسمع ويعرف ويقرهم ومات رسول الله ولم يغير ما عليهم وأتى من بعده أبو بكر فلم يتعرض للنهي وأيضاً عندما جاء عمر استمر بالإباحة حتى حصلت قصة مع عمر بن حريث فاستشاط غضباً ونهى عنها وهذا صريح بأن النهي من عمر وحده، وعمر لا دخل له في التشريع لأن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة، ومعروف أن الأحكام أبدية ولا يُحرَّم إلا الذي أحل وحلل.

وقد اشتهر عن عمر بن الخطاب أنه قال وهو على المنبر متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما فنسب النهي إلى نفسه ولم يقل لنا سمعت رسول الله بأنه نهى أو غير ذلك من الألفاظ والصيغ التي تذكر النبي وعلاقته الأصلية بالحلال والحرام.

ونقل الفخر الرازي عنه ذلك محتجاً بالتحريم، ونقل فيلسوف الأشاعرة ومتكلمهم القوشجي في أواخر مبحث الإمامة أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب قال وهو على المنبر: ثلاث كنّ على عهد رسول الله

وأنا أنهي عنهن وأعاقب عليهن، متعة الحج ومتعة النساء وحي على خير العمل.

وأنكر على عمر مجموعة من الصحابة الأكارم، منهم جابر ورفاقه ومنهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كما ذكره الطبري والثعلبي قال: لولا أن نهى عمر عن المتعة ما زنى إلا شقي.

وفي رواية أخرى إلا شفا قليل.

ومنهم عبد الله بن العباس حيث قال: ما كانت المتعة إلا رحمةً رحم الله بها أمة محمد ولولا نهيه ـ عمر ـ عنها ما زنى إلا شفا.

والحديث موجود في نهاية ابن الأثير في مادة شفا ٥٨ ـ ٦١.

ومنهم عبد الله بن عمر كما هو ثابت عنه.

أخرج أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمر قال: سأله رجل عن متعة النساء، قال: والله ما كنا على عهد رسول الله زانين ولا مسافحين، ثم قال: والله لقد سمعت رسول الله يقول: ليكونن قبل يوم القيامة المسيح والدجال وكذابون ثلاثون أو أكثر [(١)].

والمتعة مشهور حِلَّها واضح أمرها في كتب الثقاة من المحدثين والمفسرين حتى أن المأمون العباسي أمر مؤذنيه فنادوا بتحليل المتعة ولما عرف المشايخ ذهبوا لإقناعه فسمعوه يقول وهو مغتاظ: متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أحرمهما وأعاقب عليهما يقول المأمون في

---

(١) مسند أحمد، ج٢، ص٩٥.

حالة غيظ: ومن أنت يا جُعل حتى تنهى عما أحلّه الله [(١)].

يقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه أصل الشيعة وأصولها ص٢٠٣ بعد أن يؤكد حليتها ويناقش بفكاهية من يقول بأنها منسوخة، يقول: وأعجب من كل هذا نسبة النهي عنها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع أن حلية المتعة قد صار شعاراً لأهل البيت وشارة لهم وكلمات علي التي صارت مثل الأمثال يتندر بها (لولا أن نهى عمر عن المتعة ما زنى إلا شفا).

وينقل رواية أخرى عن الراغب الأصفهاني عن يحيى بن أكثم قال: سأل يحيى بن أكثم شيخاً من أهل البصرة وكان يقول بحلّية المتعة: بمَن اقتديت بحلية المتعة حتى تبرىء ذمتك؟

قال الشيخ: بعمر بن الخطاب، فقال يحيى: كيف وهو الذي نهى عنها وعاقب عليها؟

قال له: نقل عنه بالتواتر قوله وهو على المنبر: متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما فأخذنا بشهادته وصدقنا بروايته ولم نقبل تهديده ولا وعيده ولا زجره ولا نهيه.

ثم يتلطف كاشف الغطاء وكان رحمه الله داعية وحدة فيقول: لا يعقل لمثل عمر في حرصه على الدين واتباعه لسيرة رسول الله وحفظه للأحكام أن يصدر منه خلاف ما ثبت عن النبي وربما يكون الباعث على هذا النهي أنه سمع خبراً مزعجاً فنهى عن المتعة نهياً مؤقتاً حتى لا يتجرأ

---

(١) راجع الفصول المهمة في تأليف الأمة، السيد شرف الدين، ص١٦٥ . ١٦٧.

البعض على التلاعب في حقوق النساء، وإلا فأبو حفص يعرف أن المتعة كان حكماً ثابتاً لا يجوز لأحد أن يغيره أو يبدله.

ونحن نقول: رحم الله الشيخ كاشف الغطاء الذي أعذَر عمر في هذا القانون العرفي وأنه لم يخالف النبي وإنما هو نهي مؤقت يرى ذلك لمصلحة، كتشريع القانون العرفي أيام الأزمات، ثم يزول هذا القانون وتعود الأمور إلى الحالة الأولى من الحلية أو الإباحة ولكن لم يذكر لنا هل أن عمر كان يحق له أن يشرّع مثل هذه القوانين؟

وهل ما صدر عنه من مخالفات كانت قوانين عرفية؟ وهل عندما زالت الأزمة عادت إلى طبيعتها وتحولت إلى قوانين ثابتة؟ هذه التصرفات جعلت الأمة تختلط عليها الأمور في الأحكام وذلك عنه كثير مثل قانون التفاضل في العطاء وتشريع الجماعة لصلاة التراويح وتحريم متعة الحج ومتعة النساء.

وفي أواخر أيامه كان يريد العودة عن قانون التفاضل في العطاء ولكنه لم يُمهل فأخذ على عجل من ذلك ولله في خلقه شؤون.

ويعجبني هنا أن أورد مناظرة صارت بين عالم لبناني ومجموعة من علماء الأزهر في ليبيا قبل أربعين عاماً سمعتها منه مشافهة ومات رحمه الله وهي في ذاكرتي، يقول: وجهّت إليّ دعوى في زمن الملكية فذهبت إلى ليبيا والتقيت الشخصيات الدينية السياسية بما فيهم الملك وطلب إليّ أن أخطب الجمعة فخطبت وأذكر أنه قال استمرّت خطبته ساعتين إلا ربع والناس في ذهول لبلاغته ثم صلّى بالناس.

وليلًا التقى البعثة الأزهرية وهم خمس وعشرون شيخاً معمماً وبلا

سبب ذكر رجل منهم الشيعة وقال هم يزنون عن طريق المتعة فوقف الشيخ وقال: إن صاحب الفضيلة قذف إخوانه الشيعة بالزنى عن طريق المتعة.

ثم قال: إن المتعة نزلت في آية محكمة واضحة ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: ٢٤].

وفي سورة المؤمنون ذكر القرآن: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

إلى أن قال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥-٧].

فهناك أحلّها وهنا حصر الحلية بالزواج وملك اليمين ولو كانت المتعة نوعاً ثالثاً لذكرها وإنما سكت عنها لأنها زواج شرعي.

ثم قال لهم: أريد أن أوجه لكم سؤالًا، قالوا: تفضل، قال: هل يجوز للخليفة أن يشرّع أو لا؟

فقال شيخ منهم: لا، قال: إذن المتعة أحلّها الله وأحلّها رسوله وكانت كما نقول جميعاً في زمن خلافة أبي بكر وسنتين من خلافة عمر، وعمر قال على المنبر: متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما، وبما أننا اتفقنا على أن عمر لا يحلّ له أن يشرّع فتشريع الحلّية باقٍ على حاله، فقال الشيخ المعاند: لنفترض أنه كان له أن يشرع؟

قال: سهلة وبسيطة، كانت المتعة كما سمعنا حلالًا ولمصلحة معينة حرّمها عمر بن الخطاب واستمرت من بعد ذلك حتى أواخر حياة عثمان لم يصدر منه شيء لا سلباً ولا إيجاباً ثم جاء الخليفة الرابع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فأعادها كما كانت في زمن رسول الله.

فقال الشيخ الذي أصيب بالصدمة: هذا كدل (أي جدل ولكن باللهجة المصرية تلفظ الجيم قريبة من الكاف)، فقال له رئيس البعثة: وآتنا بكدل (بجدل) مثله، والحمد لله رب العالمين.



الشهادة الثالثة في الأذان

▽س٣٢: الأذان سنّة كرّسها النبي ولم يكرّس الشهادة الثالثة وهي: (علي وليّ الله) فكيف يقوم الشيعة بزيادة الشهادة هذه في الأذان وهذا مخالف للسنّة؟

ج٣٢: إن أمير المؤمنين علياً سلام الله عليه هو عبد من عبيد الله الذين اصطفاهم وشرَّفهم ليواصلوا حمل أعباء الرسالة بعد أنبيائه وهؤلاء هم أوصياء الأنبياء فلكل نبيٍّ وصيٌّ وعلي بن أبي طالب هو وصي محمد ونحن نفضله على سائر الصحابة بما فضَّله الله ورسوله ولنا في ذلك أدلة عقلية ونقلية من القرآن والسنّة وهذه الأدلة لا يمكن أن يتطرق إليها الشك لأنها متواترة وصحيحة من طرقنا وحتى من طرق أهل السنة والجماعة، وقد أَلَّف في ذلك علماؤنا العديد من الكتب.

ولـمّا كان الحكّام الأمويون يعملون على طمس هذه الحقيقة ومحاربة أمير المؤمنين علي وأبنائه وقتلهم ووصل بهم الأمر إلى سبّه ولعنه على منابر المسلمين وحمل الناس على ذلك بالقوة والقهر فكان شيعة علي وأتباعه رضي الله عنهم يشهدون أنه وليّ، ولا يمكن للمرء أن يسبّ ولي الله، وذلك تحدياً منهم للسلطة الغاشمة حتى تكون العزة

لله ولرسوله وللمؤمنين وحتى تكون حافزاً تاريخياً لكل المسلمين عبر الأجيال فيعرفون حقيقة عليّ وباطل أعدائه.

وهذه الوقفة التاريخية والاستمرار في التحدي للسلطة الفعلية يومها وإيصال ذلك كله إلينا حمّلنا مسؤولية الاستمرار وإعلام الأمة الحاضرة بمظلومية علي التاريخية، ولا شك عندي لولا أن الشيعة لم يقفوا هذا الموقف لكان الحصار الإعلامي مع السب والشتائم ومعاقبة الشيعة وقتلهم سارياً إلى الآن بقوة، ولما كان لعليّ هذا الوهج في حضور الأمة المعاصرة، ولكنّ الثورات الشيعية على الحكم الأموي والذكر الدائم في الآذان وغيرها من الشعائر هو الذي جعل إخواننا المنصفين من أهل السنّة يرجعون إلى حقائق التاريخ فينبشونها ويظهرونها للناس كما فعل الكثير من كتاب هذا العصر.

أخصّ بالذكر شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت وأديب مصر عباس محمود العقاد والكاتب الشهير عبد الفتاح عبد المقصود وغيرهم وغيرهم في مصر والعراق ولبنان وكل بلاد الدنيا الذين أعادوا لعليّ وشيعته الصورة المشرقة.

وجعل الولاية الثالثة في الأذان على أنها حقيقة إيمانية لا بأس به شرط أن لا تكون جزءً من الأذان أو الإقامة وبعض فقهائنا المعاصرين لم يثبت عنده استحباب ذكرها في الأذان والإقامة وإذا لم يثبت الاستحباب تبقى الإباحة قائمة، وبقاءً على الأصل العام يجوز ذكر علي ولي الله من باب الإباحة العامة وذكرها من هذا المنظار لا يجعل الأذان والإقامة عرضة للبطلان.

والبعض الآخر من فقهائنا المعاصرين يعتبر أن ذكر الشهادة الثالثة يجب أن يكون مقتصراً على الأذان فقط لأن الإقامة بنظره مقدمة للصلاة ويحتمل كونها جزءً من الصلاة فإذا حشرت الولاية الثالثة في الإقامة تضر في الإقامة.

ومعنى هذا أن فقهاء الشيعة غير متمسكين بها ولم يقل أحد بضرورتها وجزئيتها لا على نحو الوجوب ولا على نحو الاستحباب.

لكننا نلحظ في المقابل أن الأطراف المذهبية الأخرى وضعت زيادة (الصلاة خير من النوم) في أذان الصبح، وهو قطعاً غير موجود في أذان رسول الله الذي كان يؤذن به بلال وجميع المؤذنين، كما أنهم حذفوا من الأذان (حي على خير العمل) لفلسفة خاصة بنظرهم، حيث كان الجو الجهادي يؤدي دوراً في فتح البلاد ودحر الأعداء وإعلاء هيبة الدولة وتوطيد مشاريع الدولة الإسلامية الكبرى وكان حذفها حذفاً عرفياً مؤقتاً عملًا برأي عمر لأنها إذا كانت الصلاة خير العمل فلا يعود المكلف المقاتل مشتاقاً إلى الجهاد والإنشغال به كثيراً والجهاد في تلك الظروف كان هو خير العمل، لكن أحكام الخليفة الثاني العرفية كلها تحولت إلى قوانين دائمة، وإليك بعض الملاحظات:

نقلًا عن مالك في الموطأ أنه بلغه أن المؤذن جاء إلى عمر يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائماً فقال: (الصلاة خير من النوم) فأمره عمر أن يجعلها في الصلاة وهذا تشريع من عمر لازال مستمراً حتى اليوم ولم يقل به النبي.

وفي السيرة الحلبية عن ابن عمر وعن علي بن الحسين أنهما كانا

يقولان بعد حي على الصلاة (حيَّ على خير العمل) كما رواها البيهقي في سننه عن جعفر بن محمد.

وروى المحب الطبري الشافعي عن سهل بن حنيف أنه كان إذا أذّن قال: حي على خير العمل (١).

وإذا كان ذووا المذاهب الأخرى قد جعلوا وزادوا ونقصوا والسواد الأعظم لا يعرف شيئاً عن النقيصة والزيادة ومع ذلك يوجهون سهام نقدهم اللاذع فقط إلى أذان الشيعة المحفوظ عن الزيادة والنقيصة وليس عندنا إلا الشهادة لعلي التي تُذكر بناءً على الإباحة فقط وهي ردّ فعل على ما قام به الأمويون من سبّ علي وأهل البيت بعد الأذان وبعد الإقامة وفي نهاية خطبة الجمعة الثانية واعتبروا ذلك من السنّة حتى أن عمر بن عبد العزيز عندما ألغى سب علي وبعث بأمره إلى جميع خطباء المساجد وطلب منهم أن يجعلوا مكانها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وقرأ خطيب فلسطين الآية لم يبيّن للمصلين رسالة الخليفة والأمر الصارم منه ولما لم يسبّ علياً ناداه الناس: السنّة السنّة.

فهل على أولياء علي لوم أمام هذا التاريخ المعادي لأهل البيت وسيدهم علي ومع كل ذلك فنحن غير متمسكين على نحو التشدد بحيث

---

(١) راجع الفصول المهمة، ص٦٦، وكذلك الأذان والوحدة للشيخ محمد عبد العال، ص٦٤.

لا يمكننا تركها مطلقاً.

وأذكر قصة جميلة عن أستاذنا الإمام السيد موسى الصدر عندما ترأس المجلس الشيعي الأعلى سنة ١٩٦٩، بعدها بأيام قليلة دعا إلى توحيد الشعائر الدينية عند المسلمين في لبنان وتعهد ترك الشهادة الثالثة شرط أن المذاهب الأخرى تذكر (حي على خير العمل) ويؤذن الجميع بأذان واحد وطلب مني بعض المصادر وأخبرته أن السيد محسن الأمين في الجزء الثاني من أعيان الشيعة ذكر النص تفصيلًا مع ذكر مصادرها لكن لم يفلح السيد الغيور على الوحدة في توحيد الأذان وإعادة المسلمين إلى ما كانوا عليه زمن النبي.

والمسؤولية اليوم على الشباب الواعي للتحرك نحو وحدة الشعائر لأن الآخرين متمسكون بموروثاتهم كثيراً مع أنها كما ذكرنا لم تثبت أيام النبي وإنما حدثت بعده قطعاً.



القنوت في الصلاة

▽س٣٣: الشيعة يقنتون والقنوت شيء زائد في الأمور التوقيفية وكما ذكرتم بأنّ العبادات توقيفية وإذا زيد فيها فسدت وبالتالي الزيادة تبطل الصلاة فما ردكم؟

ج٣٣: الشيعة الإمامية نقلوا كيفية صلاتهم نقلًا صحيحاً عن أئمة الهدى عن جدهم رسول الله وقسّموا الصلاة إلى واجبات ومستحبات، والواجب إلى واجب وواجب ركني، مثلًا الذكر في الركوع واجب بينما الركوع واجب وركن أيضاً، والفرق بينهما أن الواجب الركني إذا ترك عمداً أو سهواً تبطل الصلاة فيما الواجب الطبيعي غير الركني يبطل الصلاة في العمد فقط.

وأما الذكر الزائد كأن يسبّح الله ثلاثاً أو تسعاً أو أكثر فهو من المستحبات التي لا تضر في صحة الصلاة لأن أصل الصلاة دعاء وذكر وتوجه أخلاقي والقنوت من هذه الخمائل الجميلة الذي يتضرع فيها الإنسان لربّه في أكثر أوقاته التفاتاً وإخلاصاً وتوجهاً وهذا يزيد في بركة الصلاة وقبولها وهو مستحب يجوز تركه وتصح الصلاة بتركه أو فعله.

التكتف في الصلاة

▽س٣٤: التكفير أو التكتف في الصلاة قد نقله إلينا الصحابة والتابعون، والشيعة يرفضون فعله في الصلاة فهل هناك دليل؟

ج٣٤: ترك التكفير لا يحتاج إلى دليل، نعم لأن الأصل عدم التكفير وفاعل التكفير هو الذي يحتاج إلى الدليل ولم يثبت عندنا أنّ رسول الله صلّى بهذه الطريقة، وكل ما قيل في المسألة فهو متأخر منسوب إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في قضية مشهورة حينما جاءه دهاقين الفرس وكفّروا بين يديه فقال: الأَوْلى أن تكون في الصلاة، ومعلوم عندنا وعند جميع المسلمين أن الصحابة نَقَلَة وليسوا مشرّعين، وعمر لم ينقل ذلك عن النبي وإنما هذا شيء مزاجي وكثير من هذه المزاجيات تحوّلت إلى عزائم مع أن الأصل فيها الإباحة.

ورأي الشيعة الإمامية واضح في أمثال هذه الإضافات وأنها إن جيء بها على أنها جزء من الصلاة تكون باطلة ومبطلة للصلاة وأما إذا جيء بها على أنها تأدّب مع الله خارجة عن الجزئية فهي مباحة.

ونحن لا نتفاعل مع هذه العناوين الزائدة خوفاً أن تتحول عندنا إلى عزائم كما تحوّلت عند غيرنا.

مؤمن قريش

▽س٣٥: عقيدة الشيعة في أبي طالب والد الإمام علي أنه مؤمن قريش فما هي الأدلة القاطعة التي تؤيد هذا المعتقد؟

ج٣٥: تسمية أبي طالب بمؤمن قريش مردّها إلى أنّ النبي دعا رجالات قريش إلى الدين فلم يستجيبوا وآمن وحده، فاشتهر بهذا اللقب، وهذه الشهرة تدل على إيمانه المبكر إذ لا يصح أن يلقب بهذا اللّقب وجميع القوم مؤمنون.

فهذا اللّقب جاء بعد أن انفرد بإيمانه عن باقي القوم.

والمعلوم أن النصرة المبكرة في بداية الدعوة هي التي سمحت لغرسة الإسلام أن تنمو ولوجهة النور أن تنطلق وتوسع شعاعها ولصوت الحق أن يدوّي ويهدر في أسماع الدنيا فكيف يعظم قوم أسلموا بعد الفتح حيث كان جيش محمد قد فاق على العشرة آلاف ولا يعظّم من آوى وحامى وأيد وتحمل الظلم الاجتماعي والمواجهة الحادة والصعبة والحصار الاقتصادي ثلاث سنوات لا بيع ولا شراء ولا زواج...إلخ.

إن اغماط أبي طالب حقّه يعود لأسباب سياسية قام بها بنو أمية لإلصاق نقيصة بالإمام علي عليه السلام بأنّ والده لم يدخل الإسلام ومات

ميتة جاهلية.

والحديث عن أبي طالب حديث عن المسك الفوّاح والزهر النضر والربيع الأخضر والليلة المقمرة والنجمة المشعة والشمس المشرقة.

وإن أبا طالب هو السابق المجلي في التأييد والنصرة والوفاء والبيعة لرسول الله ﷺ ومَن مثله تاريخاً مشعاً ومن مثله كعبةً تقصد ورأياً يحسم الأمور وعقلًا يمنع عظائم الأمور وفجائع الدهور.

وسأعرض عليك بعض مواقفه وأفسّر لك بعض قصائده لتكون أمام الجلي من الأمر والكثير من الفخر.

بعد موت عبد المطلب ساد أبو طالب وأصبح شيخ البطحاء بلا منازع وكانت عند العرب السيادة للغني إلّا أبا طالب فقد ساد وهو فقير لذكائه ونجابته وحكمته وشجاعته وكان رجلًا عاقلًا شجاعاً.

ولما بُعث النبي كان له ولاءً وعوناً ومساعداً وأيّده وآمن به وهو كان على علم بذلك قبل الدعوة فهل نتجاهل التاريخ ولا نذكر رحلة أبي طالب ومعه ابن أخيه إلى الشام؟

هل نتجاهل ما أخبر به سيف بن ذي يزن عبد المطلب؟

هل نتجاهل ما قاله الراهب بحيرا عن محمد؟ وكان أبو طالب يعرفها جيداً ويمهّد لهذه الأيام أيام قريش وتمنّعها عن عبادة الله وركوسها في عبادة الأصنام.

وسأبدأ معك بداية من يوم الإنذار ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

يقول التاريخ أمر النبي علياً أن يصنع طعاماً ويدعو له بني هاشم فجمعهم عليّ ووضع لهم طعاماً من اللحم واللبن ذبيحة البركة التي باركها النبي أكلها جميعهم، وعندما أراد النبي الكلام قام أبو لهب وقال ألهذا دعوتنا؟

وقاموا منصرفين وكان أبو لهب الملعون قد فوّت الفرصة على النبي.

وطلب النبي من عليّ بإعادة الوليمة وأعاد علي دعوته ووليمته ولبّوا وفي هذه المرة كان أبو طالب أول من لبّى.

ولما قال النبي الرائد لا يكذب أهله وإني جئتكم بخير ما تأتي به الرسل لأممهم جئتكم بخير الدنيا والآخرة فأيكم يؤازرني على أن يكون خليفتي على الناس من بعدي؟

فقام أبو طالب قبل ولده علي فقال: (ما أحب إلينا معاونتك وأقبلنا لنصيحتك وأشد تصديقنا لحديثك وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وإنما أنا أحدهم غير إني أسرعهم إلى ما تحب فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب) (١).

فهل تجد في هذا الجواب غير التصديق والإيمان والتأييد والدعم وأما قوله (دين عبد المطلب) فهذا تورية كي لا يحصل شرخ في أولاد عبد المطلب لأن دين عبد المطلب هو دين إبراهيم الخليل حيث لم يكن

---

(١) الكامل لابن الأثير، ج٢، ص٤١.

يعبد الأصنام فهو ملتقي معه في المبدأ والإيمان والتصديق ولكنه تريث قليلًا ليسمع العباس أو الحارث أبا لهب أو الحمزة مثلًا ولعله بهذه التورية أراح نفسه وأراح بني عمه الذين لم تقبل نفوسهم العجلة في هذا الأمر كما قبلتها نفس أبي طالب.

ثم كرّر النبي الطلب بالإعلان الواضح فقام عليّ فأعلن إعلاناً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض ولمّا لم يرد أحد غير عليّ قال له: أنت أخي ووصي ووارثي وخليفتي على الناس من بعدي ثم التفت إلى القوم قائلًا فاسمعوا له وأطيعوا وكان عليّ أصغر الناس ولم يأنف أبو طالب لهذا التحكيم وهذه الإمرة والطاعة لولده الصغير.

وظل وفياً مؤيداً لهذا الدين وفي كل يوم كان يزداد به إيماناً.

الموقف الثاني: موقف أبي طالب في شعره:

قال في إحدى المناسبات:

إن علياً وجعفراً ثقتي ... عند ملم الزمان والنوَب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما ... أخي لأمي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبيَّ ولا ... يخذله من بني ذو حسب[1]

أليس في كلامه وشعره هذا ما يدلّ على الاعتراف والاعتقاد وتحمل المسؤولية بل إنه كان حافظاً وأميناً أمانة من يعتقد اعتقاداً جازماً بصدق النبي ودينه وإسلامه.

---

(١) شيخ الأبطح، ص٣٨.

وإليك موقفاً آخر يحثّ فيه أخاه حمزة (أبا يَعْلى):

فصبراً أبا يعلى على دين أحمدِ وكن مظهراً للدين وفقْتَ صابراً
وحُطْ مَنْ أتى بالحق من عند ربه بصدقٍ وعزم لا تكنْ حمزُ كافراً
فقد سرّني إذ قلتَ أنك مؤمنٌ فكن لرسول الله في الله ناصراً
ونادِ قريشاً بالذي قد أتيته جهاراً وقل: ما كان أحمد ساحراً

ففي هذه الأبيات يحاول أبو طالب أن يصبره ويهنئه على الدخول في الدين الجديد ويطلب إليه أن لا يبقي سراً بل عليه أن يظهر إسلامه ويطلب منه أن يحيط بالنبي ويحفظه.

كما يؤكد عليه أن اذهب إلى الملأ من قريش علناً وجهاراً وأخبرهم بإسلامك فإن إسلامك سيقوي ظهر النبي ويكسر ظهر القرشيين.

وذات يوم والنبي في حالة تفكر في الإسلام وكيف يتم معه نشر الدين وتقويته يقع نظر أبو طالب على النبي وهو على هذه الحالة فيقول له:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد بالتراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضةٌ وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثَمَّ أمينا
ولقد علمتُ بأنَّ دين محمدٍ من خير أديان البرية دينا

أبيات أربعة واضحة وصريحة وفيها إعلان منه عن حماية النبي في جميع حياته وما دام سيفه في يده وهو قادر على الحراك فإنه لا يستطع

أحد أن يؤذي محمداً فرداً أو جماعة فلن يصلوا إليه بجمعهم طالما هو على قيد الحياة وكان هذا تأييداً مادياً ومعنوياً للنبي حتى ينطلق ولا يخاف من هول الأشرار والطواغيت.

ثم يطالبه أن يصدع بما أمره الله كي تقرّ عينه منه بإبلاغ الدعوة ونشر الرسالة وهذه نقطة أساسية تظهر حرص أبي طالب على الدين الجديد، بل يؤكد على رسول الله أن ينشر دعوته دون الالتفات إلى الأعداء فإنّه كفيل بهم.

وفي البيت الأخير إعلان واضح ورسمي لأنه قسم (باللام وقد) وكأنه يقسم بأنه عالم بأن الدين الذي جاء به محمّد ﷺ أكرم الأديان وأفضلها على الإطلاق منذ مجيء البشرية ومنذ خلق الله البرية.

وهل تريد شيئاً زائداً على هذا الاعتراف؟!

فهو يقول: إنّ الإسلام أفضل الأديان وأنت يا محمّد قد دعوتني وكنت تعمل لمصلحتي من النصح والإرشاد وأنا قبلت وأنا سوف أدافع عن هذا الدين طول حياتي.

خذ هذه الأبيات وانثرها أمام الرواة المأجورين الذين قالوا ما قالوا وشوّهوا ما شوّهوا عن إسلام أبي طالب، واذكر مظلومية هذا العبد المجاهد والمحافظ على الرسول والرسالة ولم يشك لحظة في إيمانه بالنبوة.

كذلك فإنّ ما يثبت صدق دعوانا أنّه لما ضاق القوم ذرعاً بدعوة النبي قدموا اقتراحاً لأبي طالب بقتله فلم يوافق وقد لاموه لوماً شديداً لأنه أفسد الجو تجاه الآلهة وأخيراً قدموا اقتراحاً جديداً وهو مبادلة

محمد بفتى جميل المنظر على أن يُقتل محمد ويقدّم لأبي طالب هذا الشاب الجميل بديلًا من محمد.

ولما جاؤوا وعرضوا عليه ذلك العرض ضحك كثيراً حينما قالوا له: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد أنْهد فتى في قريش وأشعره وأجمله فخذه ولداً محل ولدك وسلّم لنا ابن أخيك نحاكمه ونقتله لأنه هو الذي شتم آلهة الحجر وهي آلهة جدك وأبيك الخ.

فلما سمع أبو طالب ذلك ضحك كثيراً لسخافة هذا الكلام قائلًا: لبئس ما تسومونني أتعطوني ابنكم أدلله وأغذيه وأعطيكم ابني تقتلونه، هذا والله ما لا يكون.

فطردهم بهذا الموقف الخالد.

ما جاءت به قريش حالة من حالات الجنون والهوس قذفها في أذهانهم الشيطان لأن العرض الذي قدموه لا يقبل به أي إنسان على الإطلاق فكيف بأبي طالب صاحب الأخلاق والمروءة والمحب لرسول الله والشفوق عليه والمدافع عنه قبل الإسلام وبعد دخوله في الإسلام، إذ كيف يسلمه ويبيعه بهذه الطريقة فهل أبو طالب متآمر حتى يقوموا معه بهذه المبادلة الرخيصة العارية من كل شيء.

وكان الجواب الصاعق من أبي طالب يرفض ذلك بشدة ويردعهم عن غيّهم وضلالهم وموقفهم المنحرف.

وهذا الموقف لم يكن موقف قرابة فحسب وإنما كان موقفاً مبدئياً وقيمياً جمع فيه القرابة والدين والنصرة والحمية والنبل والوفاء وكل مكارم الأخلاق.

وأبو طالب جامع لهذه الشيم حامل لهذه الأخلاق وفيٌ في ذمته مشهور له في مروءته.

فهل تريد أكثر من هذا؟! ولولا أبو طالب لقتل النبي ووئدت الرسالة في مهدها لكن وجود هذا السند الكبير والمرعب لقريش هو الذي جعلهم يعدون للمليون في اغتيال محمد.

وسأذكر هذه الحادثة لعمق دلالتها، فقد افتقد أبو طالب محمداً ذات يوم فلم يجده فغضب واتهم قريشاً بإخفائه وخطط إذا كانت قريش وراء ذلك أن يقتلهم جميعاً وهم رؤساء العشائر مهما كلف الأمر ولكنَّ أبا طالب كان حكيماً فطلب من بني هاشم أن يتعاونوا معه ويمتثلوا أمره فلبّوا نداء سيّدهم وجاؤوا مدجّجون بالسلاح فأمرهم أولًا بالتحري والتفتيش وبعد ذلك تكون كلمة الفصل وبينما هم يفتشون إذ لاح لهم نور محمد ففرحوا وجاؤوا به إلى عمه فقبله وأخذ الجميع إلى الحرم المكي وأخبرهم عن عزمه لو كان لهم ضلع في اغتياله وإخفائه وقال لبني هاشم اكشفوا عن سلاح المعركة فكشفوا عن سلاحهم المخبأ وعرفوا أنه لا طاقة لهم بأبي طالب وبني هاشم.

وقال أبو طالب: والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحداً حتى نتفانى نحن وأنتم الغدير للأميني، ج٧، ص٣٤٩، وهذه الحادثة مشهورة في كتب التاريخ..

ثم ينظم أبياتاً على الفور يمدح فيها النبي محمد ويعلن فيها حمايته كما يعلن أمامهم علاقته الوشيجة وإسلامه الجديد.

ألا أبلغ قريشاً حيث حلت وكل سرائر منها غرور

فإني والضوابح عاديات وما تتلوا السفاسرة الشهور
لآل محمد راع حفيظ وود الصدر مني والضمير
فلست بقاطع رحمي وولدي ولو جرت مظالمها الجزور
أيأمر جمعهم أبناء فهر بقتل محمد والأمر زور
فلا وأبيك لا ظفرتْ قريش ولا أمت رشاداً إذ تشير
بُنيَّ أخي ونوط القلب مني وأبيض ماؤه غدق كثير
ويشرب بعده الولدان رياً وأحمد قد تضمنه القبور
أيا ابن الأنف أنف بني قصيٍّ كأن جبينك القمر المنيرُ

هذا الأدب النابع من القلب الواصل للرحم الديني والنسبي والذي جاش في صدر أبي طالب أمام غيبة طويلة حمل فيه المسؤولية لقريش وليس غير قريش، والجو سياسي ملتهب وعلى قريش أن تتحمل مسؤوليتها تجاه حياة محمد وإلا فإنها تعرض نفسها لخطر الإبادة.

هل يكفي لك هذه الشعر وهذه الملحمة وهذه المواقف التي أرعبت قريشاً وكسرتهم؟

بينما الرسول يتعبد في الحرم وهو منسجم في صلاته ودعائه وخصوصاً الدعاء عند السجود الذي يطيل فيه تستغل قريش منه هذه المسكنة مع ربه والخضوع له والإنصهار والفناء فيه وتعلم أن محمداً شلو لا حركة فيه حيث يطيل السجود والمناجاة والبكاء وتُظهر قريش لؤمها بإفساد صلاته عليه وترسل عبد الله بن الزبعري السيّىء الذكر وصاحب الشعر الكافي الذي أظهره فأخذ شماتة في حمزة ودم حمزة، وقال:

قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلنا مير بدرٍ فاعتدل

فيأخذ هذا القذِر فرثاً ودم جزور فيلطخ به النبي، والنبي غائب عن وعيه مستغرق في ذكر ربه.

من سينجد النبي من هذه البلوى ولمن يشكو النبي في الإعتداء عليه ومن الناصر له أمام الإذلال من أعدائه؟

لم يكن إلا أبو طالب الذي ساءه جداً ما حصل وجاء ومعه سيفه وهدّد مشايخ قريش بأن أي رجل يتحرك من مكانه سوف يقتل، وهم يعرفون أبا طالب، تهديده حق وصدق فالتزموا الصمت ولم يتحركوا لعلمهم أنه سيقتل من يتحرك منهم، وأمر ابن أخيه أن يأخذ الفرث ثم يمرّرها على أوجههم وثيابهم الواحد بعد الآخر لأنهم جميعاً كانوا شركاء في الاعتداء والتأليب عليه فحق له أن يثأر منهم جميعاً.

وأما ابن الزبعري لما شاهد أسياد قريش تلوّث عمائمهم بالكروش والفرث وأقذار الذبيحة هرب فلحقوا به حتى مرّغوا أنفه ولما انتهى من ثأره منهم وعرف محمد أن ناصره أدّى دوره فشكر على ذلك، وجلسا معاً يستريحان في ظل الكعبة المعظمة، أخذ أبو طالب ينشد نشيد الحماسيين الأبطال في مدح محمد ويعترف بذلك علناً:

أنت النبي محمد قرم أغر مسود

لمسود بن أكارم طابوا وطاب المولد

نعم الأرومة أصلها عمرو الحطيم الأوحد

هشم الربيكة في الجفان وعيش مكة أنكد الربيكة: الزبدة مختلطة باللبن.

فـجـرت بـذلـك سـنـةً فـيـهـا الـخـبـيـزة تـثـرد

ولـنـا الـسـقـايـة لـلـحـجـيـج بها يماث العنجد العنجد: الزبيب.

والـمـأزمـات ومـا حـوت عـرفـاتـهـا والـمـسـجـد

أنـى تـضـام ولـم أمـت وأنـا الـشـجـاع الـعـربـد الـعـربـد (١)

وبـنـو أبـيـك كـأنـهـم أسـد الـعـريـن تـوقـدوا

ولـقـد عـهـدتـك صـادقـاً فـي الـقـول لا تـتـزيـد

مـا زلـت تـنـطـق بـالـصـواب وأنـت طـفـل أمـرد

هل اتضح لك هذا الاعتراف الواضح الذي لا لبس فيه (أنت النبي محمد)؟!.

وأكّد في آخر الأبيات بأنه ناطق في الصدق والصواب منذ نعومة أظفاره ولم يتزيد في كلامه وأن كلامه لا يعرف غير الحق لأنه منذ أن كان أمرداً كان يتكلم بالصواب والصدق ولا يزال وقد جاءته النبوة لصدقه.

ولا يبقى أبو طالب في موقع المتفرج عندما يكثر المسلمون ويكثر الاضطهاد القرشي لهم ويهاجر الكثير منهم إلى الحبشة بل يدافع عن هؤلاء المسلمين ويبعث بقصيدة يدعو فيها النجاشي إلى الإسلام والإعتراف بمحمد فيقول:

أتـعـلـم مَـلْكَ الـحـبـشَ أن مـحـمـداً نـبـي كـمـوسـى والـمـسـيـح بـن مـريـم

---

(١) بكسر العين، الشديد من كلّ شيء.

أتى بالهدى مثل الذي أتيا به   فكلٌ بأمر الله يهدي ويعصم
وإنكمُ تتلونه في كتابكم   بصديق حديث لا حديث الترجم
فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا   فإن طريق الحق ليس بمظلم
وإنك ما تأتيك منا عصابةُ   لقصدك إلا ارجعوا بالتكرم (١)

فهل أبو طالب مسلم فقط أم أنه داعية للإسلام وهو يدعو ملوك العالم وأولهم ملك الحبشة النجاشي فيعرفه بالنبي ويقول له: إن النبي محمد كموسى وعيسى وكما آمنت بموسى وعيسى عليك أن تؤمن بالنبي محمد لأنكم تقرؤون عنه في كتابكم وإياك أن تجعل لله نداً ونحن لنا عندكم مهاجرون وأنت تتكرم عليهم ونحن نشكركم.

هل أعجبتك الدعوة هذه إلى الإسلام ثم تسأل بعد عن إسلام أبي طالب؟!

وأعتقد أن هذا كاف لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وللمزيد يراجع الغدير للأميني، وأبو طالب شيخ البطحاء مؤمن قريش للخنيزي ففيهما ما يكفي عن مراجعة مائة كتاب.



(١) البحار، باب إيمان أبي طالب، ج٣٨، ص١٨.

زيارة قبور الأولياء

▽س٣٦: لعن الله النصارى إذ اتخذوا قبور أوليائهم مسجداً أو مساجد، فلماذا يتمثّل الشيعة بالنصارى ويصلّون أمام قبور أئمتهم؟

ج٣٦: لم يتخذ الشيعة قبور أوليائهم مسجداً أو مساجد بمعنى أنهم يصلون لهم، وإنما كانوا ولا يزالون يزورون هؤلاء الأولياء ويسلمون عليهم علماً منهم أنهم شهداء، والشهيد حي يرزق عند ربه ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فعندما تسلّم عليهم تعلم بأنهم يسمعون الكلام ويردّون الجواب ولكن لا قِبل لنا بسماع أصواتهم كما أنهم لا قبل لهم أن يُسمعونا أصواتهم، وهذا شأن العالم البرزخي الذي هو قريب منّا لكنه بعيد عنّا في الوقت نفسه، يسمعنا ولكن لا نسمعه ويرد الجواب تماماً كما كان هنا في عالم المشاهدة.

ولقد امتازت الشيعة الإمامية بزيارة القبور (قبور النبي والأئمة وتشييدها وإقامة العمارات الضخمة عليها ولأجلها يضحون بكل غال ورخيص عن إيمان وطيب نفس، ومردّ كل ذلك إلى وصايا الأئمة وحثّهم شيعتهم على الزيارة وترغيبهم فيها لما لذلك من الثواب الجزيل

عند الله تعالى باعتبار أنها من أفضل الطاعات والقربات بعد العبادات الواجبة وباعتبار أن هاتيك القبور من خير المواقع لاستجابة الدعاء والإنقطاع إلى الله تعالى وجعلوها أيضاً من تمام الوفاء بعهود الأئمة (إذ أن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته وأن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم فمن زارهم رغبةً في زيارتهم وتصديقاً مما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة) منقول عن الإمام الرضا عليه السلام [١].

وفي زيارة القبور من الفوائد الدينية والاجتماعية ما تستحق العناية من أئمتنا فإنها في الوقت الذي تزيد من رابطة الولاء والمحبة بين الأئمة وأوليائهم وتجدّد في النفوس ذكر مآثرهم وأخلاقهم وجهادهم في سبيل الحق، تجمع في مواسمها أشتات المسلمين المتفرقين على صعيد واحد ليتعارفوا ويتآلفوا ثم تطبع في قلوبهم روح الانقياد إلى الله تعالى والانقطاع إليه وطاعة أوامره وتلقنهم في مضامين عبارات الزيارات البليغة الواردة عن آل البيت حقيقة التوحيد والإعتراف بقدسية الإسلام والرسالة المحمدية وما يجب على المسلم من الخلق العالي الرصين والخضوع إلى مدبر الكائنات وشكر آلائه ونعمه فهي من هذه الجهة تقوم بنفس وظيفة الأدعية المأثورة التي تقدّم الكلام عليها، بل بعضها يشتمل على أبلغ الأدعية وأسماها كزيارة (أمين الله) وهي الزيارة المروية عن الإمام زين العابدين حينما زار قبر جدّه أمير المؤمنين.

---

(١) راجع كامل الزيارات لابن قولويه، ص١٧٧.

كما تفهم هذه الزيارة المأثورة مواقف الأئمة وتضحياتهم في سبيل نصرة الحق وإعلاء كلمة الدين وتجردهم لطاعة الله تعالى.

وقد وردت بإسلوب عربي جزل وفصاحة عالية وعبارات سهلة يفهمها الخاصة والعامة وهي محتوية على أسمى معاني التوحيد ودقائقه والدعاء والابتهال إليه تعالى فهي بحق من أرقى الأدب الديني بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة والأدعية المأثورة عنهم، إذ أودعت فيها خلاصة معارف الأئمة فيما يتعلق بهذه الشؤون الدينية والتهذيبية.

(ولا يعلم عن الشيعة أنهم يصلّون للقبور ولا لأصحاب القبور وإنما يصلّون لله تبارك وتعالى ويستغفرون لصاحب القبر ويدعون له ويعظمون شأنه لأنه شهيد وعالم) ثم أن في آداب الزيارة أيضاً من التعليم والإرشاد ما يؤكد من تحقيق تلك المعاني الدينية السامية من نحو رفع معنوية المسلم وتنمية روح العطف على الفقير وحمله على حسن العشرة والسلوك والتحبب إلى مخالطة الناس.

فإن من آدابها ما ينبغي أن يصنع قبل البدء بالدخول في المرقد المطهر وزيارته.

(ومنها ما ينبغي أن يصنع في أثناء الزيارة وفيما بعد الزيارة ونحن هنا نعرض بعض هذه الآداب للتنبيه على مقاصدها التي قلناها).

١ . من آدابها أن يغتسل الزائر قبل الشروع في الزيارة ويتطهر وفائدة ذلك فيما نفهمهُ واضحةً وهي أن ينظف الإنسان بدنه من الأوساخ ليَقيه كثيراً من الأمراض والأدواء لئلا يتأفف من روائحه الناس.

وأن يطهّر نفسه من الرذائل.

وقد ورد في المأثور بعد الانتهاء من الغسل لغرض تنبيهه على تلكم الأهداف العالية فيقول: اللهم اجعل لي نوراً وطهوراً وحرزاً كافياً من كل داء وسقم ومن كل آفةٍ وعاهة وطهر قلبي وجوارحي وعظامي ولحمي ودمي وشعري وبشري ومخي وعظمي وما أقلّت الأرض مني واجعل لي شاهداً يوم حاجتي وفقري وفاقتي.

٢ ـ أن يلبس أحسن الثياب وأنظف ما عنده من الثياب فإن في الأناقة في الملبس في المواسم العامة ما يحبب الناس بعضهم إلى بعض ويقرب بينهم ويزيد في عزة النفوس والشعور بأهمية الموسم الذي يشترك فيه.

ومما ينبغي أن نلفت النظر إليه في هذا التعليم أنه لم يفرض فيه أن يلبس الزائر أحسن الثياب على العموم، بل يلبس أحسن ما يتمكن عليه.

إذ ليس كل أحد يستطيع ذلك وفيه تضييق على الضعفاء لا تستدعيه الشفقة فقد جمع هذا الأدب بين ما ينبغي من الأناقة وبين رعاية الفقير وضعيف الحال.

٣ ـ أن يتطيب ما وسعه الطيب، وفائدته كفائدة أدب لبس أحسن الثياب.

٤ ـ أن يتصدق على الفقراء بما يعن له أن يتصدق به، ومن المعلوم فائدة التصدق في هذه المواسم فإن فيه معاونة المعوزين وتنمية روح العطف عليهم.

٥ ـ أن يمشي على سكينة ووقار غاضاً من بصره، وواضح ما في هذا من توقير للحرم والزيارة وتعظيم للمزور وتوجه إلى الله تعالى

وانقطاع إليه، مع ما في ذلك من اجتناب مزاحمة الناس ومضايقتهم في المرور وعدم إساءة بعضهم إلى بعض.

٦ . أن يكبّر بقول: (الله أكبر) ويكرّر ذلك ما شاء وقد تحدد في بعض الزيارات إلى أن تبلغ المائة وفي ذلك فائدة إشعار النفس بعظمة الله وأنه لا شيء أكبر منه وأن الزيارة ليست إلا لعبادة الله وتعظيمه وتقديسه في إحياء شعائر الله وتأييد دينه.

٧ . وبعد الفراغ من الزيارة للنبي أو الإمام يصلي ركعتين على الأقل، تطوعاً وعبادة لله تعالى ليشكره على توفيقه إياه ويهدي ثواب الصلاة إلى المزور.

وفي الدعاء المأثور الذي يدعو به الزائر بعد هذه الصلاة ما يفهم الزائر أن صلاته وعمله إنما هو لله وحده وأنه لا يعبد سواه وليست الزيارة إلا نوع من أنواع التقرب إليه تعالى زلفى، إذ يقول:

(اللهم لك صليت ولك ركعت ولك سجدت وحدك لا شريك لك، لأنه لا تكون الصلاة والركوع والسجود إلا لك، لأنك أنت الله لا إله إلا أنت اللهم صل على محمد وآل محمد وتقبل مني زيارتي واعطني سؤلي بمحمد وآله الطاهرين).

وفي هذا النوع من الأدب ما يوضح لمن يريد أن يفهم الحقيقة عن مقاصد الأئمة وشيعتهم تبعاً لهم في زيارة القبور وما يلقم المتجاهلين حجراً حينما يزعمون أنها عندهم نوع من عبادة القبور والتقرب إليها والشرك بالله.

وأغلب الظن أن غرض أمثال هؤلاء هو التزهيد فيما يجلب

لجماعة الإمامية من الفوائد الاجتماعية الدينية في مواسم الزيارات إذ أصبحت شوكة في أعين أعداء آل محمد وإلا فما نظنهم يجهلون حقيقة مقاصد آل البيت فيها.

حاشا أولئك الذين أخلصوا لله نياتهم وتجردوا له في عباداتهم وبذلوا مهجهم في نصرة دينه أن يدعو الناس إلى الشرك في عبادة الله.

٨ . ومن آداب الزيارة أن يلزم للزائر حسن الصحبة لمن يصحبه وقلة الكلام إلا بخير وكثرة ذكر الله تعالى والخشوع وكثرة الصلاة والصلاة على محمد وآل محمد وأن يغض من بصره وأن يعدو إلى أهل الحاجة من أخوانه إذا رأى منقطعاً والمواساة لهم والورع عما نهى عنه وعن الخصومة وكثرة الأيمان والجدال الذي فيه الأيمان.

ثم إنه ليست حقيقة الزيارة إلّا السلام على النبي أو الإمام باعتبار أنهم ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فهم يسمعون الكلام ويردّون الجواب.

ذكرنا هذه المعلومات قصداً حتى يعرف الجميع أننا عندما نزور قبور أهل البيت لمن نصلي؟ وما هي أهدافنا؟

حتى لا يبق المشكك والمتَّهم والضال معتقداً بأننا نعبد آل البيت وقد أوضحنا لك ما فيه الكفاية [١].

(١) راجع عقائد الإمامية، المظفر، ص١٢٥.

أسماء ظاهرها العبودية لغير الله تعالى

▽س٣٧: لماذا يسمّي الشيعة أنفسهم بعبد الرسول وعبد الحسن وهذا اعتراف بالعبودية لغير الله؟

ج٣٧: نقل التاريخ أن الخليفة الصالح في بني أمية عمر بن العزيز ورد عليه وفود الحجازيين فتقدموا وأعطاهم كرامة لرسول الله وبقي شخص آخر فقال له: تقدم فكان مربكاً فهوّن عليه ثم سأله أحرٌّ أم مولى؟

فقال: أنا مولى، قال: مولى مَن؟

فقال له: أنا مولى سكينة بنت الحسين، فقال عمر بن عبد العزيز: أنا مولى مولى سكينة بنت الحسين.

وبالطبع لم يرد هنا عمر أنه عبد حقيقي وإنما أراد تعظيم الطرف المعظم لديه لأن سكينة بنت الحسين من فاطمة بنت رسول الله والانتماء إلى العظماء مطلوب ومحبب وهنا الانتماء بقرب المنتمي إلى الله وإلى رسوله، ولم يخطر ببال الخليفة الزاهد أنه يعبد غير الله ويعترف بعبودية لغير الله على الإطلاق.

فإذا كان الأول مولى، فهو مولى المولى، وأكثر عبودية ورقية بحسب سلّم التراتبية ولم يعترض أحد على قول الخليفة العربي لأنهم فهموا أنّ المراد منه تعظيم الانتماء في حالة تقرّبه إلى أهل الطهارة فقط.

ولا أظن أن أحداً عندما يسمي ابنه عبد الحسن أو عبد الحسين أو عبد الرسول أو عبد النبي أنه يقصد ألوهية المنتمي إليه، وإنما يقصد تعظيم طرف الانتماء فقط وما ألطف كلمات العراقيين في هذا الاتجاه عندما يطلب شخص من آخر شيئاً يجيبه أنا خادم وممنون ويفديه أحياناً بنفسه وما هي إلا لقصد تعظيم اجتماعي واعتباري.



الخمس

▽س٣٨: ما هو الدليل على أن الخمس واجب شرعي عام وليس واجباً في الحرب فقط مع أنّ الله تعالى يقول: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ **[الأنفال: ٤١]؟**

ج٣٨: أولًا لا بدّ أن نفهم أن كثيراً من الأحكام الإسلامية ذكرت في القرآن بشكل موجز، ومن ثمّ فصّل حقيقتها النبي، مثلًا: الصلاة قصراً وطولًا وكيفية وذكراً وركوعاً وسجوداً...إلخ غير مذكورة في القرآن بشكل تفصيلي وإنما قال النبي ﷺ: (صلّوا كما رأيتموني أصلي) وعلّمنا كيفية الصلاة من بدايتها إلى نهايتها بدءً بتكبيرة الإحرام وانتهاءً بالتسليم ولم يعترض أحد ويقول هذه التفاصيل لم تذكر في القرآن.

وكذلك الزكاة وكثير من الأحكام الإسلامية العبادية أو المعاملاتية هذا هو وضعها ولم يعترض أحد.

وعلى هذا الأساس فقد اتفقوا جميعاً على أن الآية إذا نزلت بموقعة معينة لا تنحصر فيها وأعطوا قاعدة على ذلك (المورد لا يخصص الوارد) فإذا نزلت الآية في أيام الحرب لا تكون مخصصة

بغنائم الحرب وحدها ولكن الأمراء عندما حكموا ورأوا أن أهل البيت نصيبهم كبير من الخمس اقتصروا بتطبيقها على غنائم الحرب التي توزع على المحاربين فقط والباقي يعود إلى الدولة ومصالحها وشؤونها.

الغنم والغنيمة والغنائم والغَنَمَ ألفاظ لها جذور واسعة لا تختصر بموقع دون آخر وقد استعملت قاعدة إلى باب الميراث في حبوة الولد الأكبر.

(من له الغنم عليه الغرم) أي من له ما كان لأبيه غير ميراث فعليه أن يتحمل تبعات أبيه من قضاء الصوم والصلاة.

ولا بأس بذكر بعض ما ورد في كتب اللغة:

تاج العروس: الغُنُم هو الفوز بالشيء بلا مشقة.

في مفردات الراغب الأصبهاني استعملوا الغنم في كل منظور به من العدة وغيره.

ويقول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة: (ومن أخذها لحق وغنم).

ويقول في كتابه إلى مالك الأشتر: (ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم).

ويقول في كلماته القصار: (إن الله جعل الطاعة غنيمة الأكياس).

ويقول في كتابه إلى عثمان بن حُنيف: (فوالله ما كنزت من دنياكم تبر ولا ادّخرت من غنائمها وقراً).

ويقول الفخر الرازي في تفسيره (ج١٥، ص١٦٤): الغنم: الفوز

بالشيء.

وبناءً على ما ذكرناه من القرآن وهو التشريع الأصلي وقول النبي وهو السنّة شارح لأصوله ورموزه ومبيّن لكثير من التكاليف التفصيلية، وبما أن الخمس بقي في القرآن على رمزيته بيّن النبي وشرح كيفية تقسيمه وتوزيعه ولمن يعطى وبيّن أن الغنائم لا يقتصر فيها على غنائم الحرب بل تكون الغنيمة في الحرب وبقيّة الحالات الإنتاجية الصعبة والسهلة كالتجارة والزراعة فلو أن الإنسان سافر وجاهد كثيراً طول حياته ثم جمع مالاً كثيراً كان عليه الخمس ولو أن إنساناً حصل على أرباح ومنافع عالية في بداية عمره وأيام شبابه وكانت تأتيه الأموال تباعاً وأرباحه تعادل أرباح ألف تاجر وربما مليون تاجر مع ذلك عليه الخمس ولا فرق بين المكلّف سواء كان رجلاً أو امرأة فكل مَن حصل على غنائم فعليه الخمس وهذا قانون عام يطبّق في جميع شؤون الحياة والحمد لله.



كيفية الوضوء

▽س٣٩: لماذا لا نغسّل أيدينا وأرجلنا عندما نتوضأ؟

ج٣٩: نحن نتبع رسول الله ونلتزم سنته الشريفة وطريقنا إلى رسول الله الإمام علي وصي رسول الله وباب مدينة علمه أعلم الناس بالسنن والفرائض والواجبات، وكان الصحابة يرجعون إليه في كل شيء وكان لا يرجع لهم بشيء، وكانوا يحتاجونه ولا يحتاجهم، فهو المعلم والأستاذ وهو الخبير والبصير بقضايا الأمة وأن علياً أورث علمه لأولاده الأئمة الأطهار الذين أجمعت الأمة على فضلهم وعلمهم وزهدهم وورعهم وكانوا قطر السماء وملح الأرض وشمس الهداية ونقلوا لنا وضوء رسول الله كما ذكر تماماً بلا زيادة ولا نقصان وإليك ما روى بالإسناد الصحيح [1].

عن علي بن ابراهيم وعن محمد بن اسماعيل عن الفضل بن شاذان جميعاً عن حماد، عن حريز عن زرارة قال:

قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي عن رسول الله

---

(١) راجع وسائل الشيعة، ج١، ص٢٧٢، كتاب الطهارة، باب كيفية الوضوء، ح١.

ألا أحكي لكم وضوء رسول الله فقلنا: بلى.

فدعا بقعب فيه شيء من الماء فوضعه بين يديه ثم حسر عن ذراعيه ثم غمس فيه كفه اليمنى ثم قال هكذا إذا كانت الكف طاهرة.

ثم غرف ملأها ماء فوضعها على جبهته ثم قال: بسم الله وسدله على أطراف لحيته ثم أمرَّ يده على وجهه وظاهر جبهته مرةً واحدة ثم غمس يده اليسرى فغرف بها ملأها ثم وضعه على مرفقه اليمنى فأمرَّ كفَّه على ساعده حتى جرى الماء على أطراف أصابعه ومسح مقدم رأسه وظهر قدميه ببلة يساره وبقية بلة يمناه وهي رواية صحيحة عندنا وواضحة الدلالة على المطلوب.

ونقل المرحوم الشيخ نجم الدين العسكري الطهراني في كتابه: (الوضوء في الكتاب والسنة) ص٤٠ عن مسند أحمد (ج١، ص١٠٨ و١٥٨)، عن أبي مضر قال:

بينما نحن جلوس مع أمير المؤمنين علي في المسجد على باب الرحبة، جاء رجل فقال: أرني وضوء رسول الله، وهو عند الزوال فدعا قنبر فقال: ائتني بكوز من ماء...

فغسل كفَّيه ووجهه وغسَّل ذراعيه ومسح رأسه ورجليه إلى الكعبين.. ثم قال: أين السائل عن وضوء رسول الله، كذا كان وضوء نبي الله [1].

(١) مسند أحمد، كذلك في كنز العمال، ج٩، ص٤٤٨، ح٢٦٩٠٨.

والثابت عندنا أيضاً أن هذا الوضوء كان ثابتاً واستمر طيلة حياة رسول الله وبعده بقي كذلك طيلة عهد الخليفة أبي بكر وفي عهد عمر حصل تغيّر طفيف فردَّه علي إلى ما كان والتزم عمر بفتوى عليّ وكان المشهور عن عمر أنه لا يخالف فتوى علي.

وجاء في تفسير العياشي عن زرارة بن أعين وأبي حنيفة عن أبي بكر بن حزم الذي أصبح والياً على المدينة لعمر بن عبد العزيز وكلفه الخليفة بكتابة حديث رسول الله قال: توضأ رجل في زمن عمر فمسح على خفيه فدخل المسجد فصلى فجاء علي فوطأ على رقبته، فقال: ويلك أتصلي بغير وضوء.

فقال الرجل: أمرني عمر بن الخطاب.

قال الراوي: فأخذه عليّ بيده فانتهى به إلى عمر فقال: انظر ما يروي هذا عنك، ورفع صوته، قال عمر: نعم، أنا أمرته، إن رسول الله مسح على الخف، قال علي: قبل المائدة أو بعدها؟ فقال عمر: لا أدري، قال علي: فَلِمَ تفتي الناس بغير علم؟! ثم قال: سبق الكتاب الخفين (١).

واستطاع علي أن يعيد الوضوء إلى ما كان في زمن النبي ورضي عمر بهذه الفتوى لعلي لأن علياً أعلم منه وكان يصدح بأعلمية علي ولا يقبل أن يُفتى في المسجد أو في محضر الخليفة أحد وعليٌّ حاضر.

والمخالفة أتت من عثمان بن عفان الخليفة الثالث والذي ظهرت

---

(١) تفسير العياشي، ج١، ص.٢٩٧

المخالفات في عهده بشكل فاضح في المال والإدارة وتطبيق الأحكام وتعطيل الحدود حتى أوصلته إلى الثورة عليه من جميع الصحابة وبالتالي أدى إلى قتل.

وقد التبس أمر الوضوء على صحابي آخر غير عمر فقد روى العياشي أيضاً أنه أتى أمير المؤمنين رجل، فسأله عن المسح على الخفين فأطرق في الأرض ملياً ثم رفع رأسه فقال: يا هذا إن الله تبارك وتعالى أمر عباده بالطهارة وقسَّمها على الجوارح فجعل للوجه نصيباً وجعل لليدين منه نصيباً وجعل للرأس منه نصيباً وجعل للرجلين منه نصيباً فإن كانت خفاك من هذه الأجزاء فامسح عليهما (١).

وكما قلنا إن الذي خالف وضوء رسول الله هو عثمان بن عفان في أيام قوة خلافته وإليك ما رواه في كنز العمال.

عن أبي علقمة عن عثمان بن عفان أنه دعا يوماً بوضوء ثم دعا ناساً من أصحاب رسول الله فأفرغ بيده اليمنى على يده اليسرى وغسلها ثلاثاً ثم مضمض ثلاثاً واستنشق ثلاثاً ثم غسل وجهه ثلاثاً ثم غسل يديه ثلاثاً إلى المرفقين ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاثاً فأنقاهما، ثم قال: رأيت رسول الله يتوضأ مثل هذا الوضوء الذي رأيتموني توضأته ثم قال: من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين كان من ذنوبه كيوم ولدته أمه ثم قال: أكذلك يا فلان؟! قال: نعم، ثم قال: أكذلك يا فلان؟

قال: نعم.

---

(١) تفسير العياشي، ج١، ص٣٠١.

حتى استشهد ناساً من أصحاب رسول الله ثم قال: الحمد لله الذي وافقتموني على هذا.

والملاحظ أن عثمان يشعر أنه مخالف وأنه يستنجد بفلان وفلان ليخفف من الضغوط المعنوية عليه بينما هو من جانب آخر لا يرضى ولا يقبل مخالفة من أحد والذي أدبهم وضربهم وجلد ظهورهم ونفاهم أيضاً فكيف تراه هذا يتساهل معهم وما ذاك إلا لأن المخالفة مكشوفة وهذه المخالفة لم يوافقه عليها إلا من انتقاهم واتفق معهم وهل يعقل لصحابي جليل أنه لا يعرف وضوء رسول الله يمارس وضوءه كل يوم أمام أصحابه وتبعه أهله وعشيرته وفيهم عيبة علمه، المعصوم من الزلل والنسيان، الإمام علي بن أبي طالب.

وأنت ترى أن الصحابة أجمعوا على خلافه ومع ذلك ظل مستمراً على ما هو عليه مع أن جمهور العلماء قالوا: إجماع الصحابة حجة، فكيف جاز لشخص واحد أن ينفرد في مثل هذه الأمور الواضحة ويخالف فيها علناً ويمكن لمن أراد المزيد أن يراجع كتاب: (وضوء النبي) للسيد الجليل المؤلف والبارع السيد علي الشهرستاني.



الفاصل المائي عند مدخل غرفة الوضوء

▽س٤٠: لماذا نضع الفاصل المائي عند مدخل غرفة الوضوء؟

ج٤٠: كان المسجد النبوي المبارك محط الأفئدة يقصده الصحابة في الأوقات الثلاثة وربما يبقى البعض مقيماً في المسجد ليلًا ونهاراً وبما أن الزقاق كانت غير نظيفة أمر النبي أصحابه أن يتعهدوا أرجلهم ونعالهم إذا أرادوا الدخول إلى المسجد خوفاً من بقايا نجاسة علقت بالرجل أو النعل حيث كان المصلي أحياناً يصلي بنعله العربية تأسياً برسول الله ومع أن الأرض ترابية والتراب مطهر كالماء طلب إليهم الاهتمام بحرمة المسجد وعدم إدخال النجاسة إليه ولو غلطاً أو سهواً.

هذه هي القصة، الاحتياط في الطهارة تعظيماً وتشريفاً للمسجد لأن المسجد لا يجوز تنجيسه عمداً ولو تنجس خطأً فيجب تطهيره فوراً.

ومن هنا في أيامنا هذه التي أصبحت الطرق مزفتة أو مبلطة كان لا بد احتياطاً من أجل الدخول إلى مائية الوضوء أن نضع بركة صغيرة من الماء موصولة بماء معصوم طاهر حتى يبقى الماء القليل المحدود بذلك الماء طاهراً.

بحيث لو فرض أن ولداً صغيراً أو رجلًا كبيراً جاء وعلى رجله شيء من النجاسة عندما يضع رجله في الممر المائي سوف يطهرها لأنه لو وضع رجله المتنجسة سهواً أو خطأً على ماء قليل سوف ينجس المكان والمسجد وكل مكان مرّ منه إلى الصلاة خصوصاً وأنه أحياناً يدخل المرافق الصحية للتخلي والتخلص من حصر الغائط أو البول وربما تصاب رجله بالبول أو ببعض النجس وهو لا يدري أو يدري فيطهرها بالمرور على الماء ويصل إلى غرفة الوضوء فتكون رجله طاهرة وبهذا تصبح غرفة الوضوء مصونة عن النجاسة عندما يكون على مدخلها بركة ماء معصومة مطهرة.



إسدال الأيدي أثناء الصلاة

▽س٤١: لماذا نسدل أيدينا بالصلاة؟

ج٤١: لأن الأصل أن يترك الإنسان يديه وهي حالة طبيعية للإنسان عندما يقف في الصلاة أو في غيرها وقد بينا هذا الأمر في السؤال رقم ٣٤، ص١٧٣ تحت عنوان التكتف في الصلاة فراجع.



إمام الجماعة

▽س٤٢: لماذا نتعقد ونحتاط كثيراً عندما نريد أن نصلي خلف إمام صلاة جماعة؟

ج٤٢: أولًا: في الحديث الشريف: (أخوك دينك فاحتط لدينك).

ثانياً: إن الصلاة رأسمال الإنسان وهي التي إذا قبلت قبل ما سواها وإذا ردت رد ما سواها فعلى الإنسان أن يحتاط لنفسه في عملها لتكون مقبولة عندها.

وبما أن الإمام واسطة بينه وبين ربه وموقعه بدرجة من الأهمية وهو إيصال عمله فلا بد من الاحتياط والتأكد أن هذا الإمام ثقة يحمل عني صلاتي إلى ربي.

وفي العالم من يخون الأمانات ونحن بشر لا نعلم الغيب فلا بد من التريث والاحتياط لمعرفة الإمام هل هو قادر لحمل الأمانة التي عجزت السموات والأرض عن حملها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا! وبما أننا لا نعرف الناس فكيف يمكننا أن نسلّم أماناتنا لكل إنسان ومن هنا اشترطوا لحفظ الأمانة وإيصال الوديعة طرقاًعديدة وقد ورد روايات كثيرة من طرفنا منها.

عن محمد بن يعقوب الكليني عن محمد بن يحيا عن أحمد بن محمد عن عبد الله بن محمد الحجال عن ثعلبة عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عن الصلاة خلف المخالفين قال: لا تصلي إلا خلف من تثق بدينه وأمانته.

وقد رفض الأئمة أن نصلي خلف المغالي والناصبي ومجهول الحال وحتى الفطحية وغيرهم من الواقفية والمجسمة والمفوضة والجبرية و. ولا يجوز أيضاً الصلاة خلف الإمامي إذا كان فاسقاً فلو كان عاقاً لأبويه أو شارباً للخمر أو فاعلًا للفواحش لا يجوز الصلاة خلفه ولو جاهر بحب علي وأولاده لفسقه وخروجه عن الدائرة الوسطى في شرعة الإسلام.

وقد روى عن الإمام علي بن موسى الرضا قال: قلت للرضا رجل يقارب الذنوب وهو عارف بهذا الأمر ـ يعني من الإمامية ـ قال الإمام: لا.

وروى الأصبع بن نباتة عن أمير المؤمنين قال سمعت علياً يقول: (ستة لا يؤمّون الناس منهم شارب الخمر والنبيذ) يراجع الوسائل، كتاب الصلاة، أبواب الجماعة، باب عدم جواز الاقتداء بالناس، مج٥، ص٣٩٢..

ونحن نتشدّد ونشترط زيادة على ما مرّ أن يكون الإمام قد ولد ولادة شرعية ويعبّر الفقهاء عن ذلك بأنه يجب أن يكون طاهر المولد بمعنى أن يكون أبوه تزوج أمه بعقد شرعي وحملته ووضعته وهي زوجته شرعاً وأما لو جاءت به بلا عقد شرعي ولو صار تقياً زاهداً لا نصلي خلفه وما ذاك إلّا لاحتياط المؤمنين في عملهم لأن المولود ولادة غير

شرعية فيه من التركيب الحرام ما يبعده عن صالح الأعمال فلا يمكننا أن نجعله واسطة بيننا وبين الله تبارك وتعالى.

وهذه الملاحقة لا يقصد بها هذا المسكين وإنما يقصد بها الجريمة لأننا نلاحق الجريمة إلى عمق الحياة حتى لا يبقى لها أثر في حياتنا الأسرية ويجب أن تكون حياتنا الأسرية طاهرة من كل رجس ودنس.

وأما غيرنا فهو حرٌّ في تساهله حيث يجوّز الصلاة خلف البر والفاجر ولو كان الحجاج بن يوسف أو زياد بن أبيه أو يزيد بن معاوية وبالطبع ليس معهم دليل واحد يدعم هذا المدّعى ولكنه تساهل كان سببه الجور واستمر بعد ذلك بلا مبرر فعلى العلماء أن ينظفوا الأحكام مما علق بها في أيام الجور والتعسف في عهود بني أمية وغيرهم من الذين تسلطوا على هذه الأمة بالقهر والغلبة وساعدهم مشايخ ليس لهم دين ولا ورع.



وقت الإفطار

▽س٤٣: لماذا تفطرون على النجمة؟

ج٤٣: نحن نفطر وفق الآية القرآنية التي تقول: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

والليل يتحقق بسقوط قرص الشمس في البحر كما يقولون وقد وردت روايات كثيرة ذكرها الشيخ الطوسي في التهذيب إذا غابت الشمس فقد حل الإفطار راجع الوسائل، كتاب الصوم..

وروى في المقنعة قال حدّ دخول الليل سقوط قرص الشمس.

لكننا نحتاط واحتياطنا لا يتعدى عشر دقائق فقط وما ذاك إلا للتأكد من سقوط القرص لأنّ أهل الخبرة يقولون أنه لا يتم المغيب إلا بزوال الحمرة المشرقية والفرق بين سقوط القرص وزوالها فرق بسيط واحتياط لا يستدعي الخلاف أبداً وهناك روايات كثيرة تشير إلى أنّ الإفطار يتحقق بمجرد سقوط القرص.

وقد أفتى على صحة هذه الروايات مراجع كثيرون منهم الشيخ

الطوسي والشيخ الصدوق وكثير من المعاصرين لكن الأكثر على الاحتياط خصوصاً بعد توضيح الشهيد الثاني وخبرته الفلكية الرائعة التي اعتبر فيها أنّ دخول الليل يكون مع زوال الحمرة المشرقية.



ثبوت الهلال

▽س٤٤: لماذا لا يتّحد المسلمون في إفطارهم؟

ج٤٤: نحن مع النص المأثور عن رسول الله والمجمع عليه بين علماء المسلمين: (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته) (١).

وحيث لم يتحد المسلمون في حلّ هذه القضية ظل التطبيق على العلماء وأصحاب الورع من المؤمنين فمن يثبت عنده الهلال يصوم ويَفطر ومن لا يثبت عنده يتأخر عن أخيه يوماً وهو دأب المسلمين على اتساع رقعة العالم الإسلامي إلى اليوم.

والمعلوم عند بعض الفكاهيين أنه كان في مصر فثبت الهلال في مصر فعيَّد مع المصريين ثم ذهب إلى تونس في نفس يوم العيد وفي وقت المغرب وجدهم يستهلّون ثم سافر في نفس الليلة إلى الجزائر فوجدهم يحيون ليلة القدر والكل ساكتون أمام هذا الاختلاف ولا يوجد أزمة اجتماعية.

---

(١) تهذيب الأحكام، ج٤، ص١٦٤.

لكن بعد تواصل العالم بعضه ببعض يجب أن تنتهي هذه المقولة ويعيِّد الناس في يوم واحد ولا شك أن المسلمين في موسم الحج يحجّون معاً ويعيّدون معاً.

لكن المشكلة لم تعد بين السنة والشيعة وإنما بين السنة فيما بينهم والشيعة فيما بينهم وما ذلك إلّا لاختلاف المباني التي يرتكزون عليها في إثبات هلال شوّال.

وأذكر أني شاركت في مؤتمر الحج والوحدة الإسلامية وكتبت كلمة عن الوحدة وذكرت فيها مسائل عشر للخلوص من الخلاف والوصول إلى إتفاق حول هذا الموضوع وغيره من الموضوعات.

وقلت يومها يجب علينا الإعتراف بالعلم وتهيئة مراصد على مستوى عالمي من التقنية وتخصيص خبراء مؤمنين يتمكنون من إدارة هذه المراصد وإعطائنا المعلومات الصحيحة حتى تتعمم هذه المعلومات على جميع الدول الإسلامية بنفس اللحظة التي يراها علماء الفريقين كي تنتهي الأزمة.

وفي السنوات الأخيرة ومع الأخذ بأسباب العلم، اتّضح أنّ هناك اختلافاً بين الفلكيين مما يعني أنّ الأزمة لن تنتهي إلّا بوجود دولة إسلامية عالمية يقودها إمام معصوم مؤيد من الله تبارك وتعالى.



إفطار المسافر بعد حدّ الترخّص

▽س٤٥: لماذا لا يفطر المسافر داخل بلده؟

ج٤٥: المسافر إلى مسافة شرعية إذا سافر بعد الزوال سواء كان قد نوى السفر أو لم ينوه لا يجب عليه الإفطار بل صومه مستمر وإفطاره حرام.

وأما إذا سافر قبل الظهر إلى مسافة شرعية فلا يحق له الإفطار إلا بعد الوصول إلى حدّ الترخّص وهي مسافة تعادل حوالي ثلاث كيلو مترات تقريباً.

وبعد الوصول إلى حدّ الترخّص يجوز الإفطار وإذا أراد الصلاة في ذلك المكان يصلّي قصراً وقبل ذلك يبقى كأنه في وطنه.



ليلة القدر

▽س٤٦: لماذا تخالفوننا في ليلة القدر؟

ج٤٦: ليلة القدر هي من الكنوز المخفية مثلها مثل أولياء الله الذين أخفاهم الله لحاجة الناس إليهم ليبقى لهم قيمة اجتماعية كبيرة.

ومن هنا قيل عن ليلة القدر إنها في كل ليلة من ليالي شهر رمضان وقيل إنها في العشر الأواخر وقيل إنها على مدار العام.

والأقرب عند العلماء إنها في العشر الأواخر وقد رست سفينة العلم عند أهل السنّة أنها على الغالب في ليلة السابع والعشرين والدليل الذي يقدمونه لا يختص في هذه وحدها والأكثر على إنها في العشر الأواخر لحديث صحيح عن النبي أنه كان يجتنب النساء ويحيي الليل في هذه العشرة وهو شامل لتأويلهم.

وأما نحن فمع العشر الأواخر وأضفنا ليلة التاسع عشر لروايات خاصة ولأنه فيها حدث مهم وهو استشهاد مولانا الإمام علي في هذه الليلة.

والشيعة يحتاطون فيبدؤون من التاسع عشر إلى نهاية العشر الأواخر

طمعاً فيما عند الله وبهذا يكون الشيعة مع إخوانهم لأن السابع والعشرين في قلب العشر الأواخر فكيف نكون مخالفين بل نحن موافقون وزيادة.



مسيرة البراءة في الحج

▽س٤٧: لماذا مسيرة البراءة من المشركين؟

ج٤٧: لمسيرة البراءة الجديدة قصة عميقة ذكرها القرآن الكريم في سورة التوبة وقرأها علي على المشركين وانتهى عهد المشركين بمكة من ذلك اليوم.

وكان المشركون يحجون إلى البيت ويعظمونه ويطوفون حوله كما كان الطواف لمن معه رداء يرتديه مع إزار أولًا ولما لم يكن عنده إزار كان يطوف بالبيت عارياً وكانوا يقولون في زمن كهنة مكة وسدنتها القدامى إن الذي يطوف في ثوبه يجب عليه بعد الإنتهاء التصدّق به وإلا لما قبل عمله، ومن عنده ثوب آخر كان يلبسه، ومن كان معه مال كان يشتري ثوباً ويتصدّق به، ومن لم يكن عنده ثوب ولا مال كان يحج عارياً.

ويذكرون أن النساء كانت كذلك تطوف عارية أيضاً.

ومهما كان فقد حرّم الله على المشركين والعراة أن يطوفوا حول البيت بعد أن قرأ عليهم عليٌّ الآيات الأولى من سورة براءة.

وملخص القصة التاريخية: أن النبي بعد ما نزلت الآيات الأولى من سورة براءة وهي ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ١-٣] . إلى قوله: . ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ﴾ [التوبة: ٢٨] بعث أبا بكر حتى يحج بالناس ويقرأ عليهم الآيات ويعلن البراءة من المشركين ويمنع المشركين والعراة من الطواف بالبيت وتدنيسه.

ولما وصل أبو بكر إلى ذي الحليفة نزل جبرئيل على رسول الله يقول له: يا محمد لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك فمن هنا بعث علياً وقال إلحق أبا بكر وخذ منه الآيات وحجّ بالناس واقرأها عليهم في الموسم وامنع المشركين من دخول المسجد الحرام وامنع العرافة من الطواف ومن له عهد فعهده إلى مدته كان في ذلك في سنة ٩ للهجرة النبوية، والقصة الكاملة موجودة في كل كتب السيرة بلا خلاف..

فتأهب علي ولحق بأبي بكر عند مسجد الشجرة ولما رآه خرج فزعاً لأن صوت ناقة رسول الله كان يدوّي في الأفق فخاف أبو بكر وخاف أن يكون قد نزل به شيء فقال لعلي: هل نزل بي شيء؟

قال: لا أدري وإنما أمرت أن آخذ منك الآيات وأنت مخيّر بين أن تذهب معي أو تعود إلى رسول الله وظل خائفاً فعاد إلى رسول الله

وبعد السلام سأله هل نزل فيّ شيء؟

قال: لا، ولكن جبرئيل نزل عليّ قائلًا: يا محمد لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك وعليّ مني.

وذهب عليّ فحجّ بالناس وقرأ الآيات على أهل الموسم أكثر من مرة ومنع المشركين والعراة الطواف وبعدها عاد الناس إلى رشدهم فدخلوا في الإسلام.

وعندما جاءت الثورة الإسلامية بمفاهيمها الثورية أرادت أن تجرّ التاريخ وتعيد حياة النبوة وحكمها الصارم بالبراءة من المشركين في مناسبة موسم الحج كل عام وقامت هذه المسيرات التي تصب في مواجهة المشركين والكافرين مما استدعى المشركين في العالم أن يتداعوا لأخذ موقف صارم جديد غير موقف الحرب الموجهة على الجمهورية من قبل صدام تكريت فاتفقوا على قمع المظاهرة بالحرم المكي وأراقوا الدم الحرام في الشهر الحرام والبلد الحرام ومنعت من يومها المظاهرة منعاً قانونياً وأصبحت بعد اتفاق خاص غير ممنوعة في الخيم ولكنها ممنوعة خارج خيم الحجيج ومن هنا يقوم بها الحجاج الإيرانيون في منى أو عرفات ليؤكّدوا وقوفهم في وجه المشركين.



متعة الحج

▽س٤٨: ما هي متعة الحج؟

ج٤٨: الحج ينقسم إلى ثلاثة أنواع، الأول: حج الإفراد، والثاني: حج القِران وهو نفس الأول لكن الحاج يسوق معه الهدي ويكون قد أعلم الهديَ بالوسم أو بتعليق نعل في رقبته بحيث يعرف أنه من هدي الحجيج، والثالث: حج التمتع.

والأول والثاني فرض أهالي مكة وجوارها إلى اثنتي عشر ميلًا والثالث فرض البعيد حوالي ٤٨ ميلًا فما فوق فكل حاج آفاقي يعني يأتي من الآفاق فرضه حج التمتع وكل رجل من أهالي مكة أو من المتوطنين فيها وصار له سنتان ففرضه الإفراد فإذا حمل معه الهدي فهو قِران.

وكان النوعان الأولان هما المعروفان في الجاهلية وحج التمتع لم يشرع إلا في حجة الوداع لقوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة:١٩٦].

وحج التمتع عمرته قبله وحج الإفراد عمرته بعده والنبي في آخر حجه فصّل المسألة فمن كان قد ساق الهدي فهذا يجب عليه أن يبقى

على إحرامه حتى ولو أنه حجّ حجة تمتع وأما من لم يسق معه الهدي فالواجب له بعد الطواف والسعي التحليل.

ولما كان في الجاهلية الحكم أنه يبقى الحاج على إحرامه من أول الأعمال إلى آخرها سواء حمل معه الهدي أم لا عزّ على بعض الحجاج من الصحابة أن يلتزم بقرار النبي وقال له: لما أمر الناس أن يحلّوا من إحرامهم بعد التقصير وقال لو كنت استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت كما أمرتكم فقال عمر: يا رسول الله نخرج حجاجاً ورؤوسنا تقطر فقال رسول الله: إنك لن تؤمن بها أبداً.

وظل عمر على إحرامه مع أنه لم يسق معه الهدي مخالفاً لرسول الله وظل على خلافه حتى صارت الخلافة له فحرّمها وقال: متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أحرّمهما وأعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء.

والحق يقال: إن السنّة في العالم لم يأخذوا بقول عمر في متعة الحج فنحن والسنّة على سنّة واحدة في متعة الحج حيث يخالفون فيها أبا حفص مثلنا وإن اتفقوا معه في تحريم متعة النساء واختلفنا نحن معه في النساء أيضاً.

وقال الشهيد الثاني: يجوز لمن حج ندباً مفرداً أن يعدل إلى عمرة التمتع اختياراً وهذه التي أنكرها الثاني اللمعة الدمشقية (١).

وصحيح أن عمر أنكر العدول من الإفراد إلى التمتع إلا أنه أنكر

---

(١) انظر الزبدة الفقهية للسيد محمد حسن ترحيني، ج٢، ص٣١٠.

عمرة التمتع بعد ذلك وحرمها كما حرم متعة النساء ولكن كما ذكرنا لم يلتزم علماء السنة بتحريمه وهم الآن مثلنا تماماً.



الإحرام قبل الميقات

▽س٤٩: لماذا لا نحرم من بلدنا؟

ج٤٩: إذا سافر الإنسان المؤمن إلى الحج فلا يحق له الإحرام قبل الميقات وإذا وصل إلى أحد المواقيت مثلًا مسجد الشجرة، أو الجحفة، قرَن المنازل، يلملم، وادي العقيق، التنعيم، فمن هناك يحرم ويتوجه أولًا إلى أداء عمرة التمتع ثم يتحلل بعد الطواف والسعي ثم يحرم إلى الحج من مكة المكرمة وفي أي مكان من مكة جائز وأفضله المسجد الحرام والأفضل تحت ميزاب إسماعيل.

ولا يمكنه أن يحرم قبل الميقات إلا بالنذر أما بدون نذر فلا يحق له الإحرام وعندما يركب الطائرة أو السفينة ويخاف أن يتجاوز الميقات بدون إحرام فهنا يجوز له عندما يركب الطائرة أن يحرم بالنذر فإذا مرّ فوق الميقات يكون مروره جائزاً.



خلافة أبي بكر وعمر

▽س٥٠: لماذا لا تعترفون بخلافة أبي بكر وعمر؟

ج٥٠: لأنه لا يجوز أن يكون للأمة خليفتان وبعد أن عين النبي الإمام علي ولياً على الأمة الإسلامية من بعده وبايعه الصحابة وعلى رأسهم الشيخان أبو بكر وعمر وقالا له أثناء البيعة: بخ بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وقد ثبت هذا بالتواتر فكيف يجوز لنا أن نبايع آخر وهناك جملة روايات تقول: إذا بويع لخليفة وعقد له على رؤوس الأشهاد فلا يجوز أن تبايعوا لآخر، ومن دعا إلى بيعته بعد البيعة الأول فاقتلوه، ومع ذلك نحن لم نقتل من ادعى البيعة الثانية.

ولعلّ الجميع يعلم أنّ الخليفة الأول طلب الإقالة من الناس لعلمه أنه بويع له في ظل خلافة علي الشرعية التي بايعه بها في غدير خم وقد ذكرنا المسألة مفصلة فراجع.



ميراث البنت

▽س٥١: لماذا ترث البنت النصف من الميراث؟

ج٥١: لا فرق بين المسلمين في النص القرآني الواضح، فميراث البنت النصف إذا مات والدها وكانت وحيدة وهذا لا إشكال فيه عند أحد لأن القرآن يقول:

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ [النساء: ١١] وهذا لا إشكال فيه عند أحد وبالطبع أنت تقصد غير هذا أنت تقصد النصف الثاني لأن البنت إذا لم يكن معها أبوان فلها الميراث كلّه وعند غيرنا لها النصف، والنصف الثاني يرثه الذكور من العصبة مثل الأخوة فالسنة يورثون البنت النصف بلا منازع لأنه فرض، لكن النصف الثاني الذي لا نص فيه حسب زعمهم يأخذه أخوته.

أما عندنا فالبنت ترث المال كله، النصف الأول بالفرض المذكور بالقرآن والنصف الثاني بالرد حيث يُرد عليها النصف الآخر لآية أولي الأرحام ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥] ولا يوجد للميت أقرب من بنته فمن هنا نرد عليها المال الثاني بالقرابة فهي

تأخذ النصف بنصّ القرآن بلا إشكال عند أحد، والثاني بنص القرآن ولكن بآية القربى ولدينا قاعدة في الميراث تقول: (الأقرب يحجب الأبعد) والبنت أقرب إلى أبيها من عمها إلى أبيها، ومع وجود البنت ينتفي تلقائياً ميراث العم.



صلح الحسن (ع) وثورة الحسين(ع)

▽س٥٢: لماذا صالح الإمام الحسن ولم يصالح الإمام الحسين؟

ج٥٢: كانا وجهين لرسالة واحدة كل وجه منهما في موضعه منها وفي زمانه وفي مراحله يكافىء الآخر في النهوض بأعبائها ويوازنه بالتضحية في سبيلها فالحسن لم يبخل بنفسه ولم يكن الحسين أسخى منه في سبيل الله وإنما صان نفسه ليجندها في جهاد صامت فلما حان الوقت كانت شهادة كربلاء شهادة حسنية قبل أن تكون شهادة حسينية.

وكان يوم سابط أعرق بمعاني التضحية من يوم الطف لدى أولي الألباب عند من تعمّق.

لأن الحسن أعطى من البطولة دور الصابر على احتمال المكاره في صورة مسكين قاعد.

وكانت شهادة الطف حسنية أولًا وحسينية ثانياً لأن الحسن أنضج نتائجها ومهَّد أسبابها.

كان نصر الحسن الدامي موقوفاً على جلو الحقيقة التي جلاها لأخيه الحسين بصبره وحكمته وبجلوها انتصر الحسين نصرة العزيز وفتح

الله له فتحه المبين.

وكانا متفقين على تصميم الخطة وأن يكون للحسن منها دور الصابر الحكيم وللحسين دور الثائر الكريم لتتألف من الدورين خطة كاملة ذات غرض واحد.

الموقف الصعب:

لم يكن الحسن بن علي إلا النسخة الثانية للإمام علي بن أبي طالب فارس الإسلام وحامي حومته وقد قال له (وجدتك بعضي بل وجدتك كلي).

ولقد شهد الإمام الحسن معارك يفرُّ منها البطل الشجاع فما سمعنا عنه أنه وَهَنَ أو خاف بل كان دائماً مثال الفارس القابض بيده على سيفه وبإصبعه على قوسه وكان يزفر ويحترق إلى مسرح المعركة ويحسُّ وهو يتلظى بنار الحرب كأنه أسد يزأر ويزمجر أو حصان يصهل ويحمحم طلباً للنزال وقراعاً للأبطال ومتى عُرف بنو علي بغير الشجاعة والبطولة وهل يستطيع الجبن أن يدخل إلى بيوتهم أو يمر هواؤه فوق رؤوسهم.

وهل فيهم إلا صاحب النجدة والحمية والمروءة والأريحية وإذا كان علي يقول: (والله لو اجتمعت العرب على قتالي لما وليت عنها ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها) فهل يكون الحسن شيئاً آخر؟

وهل الحسن إلا الشجاعة المكملة لشجاعة أبيه وجده وهل يلد الصقر إلا الصقر والأسد الهصور إلا الشبل الزؤور؟

من هنا يعرف أن قبول الإمام الحسن بالصلح ليس خوفاً من حرب

ولا فراراً من زحف بل موضوع الصلح أمر فرضته الظروف الخارجية والميدانية التي لولا حكمته وقبوله السريع لأطاحت الحرب بالهاشمية ولاجتثت الشجرة النبوية الطاهرة من أصلها ولكن حكمة الإمام الحسن هي التي غيّرت المعادلة وحفظت الملّة وحافظت على المستقبل الثوري الواعد الذي طبخ الحسن مقدماته حتى أنضجها.

وحفر خنادق المواجهة بدمه وصبره حتى أسسها وصفاها من حلمه وصبره وصلابة مواقفه في الموقف الغامض الذي خفي سره حتى على أخص رجالاته وأعرف الناس بحالاته.

وعلينا لإيضاح المطلب تقديم بعض المقدمات:

النبوة مبعث إلهي اختاره الله عز وجل لأخص أوليائه وأكثرهم طاعة وأخلصهم ذاتاً وسيرة وأشدهم في سبيله تبليغاً وتبياناً للحق والتزاماً بالأمر وكان النبي الأكرم محمد مثال الإخلاص والطاعة والتبليغ حتى قال ما أوذي نبي مثل ما أوذيت ومع كل هذه الأذية وتعاظم البلية صدع بأمر ربه وبلغ رسالته كاملة حتى بلغ غايته وأبرأ ذمته وعندما حان حينه وأزفت ساعته وطال شوقه إلى ربه أمره سبحانه أن يوصي وصاية عامة يعلن فيها فارس الحلبة وزعيم الملة وسيد العرب وخليفة النبي.

فانتهز النبي الأكرم فرصة حجة الوداع فأبلغهم الحكم الإلهي بمبايعة الولي والصفي والإمام وهو علي ثم قال لهم والملأ يسمع:

أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فقال: مَن كنت مولاه فهذا علي مولاه، وأخذ بضبع علي حتى بان بياض إبطيه وكان الإمام أبو الحسن هو الوضع الخاص وهو النقطة تحت الباء

وهو الدابة التي تكلِّم الناس يوم تخرج عليهم وهم في حالة ذهول وهو باب حطة من دخله كان آمناً وهو مع الحق والحق معه ولما خرَّ في محراب الشهادة صريعاً يخور بدمه الزكي قال روحي فداه: (فزت ورب الكعبة) ثم حمل على سريره والألم يأكل من أحشائه والجزع من المستقبل يأكل أهل بيته وهم عارفون بالمصير الأسود الذي ينتظرهم ومع كل هذا الوضع قام الإمام الحسن بعد وصول الإمامة إليه ميراثاً شرعياً من جده وأبيه لأنه إمام ابن إمام أخو إمام ولأنه سيد العالم في الدنيا وسيد شباب أهل الجنة في الآخرة بواجبه فأخذ البيعة من الناس فهدجت إليه القلوب وخفقت لخلافته الأفئدة وطارت الكوفة فرحاً بيوم الخلافة مع أنها في ساعة ألم على فقد سيد الأولياء.

وأعلن الإمام في اليوم التالي عن برامج العهد الجديد وزاد في أعطيات الجيش والقوات الأمنية والعسكرية ماءة ماءة وسن سنّة حسنة التزم بها كل من جاء بعده وهي بشارة العهد بالمستقبل الواعد.

وأعدّ واستعدّ لمعركة الفصل التي بدأ بها أبوه ليكمل الدورة العسكرية وينهي آخر حالة تمرد على الإمام العادل.

واستمر على ما هو عليه من الإعداد الدائم من جباية الخراج إلى توزيع الأعطيات إلى حكومة العدالة وإلى الإتصال بالدنيا في كل الولايات التابعة لحكمه يعلمها ويبلغها الأحكام الشرعية التي تحتاجها في حياتها اليومية.

كان الإمام الحسن هو الإمام الشرعي في كل أحواله وعلى الأمة الطاعة لحكمته وعصمته وسداد رأيه.

وبينما هو كذلك وإذ يرى معاوية يبعث إليه الجواسيس فيستخرجهم ويضرب أعناقهم ويبعث رسالة حادة اللهجة إلى معاوية ويتأهب لحرب القاسطين ليؤدّب ويعيد الحياة السياسية كما كانت في عهد جده وهو الوريث الشرعي والإمام الشرعي لهذه الحياة وعلى الأمة الإنقياد له والنصيحة والسمع والطاعة ولكن الأمويين وعلى رأسهم معاوية تنكروا للإمام الحسن كما تنكروا لأبيه من قبل وكما تنكروا لجده قبل ذلك وخلال أيام تبدأ الإرهاصات القتالية وتدوّي في العواصم صفارات الإنذار وتتناقل الدنيا أخبار الحرب.

ويخرج أصحاب الدنيا عن صمتهم وتحلو الدنيا في نفوسهم فيقدمونها على الدين وهذا ديدن الأمويين جميعاً.

وتدور سياسة الحالة الراهنة حرب بين جهتين جهة تحارب للحق والمبدأ وسيادة الإسلام وسيطرته على الحياة لصياغة الإنسانية المهذبة.

وجهة تحارب على المطامع والمنافع وسيطرة الشهوات والتسلط والأنانية على القيم الإسلامية والأخلاق الربانية وبما أن الأمويين برجماتيون في عملهم السياسي والغاية عندهم تبرر الوسيلة جوّزوا لأنفسهم قتال الإمام الشرعي صاحب الحق الشرعي الإمام الحسن الذي قال فيه رسول الله وفي أخيه الإمام الحسين ولداي هذان إمامان قاما أو قعدا.

وبما أن الإمامة هبةٌ إلهية ومنحةً ربانية لن تصل إلى معاوية وأحزابه من أصحاب العمل الذاتي لأن الإمامة إذا كانت كما ذكرنا لا ينالها إلا ذو حظ عظيم من الذين حصلوا على مرتبة عالية من التربية

الأخلاقية الشرعية وحصلوا على تربية عالية من المنبت الطيب.

أما معاوية فهو طليق ابن طليق فلا تحل له الخلافة ولا يستحقها ما دام في الدنيا رجل صالح والأرض لا تخلو من حجة لله وبالتالي لن تصل النوبة إليه ولكن معاوية كما بيّنا رجل يؤثر الباطل على الحق ويدعو إلى ذلك ويعمل من أجل الملك بكل ما أوتي من خداع ومراوغة وحيل ويستخدم المال الشرعي في سبيل دعم ملكه العتيد وظله المديد.

وكان الوضع الأخلاقي في زمن الإمام الحسن قد تردى فعظمت الدنيا ورشوتها وزينتها وولهت القلوب إليها حينما مالت مالوا معها وحيثما أقبلت أقبلوا عليها فهي دينهم وديدنهم وهي أملهم ومستقبلهم.

وكانت الجهة الأخرى المتأبطة بالحق والمستمسكة بالعدل تتباين أخلاقياً وشرعياً مع قنوات الباطل وشرعته.

وكان معاوية قد حصل خلال عشرين سنة مضت وهو والٍ على الشام وحمص وحما وبلاد لبنان واستطاع أن يؤلب الدنيا على الخلافة الجديدة ويغري السفهاء بسبهم ويدفع أهل الحديث لصناعة كاذبة فيمهدون له بأحاديث ما أنزل الله بها من سلطان تمدح أبا سفيان وعثمان ومعاوية وتجعلهم في مصاف الملائكة والأنبياء وحوَّل سب أهل البيت إلى سنّة شبَّ عليها الصغير وهرم عليها الكبير ونشأت أجيال وأجيال لا ترى إلا معاوية وجماعته وحاشيته وأولاده وأحفاده أنهم مؤهلون وأنهم العترة الطاهرة وأن الكساء ظللهم والنبي أوصاهم والأمة خدام لهم.

فكانت كل هذه الحياة ملكاً لمعاوية يحارب بها علياً والحسن فيما منع الناس حتى أهل العراق أن يستجيبوا لمطالب الإمام الحسن

بالاستعداد للحرب حتى الذين تهيؤا لخوض معركة نهائية لاستئصال الفساد تركوا العزيمة وهربوا من المسؤولية فخرج الإمام الحسن يستحث أهل الكوفة التي تحوي على ماءة ألف جندي فلم يخرج أكثر من ستة عشر ألفاً وإذا نظرنا إلى جيش معاوية وقد بلغ أكثر من ستين ألفاً من العساكر المدربة ذات المسؤولية العسكرية تجاه القائد سوف لن يتمكن الإمام الحسن من لقاء العدد بجيش مفكك أخلاقياً ومتأزم شرعياً وعدته لا تساوي الجيش الآخر إلا واحد لكل خمسة من الجيش المدجج بالسلاح.

فهل يمكن والحالة هذه لجند الحسن الخائفين أن يحققوا أرباحاً أو تعادلًا على الأرض وهنا من خلال هذه الحسابات لو أن الإمام الحسن زجّ بالمعركة جيشه في هذه الحالة المنهزمة نفسياً لقضى الجيش الأموي عليهم بسرعة ولاستطاع معاوية أن يستأصل الخلافة ويقتاد الإمام الحسن أسيراً وربما قتيلًا وتنتهي المعركة المبدئية ولا يبقى لهذه المعركة من حارس حتى على مستوى النظرية ولا يمكن بعد للإمام الحسين حينما يأتي دوره المميز أن يلعب ما لعِبهُ في عهد يزيد بل قد لا تصل النوبة إلى الحسين مطلقاً وأمام السقوط المريع وانهيار الأمة وانعدام المقومات على البقاء لم يعد التفكير في الثورة صالحاً ولا وارداً فكيف يقوم سيد الشهداء؟

نعم إن الإمام الحسن عندما درس الفكرة حينها في عمقها وفي مستقبلها فلم يكن في مرآته التي ينظر إليها إلا مهادنة العهد الجديد والتنازل عن الحاضر والتربص بالمستقبل وتعيين الهدف والعدو وإصلاح الأمة وإعلان الحرب المقدسة الباردة والتضحية ملك هؤلاء الأكارم

سجية موروثة وأخلاقاً مدروسة والقتال في غير أمل وبدون جيش أقله الانتحار وضياع القضية وإذا دار الأمر بين بقاء الحق والأمل مع التضحية الكبيرة فلتكن التضحية ليبقى الأمل والهدف والحق الذي يعمل من أجله.

أما إذا كانت الحرب هي التي تربك الوضع وتدمر الأمة وتبيد العترة رمز الكرامة وعنوان الدعوة فلا يجوز مطلقاً، ولا شرعية لحرب تدمر القضايا كما تدمر الرمز والعنوان والأصالة.

أقدم الإمام الحسن روحي فداه وهو ينظر ببارق الأمل بل بنور البصيرة أن الأيام حبلى وأن بني أمية لهم ملك كلعقة الكلب أنفه أيامهم قصيرة وحكومتهم زائلة فلا مانع منها.

ومن هنا أقدم على مشروع التضحية فنزع قميص الخلافة وتركها للأمة الباردة ليتكشف لها بعد ذلك غلطها عندما تركت إمامها وأسلمت أمرها إلى عدوّها يسمل العيون ويبقر البطون ويذل الأمة ويضيِّع الملَّة ويحرف القرآن ويضيع الأحكام ويتلاعب بالقيم ويخرب كل ما فيها ويحفر لدفن مستقبلها.

ولذاك صالح الإمام وهو عالم بما جرى وما يجري غير عابىء بعتب العاتبين ومعارضة الجاهلين.

وهذه نماذج من مداخلات وأجوبة الإمام عليها قال أحدهم: يا ابن رسول الله لِمَ هادنت معاوية وصالحته وقد علمت أن الحق لك دونه وأن معاوية ضال باغ.

فأجابه: يا أبا سعيد ألستُ حجة الله تعالى على خلقه وإماماً عليهم بعد أبي قال: بلى، قال: ألستُ الذي قال رسول الله لي ولأخي الحسين:

(الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)؟ قال: بلى، قال: فإذاً أنا إمام لو قمت وإمام إذا قعدت.

يا أبا سعيد علّة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية أولئك كفار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل.

يا أبا سعيد، إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبساً ألا ترى الخضر لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى من فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي.

هكذا أنا سخطتم عليَّ بجهلكم وجه الحكمة ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلّا قتله صلح الحسن [1].

اللغم السري:

إليك ما رواه بعض المؤرخين:

قال اليعقوبي في تاريخه:

(وكان معاوية يدس إلى عسكر الحسن مَن يتحدث أن قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار معه، ووجّه إلى عسكر قيس بعد هزيمة عبيد الله بن العباس ومن معه من يتحدث أن الحسن قد صالح معاوية وأجابه، ووجّه معاوية إلى الحسن المغيرة بن شعبة وعبد الله بن كريز

---

(١) الشيخ راضي آل ياسين، ص٢٠٠، نقلاً عن البحار، ج١٠، ص١٠١.

وعبد الرحمن ابن أم الحكم وأتوه وهو بالمدائن نازل في مضاربه.

ثم خرجوا من عنده يقولون ويُسمعون الناس: إن الله قد حقن بابن رسول الله الدماء وسكن الفتنة وأجاب إلى الصلح.

فاضطرب العسكر ولم يشكك الناس في صدقهم.

فوثبوا بالحسن فانتهبوا مضاربه وما فيها فركب الحسن فرسه ومضى في مظلم ساباط، وقد كمن له الجراح بن سنان الأسدي فجرحه بمغول في فخذه وقبض على لحية الجراح ثم لواها فدق عنقه وحمل الحسن إلى المدائن وقد نزف نزفاً شديداً واشتدت به العلة فافترق الناس عنه وقدم معاوية العراق فلما رأى الحسن أن لا قوة له به وأن أصحابه قد افترقوا عنه فلم يقوموا له، صالح معاوية.

ومن راجع الطبري وابن الأثير في الكامل وابن أبي الحديد في شرح النهج والمفيد في الإرشاد وغيرهم لرأى أن أيام الخلافة قد ولّت وأن الدنيا وأيامها الزاهية قد أزفت وراقت حياتها بالغش والخداع والتسلّط والقهر والغلبة.

وأن أمام الحسن فرصة الصلح لا غير وإلا لجأ أصحابه وقوّاد جيشه فأمسكوه وقيّدوه وسلّموه إلى معاوية خصوصاً وأن معاوية بعث للإمام بالرسائل الكثيرة التي جاءته تبايعه وهي حاضرة أن تسلمه الحسن بن علي إذا أعطاها الأموال المتفق عليها.

وعندما وصل الأمر بالخذلان إلى هذا الحدّ كان لا بد من المهادنة مع الشروط التي تصون الإمام وأهل بيته ومواليه وشيعته وتحفظ الوضع الإسلامي ويلتزم الإمام الحسين بالشروط حتى يأتي يومه وتكون الأمة قد

نُهكت من جور الأمويين وهي التي ذهبت إلى معاوية راغبة في ماله وحياته.

هذه الأمة نفسها عندما يلغُ معاوية في دمائها وأموالها وأعراضها سوف تأتي إلى الإمام الحسين مناشدة بإلحاح لبيعته ونصرته ويمكن للإمام عندئذٍ أن يلعب الدور المميز الذي ينتظره وينتظره المستقبل الواعد الذي يحطم عرش الطاغوت ويؤسس لحكم إسلامي عادل.

وكان معاوية قد هيأ جواً متعباً وخرَّب على الإمام الحسن دنيا أصحابه ودينهم وجعل المال هو الحاكم الفعلي في جيشه وقد أهلك جماعة الإمام الحسن الدنانير الصفر والدراهم البيض وكانت أكياس الذهب المرسل إلى القواد العراقيين يلمع بريقها إلى مسافة أميال.

ولما بدأت الخيانة بعبيد الله بن العباس وهو ابن عم الخليفة فماذا تنتظر على الخوارج والمرتزقة والأجانب والحمراء والأعاجم فلا غضاضة إذا رأى عسكره ينقسم هذه الإنقسامات وهو حاضر لكل مؤامرة على أمانة ينفذها وأن يقتل إمامه لبعض الدريهمات البيض.

ولا شك أن دافع فئة الباطل الباغية الاستيلاء والسيطرة والحكم بكل الأساليب المتاحة.

ودافع فئة الحق الموادعة والمهادنة حفظاً للأمة من الإنهيار وحفاظاً على مجموعة لو استأصلها معاوية لانقطعت أوصال الأمة وتفككت عراها ولما أمكن رتقها بعد فتق وجمعها بعد تفرق.

ولكن حكمة الإمام الحسن ونفاذ بصيرته هي التي منعت عصبة الجور من استئصال أهل الحق والسلف الصالح.

على أن الإمام الحسن شرط شروطاً لو طبقت لما كان معاوية قادراً إلا بالتسليم إلى الإمام الحسن أو أخيه وانتهاء عهد الأموية.

ولكن معاوية يمكر ويغدر وطبيعته طبيعة يهودية لا يرقب في الناس إلًّا ولا ذمة ولا يحفظ شرطاً ولا يفي بعهد.

حتى فضحه الله أمام الملأ وكرهه حتى أبناء أسرته وتفرق عنه حتى أقرب الناس إليه لسوء فعاله وخطل مقاله.

ميثاق الصلح:

وإليك النص الشرعي الذي وقّعه الفريقان:

المادة الأولى: تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه وبسيرة الخلفاء الصالحين.

المادة الثانية: أن يكون الأمر بعد معاوية للإمام الحسن فإن حدث به حدث فلأخيه الإمام الحسين وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد.

المادة الثالثة: أن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة وأن لا يذكر علياً إلا بخير.

المادة الرابعة: استثناء ما في بيت مال الكوفة وهو خمسة آلاف ألف فلا يشمله تسليم الأمر وعلى معاوية أن يحمل كل عام إلى الحسن والحسين ألفي ألف درهم وأن يفضل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس وأن يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين في صفين والجمل ألف ألف درهم وأن يحصّل ذلك من خراج دار بجرد.

المادة الخامسة: الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم

وعراقهم وحجازهم ويمنهم وأن يؤمن الأسود والأحمر والأصفر وأن لا يتبع أحداً بما مضى من هفوات سياسية.

وإعطاء الأمان لأصحاب علي حيث كانوا ولا ينال أحد من شيعة علي بمكروه وأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأعراضهم وألّا يتعرّض لأحد منهم بسوء ويوصل إلى كل ذي حق حقه وعلى ما أصاب أصحاب علي حيث كانوا.

(وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي وللحسين بن علي ولا لأحد من أهل بيت رسول الله غائلة سراً وجهراً ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق) (١).

وبعد تمامية الصفقة وحصول التنازل بالشروط الشرعية التي لو وفى فيها معاوية لعادت الخلافة تزهو بأهلها ولأشرق آخرها كما أشرق أولها ولكن شاء الله لهذه الأمة المتواكلة أن يُريَها نتائج أفكارها وثمرات أعمالها ففي أول يوم وصل فيه معاوية إلى الكوفة أعلن برامجه الغادرة وكشر عن أنياب الوحش الكاسر لأكل لحوم بني علي وشيعتهم.

فقال على المنبر أمام الملأ الكوفي الذي كان مذهولًا حينما رأى معاوية على منبر علي والحسن: أيها العراقيون أتظنون أنني قاتلتكم لتصوموا وتصلّوا وتحجوا وتزكوا، كلا، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون وإني كنت قد أعطيت الحسن بن علي عطايا وشرطت له شروطاً وها هي، ثم مزق صحيفة العهد وقال: ها هي

---

(١) مقاتل الطالبيين، ص٢٦. البحار، ج١٠، ص١٠١، الدينوري، ص٢٠٠.

تحت قدمي لا أفي منها بشيء.

وكرّت المسبحة والمخالفات، وظهرت معالم الجور، وأحس العراقيون بسوء صنيعهم عندما نكصوا عن الإقدام مع إمامهم حتى أجبروه على الصلح والتنازل لمعاوية وبدأ الأعيان من الناس يشهدون على معاوية بالكفر والجور حيث لم يترك حلالًا إلا حرمه أو حراماً إلا أحله فقتل الصحابة الأبرياء وسبى نساء العشائر العربية المسلمة وباعها في الأسواق وأشاع الفساد والخمر والزنا وسمح لولده يزيد وحاشيته أن ينالوا من شيعة علي بكل ما يريدون فتحولت الخلافة إلى الملك والسلطان والولاية إلى غش وخيانة والمهم أن جيش الشام وحاشية الملك هي التي تنعم بالرخاء والعالم كله يدفع الخراج ويأكل الكرباج وكرت سبحة الغدر من القمة إلى القاعدة.

وارتاعت الأمة وارتفعت حرارة الوجد إلى عدل علي وأبنائه وإذا بعهد علي تكتب فصوله بماء الذهب وتحفظ الأمة من جديد هذه الفصول وتقارن بين عدل علي وجور معاوية وتحولت الأمة من جديد تنتظر الإمام الحسن وتكاتبه وأن معاوية نكث وخالف ذلك الحق بالحرب وأن هناك مائة ألف سيف ينتظرون الإذن في القتال لدحر الأمويين وولاتهم وإعادة الخلافة الإسلامية إلى أهلها الشرعيين ولطالما وردت الكتب تؤكد حضور العراقيين مع إمامهم.

ومن جانب آخر بدأ الصحابة الأكارم يشيعون أعمال بني أمية ويذكرون جور معاوية، وكان معاوية يخبط خبط عشواء وحلمه الوحيد عندما مزق دفتر الشروط أن يبايع لولده يزيد ليؤسس لدولة أموية ليس

فيها شورى إسلامية وإنما هي ملك غضوض يتوارثه جيل عن جيل على طريقة كسرى وقيصر.

وأما المآسي المروعة التي ارتكبها معاوية بقتال الصحابة وأهل الورع والدين فقد استاءت منه حتى حكومته التي بدأت تتداعى، حتى أبو هريرة وهو المحدّث الرسمي لمعاوية ضجّ من هول ما رأى وما سمع ولم يطق بعد تحمل مثل هذا الجور فقتل حجر من عدي الكندي وعمر بن الحمق الخزاعي ومجموعة من أصحاب حجر الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وعبد الله بن يحيى الحضرمي ومجموعة من أصحاب السر والقرآن والدين ولم تعرف الأمة التي تربت على احترام الصحابة لماذا قتلهم ولماذا روّع زعماء الكوفة ورؤساء عشائر أهل العراق ولم يترك قبيلة محبة لعلي إلا وسفك من دمائها وأخذ من أموالها واعتدى على أعراضها.

ولم تتمالك الأمة أن ترى رؤوس الصحابة تهدى من بلد إلى بلد والأعلام الكبار فيهم يتساقطون إلى الأرض بالسمّ مثل الإمام الحسن وعبد الرحمن بن خالد ومجموعة من الأكارم حتى يمهّد الأمر لولده السكير الخمير يزيد.

هذه القصة المختصرة قدمتها لك باختصار لأردف بعد ذلك وأقول:

ما كان الحسن بن علي إلا الهاشمي الشامخ مجده والأصيل محتده والزاكي فرعه وأنه على الحق، والحق حتى يحفظ يجب أن يكون له رجال وأعوان ولما لم يبق عند الإمام الحسن إلّا الخلّص المعدودون

على الأصابع فضنّ بهم على الموت وأبى روحي فداه إلّا حفظهم لأنهم بقية أمير المؤمنين ووديعته وأصحابه.

وكان سلام الله عليه كأخيه فارس حلبة وسيد حكمة ووسيم طلعة وعالم القرآن والسنّة فكلاهما جاهد وضحى وكلاهما سيد شباب أهل الجنة وكلاهما إمام إن قام وإمام إن قعد.

وكان احتساء الموت قتلًا في طرف الحسين والاحتفاظ بالحياة . صلحاً في عهد الإمام الحسن مما استدعته ظروف المرحلة وكان هو المدخل الطبيعي لثورة سيد الشهداء ولو أن الإمام الحسن كان بإمكانه البوح في أسرار الشهادة واطلاع القوم على صفحات الملحمة الإلهية لأطلعهم ولكن لم تكن هناك أي مصلحة لإطلاع البعض خوفاً من فشو الأسرار وإيضاح المعالم لتكن سنّة الله وقدر الله وقضاؤه وهو الحاكم والإمام العالم هو المنفذ والمطبّق حرفاً بحرف لمعالم السنّة الإلهية.

كانت عوامل الزمن التي صاحبت كلًا من الحسن والحسين في زعامته هي التي خلقت لكل منهما ظرفاً من أصدقائه وظرفاً من أعدائه.

وكان من طبيعة اختلاف الظرفين اختلاف شكل الجهادين واختلاف النهايتين الدنيويتين.

ولا شك أن احتمال الإمام الحسن لما لاقاه وهو ينظر إلى الأمة تتمزق لا تقل عما لاقاه الإمام الحسين وهو يُلاحق من بلد إلى آخر حتى يبايع.

ونعود لنقول مرةً أخرى إن الشروط التي شرطها الإمام الحسن على معاوية هي الفخ الذي وقع فيه معاوية وولده من بعده فحقت عليهم

اللعنة.

وتراجعت عنهم الأمة وتحولت الأمة تدريجياً عنهم إلى القيادة التاريخية التي كانت في زمن علي لتعيد أمجاد الإسلام بالثورة اللاهبة التي حمل رايتها أبو عبد الله وكانت دماؤه الطاهرة هي التي روت شجرة الثورة كما كانت دماء الحسن الطاهرة هي التي مهدت لبقاء هذه الشجرة وفيها شيء من النمو وسلمتها للإمام الحسين ليصعد بها إلى الأعلى ويسمو بها إلى جنات النعيم.



الحلف والاستعانة بغير الله تعالى

▽س٥٣: إن الشيعة يحلفون ويقسمون بغير الله عز وجل بل أنهم عند القيام بعمل يستعينون بغير الله مثلًا بالقول (يا علي) فما هي فلسفة هذه الاستعانة بالبشر الذين لا يقدمون ولا يؤخرون؟

ج٥٣: ينقسم السؤال إلى قسمين، الأول: الحلف بغير الله سبحانه والثاني الاستعانة بغير الله.

أما الأول: وهو الحلف بغير الله فلا إشكال في جوازه ولا حرمة فيه لأن الله عز وجل حلف وأقسم بالظواهر الكونية في الشمس والقمر والليل والصبح والعصر والنازعات والمرسلات وفي هذا أمثلة كثيرة منها:

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ [الشمس: ١-٢].

وأيضاً: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل: ١-٢].

وأيضاً: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: ٧].

وفي سورة النازعات: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ١-٥] ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ [المرسلات: ٢].

وأيضاً: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ١-٣] أربع ظواهر تم الحلف بها والمعلوم هنا أن الواو واو القسم.

وأيضاً: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ١-٤].

وأيضاً: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور: ١-٢]، ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٤-٦].

وأيضاً: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق: ١].

وأيضاً: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] هذا الكم الهائل من الأحلاف ليس إلا تعليمنا أن نقتدي بالقرآن في احترام هذه الظواهر الكونية المباركة.

وإذا قلنا إن الإنسان يصبح ضالًا أو مشركاً إذا حلف بغير الله فإننا نتهم الله بذلك حاشاه عزّ وجل ولا يقول به أحد وأنت ترى أن الله ينهى عن الشرك ولا يغفر لمن مات مشركاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] ومع ذلك يحلف بها سبحانه يعني أنها ليست شركاً وإلا كيف نهى عنها عباده ثم يمارسها هو سبحانه.

وفي الأثر ما يؤكّد على مشروعية الحلف بغير الله.

النبي يحلف بغير الله: هناك عدة حالات وإليك بعضها:

جاء في صحيح مسلم:

جاء رجل إلى النبي فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً؟

قال أمك وأبيك، لشأنه أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء صحيح مسلم..

تأمل حلف النبي بأبي السائل (وأبيك) واو القسم.

(جاء رجل إلى رسول الله من أهل نجد يسأل عن الإسلام فقال رسول الله خمس صوات في اليوم والليل قال هل عليَّ غيرهن؟

قال لا، إلا أن تطوع وصيام شهر رمضان فقال هل عليَّ غيره؟ قال: لا، إلا أن تطوع، فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال رسول الله: أفلح (وأبيه) إن صدق أو أدخل الجنة وأبيه إن صدق) [١].

فالنبي يحلف (بأبيه).

وهناك أحاديث كثيرة ذكر فيها حلف النبي بغير الله وهو المعلم الأول وو رواياته صحيحة واضحة الدلالة، راجع ابن ماجة شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي.

الإمام علي بن أبي طالب تلميذ النبي الأول وباب مدينة علمه يقول: (ولعمري يا علي من قتال من خالف الحق) [٢].

(ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود ولا اخضرّ للإسلام عود) [٣].

---

(١) صحيح مسلم، ج١، باب ما هو الإسلام، ص٣٢.
(٢) نهج البلاغة، خطبة ٢٣.
(٣) المصدر نفسه، خطبة ٥٦.

وعليك بمراجعة نهج البلاغة لترى فيه الكثرة الكاثرة من النصوص المؤيدة لذلك.

حلف أبي بكر:

إن رجلًا من أهل اليمن أقطع اليد والرجل قدم فنزل على أبي بكر الصديق فشكا إليه أن عامل اليمن قد ظلمه فكان يصلي من الليل، فيقول: أبو بكر وأبيك ما ليلك بليل سارق [(١)].

فهنا يحلف أبو بكر بأبي الشخص النازل عليه بأنه غير سارق لأنهم قطعوا يده ورجله بالسرقة كما حدث من جراء التهمة.

وبعد دخول الإسلام إلى الجزيرة يقول أبو طالب حامي النبي وناصره عندما يخاطب قريشاً:

كذبتم وبيت الله نبزى محمداً

ولما تطاعن دون وتفاضل ديوان أبي طالب، سيرة ابن هشام، م٢، ص٢٧٥، طبعة مصر.

فهنا يحلف ببيت الله.

لقد نقل عن علي الأكبر ابن الإمام الحسين في واقعة كربلاء عندما نزل إلى ساحة المعركة أنه قال ما يلي:

أنا عليّ بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبي [(٢)]

---

(١) الموطأ مع شرح الزرقان، ص١٥٩.

(٢) نفس المهموم، ص١٦٤.

هنا حلف بالبيت الحرام بيت الله.

وينقل أحمد بن حنبل في كتابه المسند عن عائشة أم المؤمنين أن مسروق قال لها: سألتك بحق هذا القبر، أقسمت عليك (والسؤال بمعنى القسم) ما الذي سمعت عن رسول الله في حق الخوارج؟ قالت: سمعته يقول: إنهم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة وأقربهم عند الله وسيلة.

وهكذا يظهر لنا من خلال هذا العرض أن الحلف بغير الله جائز على لسان القرآن والنبي والإمام والخليفة وعائشة أم المؤمنين، فمن أين تأخذ الأحكام هل هناك طرف ثالث غير هؤلاء؟ نعم عندما جاء الوهابيون قلبوا الكثير من المفاهيم واعتبروا أنّ عقيدتهم هي العقيدة الصحيحة وما سواهم باطل.

وأما فتاوى المذاهب الأربعة:

الأحناف قالوا: يكره الحلف بنحو أبيك ولعمرك ونحو ذلك.

الشافعية قالوا: يكره الحلف بغير الله إذا لم يقصد شيئاً.

المالكية قالوا: الحلف بمعظم كالنبي والكعبة ونحوهما فيه قولان الحرمة والكراهة.

ولم يعرف القول بالتحريم إلا عند الحنابلة حيث يقولون يحرم الحلف بغير الله وصفاته ولو بنبي أو ولي [١].

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة، ص٥١٧.

لكن ما قاله فقيه الحنابلة أبو قدامة في المغني: تحت عنوان إحياء الفقه مخالف لذلك يقول: (قال أصحابنا الحلف برسول الله يمين موجبة للكفارة.

روى عن أحمد إذا حلف بحق رسول الله فحقت فعليه كفارة، قال أصحابنا لأنه أحد شرطي الشهادة (أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) فالحلف به موجب للكفارة كالحلف بالله) [١].

ولا بد من بيان وجهة النظر التي على أساسها أريقت دماء المسلمين فكفروا وقتلوا.

هناك حديثان يعتمد الوهابيون عليهما لتكفير الناس:

الأول: إن رسول الله سمع عمر رضي الله عنه يقول: (وأبي) فقال له: (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ومن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليسكت).

وهناك نص آخر: (لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت).

(لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد).

وقد التفت ابن رشد القرطبي في كتاب بداية المجتهد إلى هذا المفهوم واعتبره أمراً جائزاً والمقصود أنه لا يجوز تعظيم من لم يعظمه الله ويجوز حينئذٍ الحلف بكل عظيم غير معاند لله وبعدها يجوز الحلف بالنبي والولي والكتاب والقرآن والسماء والأرض والبيت الحرام إلى

---

(١) المغني، ج٩، ص٥١٧.

آخره.

وفي نص آخر من حلف بأبيه فقد أشرك حيث كانوا يشركون مع الحلف بآبائهم الأصنام اللات والعزى وهبل فنبههم النبي إلى خطورة ذلك وقد ركز عبد الله بن عمر إلى تعميم الحلف على كل المقدسات لأنه لا يراد بها مشروعاً مقابل الله وإنما هي معظمة من قبل الله ولها قيمة اجتماعية وكونية.

وقد ورد عن أئمة أهل البيت أنهم كانوا يحلفون بقرابتهم من رسول الله ولم يراجعهم أحد بذلك وهم أعلم بسنّةٍ جدهم.

جاء رجل إلى الإمام الصادق يقول: إني حلفت بالطلاق والعتاق والنذور فقال الإمام في جوابه.

(إن هذا من خطرات الشياطين).

وهنا رفض الإمام الحلف الذي جاء به الرجل بالطلاق لأنه في حالة غضب والغضب من الشيطان فلا يجوز أن نجعل الغضب مادة لتدمير حياتنا الأسرية والاجتماعية.

وهذه الأحلاف جائزة عند أهل السنة أجمع فلو أن رجلًا حلف على زوجته بالطلاق ثلاثاً لحرمت عليه رأساً أما نحن فنعتبرها باطلة.

وإليكم ما قاله بعض فقهاء الشيعة الأفذاذ في ذلك.

(الأقوى أنه يجوز الحلف بغير الله وإن لم يترتب على مخالفتها إثم ولا كفارة كما أنه ليس فاصلًا في الدعاوى والمرافعات).

فهو يمين عرفاً ولكنه ليس يميناً شرعاً حيث لا يمكن للقاضي

قبول هذا اليمين في حل المشاكل والمخاصمات.



الإمام المهدي (ع)

▽س٥٤: قال رسول الله في الإمام المهدي أن اسمه إسمي فكيف يكون اسم المهدي هو إسم النبي محمد ؟

ج٥٤: هذا سؤال بسيط فالمسلمون تيمناً برسول الله يكثرون من اسم محمد، أحمد، محمود، ويغيّرون الأسماء الثلاثة إسماً واحداً وإذا أرادوا أن يغيروا الإسم مثل: علي، جواد، هادي...إلخ يقولون: بالاسم المركّب تركيباً إضافياً (محمد علي) (محمد هادي) (محمد مهدي) وهذا جائز لغوياً وشرعاً وهي من الوسائل المشروعة.

ومن هنا لا مانع شرعاً أن يكون اسم النبي محمد وهو المؤسس للشريعة واسم المهدي محمد لأن المهدي لقب ومعناه المحيي للشريعة، والحقيقة أن الإمام المهدي اسمه محمد واسم أبيه الإمام الحسن الملقّب بالعسكري لأن الدولة العباسية يومها عسكرت عليه، يعني وضعته في حي العسكر، ومعلوم أن الأحياء الأمنية والعسكرية يمنع على الناس الدخول عليها وكان المقصود من إسكانه في الحي العسكري وقرب الثكنة العسكرية الكبرى والتي كانت تسع لعشرات الآلاف مع عوائلهم وخدمهم وآلات حربهم وخيولهم هو منع الوصول إليه من قبل مواليه

ووضعه تحت المراقبة العسكرية الدائمة لأن هذا الحي لا يمكن لأحد الوصول إليه إلا برخصة خاصة وهي عادة أمنية متخذة مع أكثر أئمتنا للتضييق والمحاصرة وبالتالي كان ذلك خوفاً من علو ذكرهم واتساع أمرهم الذي كلما زاد كلما خافت المملكة على كبير سطوتها لإحساسهم الدائم بأنهم غاصبون وغير شرعيين.



طول عمر الإمام المهدي (ع)

▽س٥٥: إن الشيعة يعتقدون أن الإمام المهدي قد ولد ولكنه غائب فكيف لنا أن نصدق برجل يبقى حياً أكثر من ألف سنة؟

ولد الإمام المهدي محمد ابن الإمام الحسن العسكري ابن الإمام علي الهادي ابن الإمام محمد الجواد ابن الإمام علي بن موسى الرضا ابن الإمام موسى بن جعفر ابن الإمام جعفر بن محمد ابن الإمام محمد بن علي ابن الإمام علي بن الحسين ابن الإمام الحسين بن علي ابن الإمام علي بن أبي طالب سنة ٢٥٥ هجري في سامراء وعاش مع أبيه طيلة خمس سنوات ثم مات أبوه وأوصى له بالإمامة واختفى عن الأنظار وبقي سبعين سنة غائباً لأن الحكومة العباسية كانت على علم وثيق بولادته ومستقبله فكانت حريصة على قتله وإبادته وكانت تراقب النساء واحدة واحدة في بيت الإمام الحسن العسكري وكانت تأتي الإمرأة الرقيبة عليهن في الأسبوع مرتين أو ثلاث وتفحص كل الجواري وجميع نساء بني هاشم لخوفها من ولادته.

وقد شاء الله أن تكون ولادته معجزة كولادة موسى الذي لم يظهر حمل أمه إلا في ليلة ولادته وهكذا الإمام المهدي ولما ولد عرّفه أبوه

على بعض أصحابه وأنفق أموالًا جزيلة للفقراء واشترى لهم ألفي رطل من الخبز واللحم وقيل عشرة آلاف رطل لحم وخبز ووزع ذلك على الفقراء دون أن يحتفل الإمام رسمياً بهذا المولود لخوفه من الحكومة كما ذكرنا.

ولما مات الإمام العسكري وحاول أخوه جعفر الذي رأها فرصة سانحة أن يتحول إلى إمام وكان قريباً من البلاط العباسي وفي يوم الوفاة وفي غمرة الأحداث المؤلمة وجميع رجال الدولة والقضاة والعلماء والقواد حاضرون يخرج شاب صغير أمام الناس فينبهر العالم لوجوده ويمنع عمه جعفر عن الصلاة على أخيه الإمام العسكري ولا يستطيع أحد أن يقول كلمة لهيبة هذا المولود ثم يشيع والده مع الناس قليلًا ويختفي في غمرة الأحداث.

وتثور ثائرة المخابرات كيف يأتي من تطلبه لتقتله ولم تقم بأي عمل ويفتشون ما وسعهم التفتيش فلم يظفروا بشيء وحاول عمه جعفر مع الخلافة العباسية التجلبب بجلباب الإمامة فلم يفلح ولذلك قصة طويلة والمهم أن الجواب على سؤالكم له شقان أكتفي بالإشارة إلى أحدهما ومن أراد التوسّع فعليه بقراءة المطولات وما كتبه شيخ فلاسفة العصر الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر والموسوعة الكبرى المعروفة بموسوعة الإمام المهدي للشهيد السيد محمد صادق الصدر الذي اغتيل من قبل الحكومة العراقية البائدة سنة ١٩٩٩م.

وإليك الجواب باختصار:

أولًا: هل يمكن أن يعيش الإمام هذه المدة المديدة أكثر من عشرة

أضعاف عمر الإنسان الذي يمر بالمرحلة الاعتيادية من الطفولة إلى الشيخوخة؟

يقول أستاذنا رحمه الله:

وكلمة الإمكان تعني أحد ثلاث معانٍ: الإمكان العملي والإمكان العلمي والإمكان المنطقي أو الفلسفي، وأقصد بالإمكان العملي أن يكون الشيء ممكناً على نحو يتاح لي وأو لك أو لإنسان آخر فعلًا أن يحققه فالسفر عبر المحيط والوصول إلى قاع البحر والصعود إلى القمر أشياء أصبح لها إمكان عملي فعلًا فهناك مَنْ يمارس هذه الأشياء فعلًا بشكل أو بآخر.

وأقصد بالإمكان العلمي أن هناك أشياء قد لا يكون بالإمكان عملياً لي أو لك أن نمارسها فعلًا بوسائل المدنية المعاصرة ولكن لا يوجد لدى العلم ولا تشير اتجاهاته المتحركة إلى ما يبرر رفض إمكان هذه الأشياء ووقوعها وفقاً لظروف ووسائل خاصة فصعود الإنسان إلى كوكب الزهرة لا يوجد في العلم ما يرفض وقوعه بل إن اتجاهاته القائمة فعلًا تشير إلى إمكان ذلك وإن لم يكن الصعود فعلًا ميسوراً لي أو لك لأن الفارق بين الصعود إلى الزهرة والصعود إلى القمر ليس إلا فارق درجة ولا يمثل الصعود إلى الزهرة إلا مرحلة تذليل الصعاب الإضافية التي تنشأ من كون المسافة أبعد فالصعود إلى الزهرة ممكن علمياً وإن لم يكن ممكن عملياً فعلًا.

وعلى العكس من ذلك الصعود إلى قرص الشمس في كبد السماء فإنه غير ممكن علمياً بمعنى أن العلم لا أمل له في وقوع ذلك إذ لا

يتصور علمياً وتجريبياً إمكانية صنع ذلك الدرع الواقي من الاحتراق بحرارة الشمس التي تمثل أتوناً هائلاً ومستعراً بأعلى درجة تخطر على بال إنسان.

وأقصد بالإمكان المنطقي أو الفلسفي أنه لا يوجد لدى العقل وفق ما يدركه من قوانين قبلية ـ أي سابقة على التجربة ـ ما يبرر رفض الشيء والحكم باستحالته فوجود ثلاث برتقالات تنقسم بالتساوي وبدون كسر إلى نصفين ليس له إمكان منطقي لأن العقل يدرك ـ قبل أن يمارس أي تجربة ـ أن الثلاثة عدد فردي وليس زوجاً فلا يمكن أن تنقسم بالتساوي لأن انقسامها بالتساوي يعني كونها زوجاً فتكون فرداً وزوجاً في وقت واحد وهذا تناقض والتناقض مستحيل منطقياً ولكن دخول الإنسان في النار دون أن يحترق وصعوده إلى الشمس دون أن تحرقه الشمس بحرارتها ليس مستحيلاً من الناحية المنطقية إذ لا تناقض في افتراض أن الحرارة تتسرب من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة وإنما هو مخالف للتجربة به التي أثبتت تسرب الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة إلى أن يتساوى الجسمان في الحرارة.

وهكذا نعرف أن الإمكان المنطقي أوسع دائرة من الإمكان العلمي وهذا أوسع من الإمكان العملي.

ولا شك في أنّ امتداد عمر الإنسان آلاف السنين ممكن منطقياً لأن ذلك ليس مستحيلاً من وجهة النظر الفعلية التجريدية ولا يوجد افتراض من هذا القبيل أي تناقض لأن الحياة كمفهوم لا تستبطن الموت السريع ولا نقاش في ذلك.

كما لا شك أيضاً ولا نقاش في أن هذا العمر الطويل ليس ممكناً إمكاناً عملياً على نحو الإمكانات العملية للنزول إلى قاع البحر أو الصعود إلى القمر، ذلك لأن العلم بوسائله وأدواته الحاضرة فعلًا، والمتاحة من خلال التجربة البشرية المعاصرة، لا تستطيع أن تمدد عمر الإنسان مئات السنين ولهذا نجد أن أكثر الناس حرصاً على الحياة وقدرةً على تسخير إمكانات العلم لا يتاح لها من العمر إلا ما هو مألوف.

وأما الإمكان العلمي فلا يوجد علمياً اليوم ما يبرر رفض ذلك من الناحية النظرية وهذا بحث يتصل في الحقيقة بنوعية التفسير الفسلجي لظاهرة الشيخوخة والهرم لدى الإنسان فهل تعبر هذه الظاهرة عن قانون طبيعي يفرض إلى أن أنسجة جسم الإنسان وخلاياه بعد أن تبلغ قمة نموها أن تتصلب بالتدريج وتصبح أقل كفاءةً للاستمرار في العمل إلى أن تتعطل في لحظة معينة.

حتى لو عزلناها عن تأثير أي عامل خارجي أو أن هذا التصلب وهذا التناقض في كفاءة الأسنجة والخلايا الجسيمة، للقيام بأدوارها الفسيولوجية نتيجة صراع مع عوامل خارجية كالميكروبات أو التسمم الذي يتسرب إلى الجسم من خلال ما يتناوله من غذاء مكثف أو ما يقوم به من عمل مكثف أو أي عامل آخر.

وهذا سؤال يطرحه العلم اليوم على نفسه وهو جاد في الإجابة عليه ولا يزال للسؤال أكثر من جواب على الصعيد العلمي فإذا أخذنا بوجهة النظر العلمية التي تتجه إلى تفسير الشيخوخة والضعف الهرمي بوصفه نتيجة صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية معينة فهذا يعني أن

بالإمكان نظرياً إذا عزلت الأنسجة التي يتكون منها جسم الإنسان عن تلك المؤثرات المعينة أن تمتد بها الحياة وتتجاوز ظاهرة الشيخوخة وتتغلب عليها نهائياً.

أقول: إذا أخذنا بوجهة النظر هذه فليس معنى هذا عدم افتراض أي مرونة في هذا القانون الطبيعي بل هو افتراض وجوده قانون مرن لأننا نجد في حياتنا الإعتيادية ولأن العلماء يشاهدون في مختبراتهم العلمية أن الشيخوخة كظاهرة فسيولوجية لا زمنية قد تأتي مبكرة وقد تتأخر ولا تظهر إلا في فترة متأخرة حتى أن الرجل قد يكون طاعناً في السن ولكنه يملك أعضاء لينة ولا تبدو عليه الشيخوخة كما نص على ذلك الأطباء.

بل إن العلماء استطاعوا عملياً أن يستفيدوا من مرونة ذلك القانون الطبيعي المفترض فأطالوا عمر بعض الحيوانات مئات المرات بالنسبة إلى أعمارها الطبيعية وذلك بخلق ظروف وعوامل تؤجل فاعلية قانون الشيخوخة.

وبهذا يثبت علمياً أن تأجيل هذا القانون بخلق ظروف وعوامل معينة أمر ممكن علمياً ولئن لم يتح للعلم أن يمارس فعلًا هذا التأجيل بالنسبة إلى كائن معقد معين كالإنسان فليس ذلك الا لفارق درجة بين صعوبة هذه الممارسة بالنسبة إلى الإنسان وصعوبتها بالنسبة إلى أحياء أخرى.

وهذا يعني أن العلم من الناحية النظرية وبقدر ما نشير إليه اتجاهاته المتحركة لا يوجد فيه أبداً ما يرفض إمكانية إطالة عمر الإنسان سواء فسرنا الشيخوخة بوصفها نتاج صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية أو

نتاج قانون طبيعي للخلية الحية نفسها يسير بها نحو الفناء.

ويتلخص من ذلك: أن طول عمر الإنسان وبقاءه قروناً متعددة أمر ممكن منطقياً وممكن علمياً ولكنه لا يزال غير ممكن عملياً إلا أن اتجاه العلم سائر في طريق تحقيق هذا الإمكان عبر طريق طويل.

وعلى هذا الضوء نتناول عمر المهدي وما أحيط به من استفهام أو استغراب ونلاحظ: أنه بعد أن ثبت أن العلم سائر في طريق تحويل الإمكان النظري إلى الإمكان العملي تدريجياً لا يبقى للاستغراب محتوى إلا استبعاد أن يسبق المهدي العلم نفسه فيتحول الإمكان النظري إلى إمكان عملي في شخصه قبل أن يصل العلم في تطوره إلى مستوى القدرة الفعلية على هذا التحويل فهو نظير من يسبق العلم في اكتشاف دواء ذات السحايا أو دواء السرطان.

وإذا كانت المسألة هي أنه كيف سبق الإسلام الذي أطال عمر هذا القائد المنتظر حركة العلم في مجال هذا التحويل؟

فالجواب: أنه ليس ذلك هو المجال الوحيد الذي سبق فيه الإسلام حركة العلم.

أوليست الشريعة الإسلامية ككل قد سبقت حركة العلم والتطور الطبيعي للفكر الإنساني قروناً عديدة؟ أوَ لم تنادِ بشعارات طرحت خططاً للتطبيق؟ أوَلم تأتِ بتشريعات في غاية الحكمة لم يستطع الإنسان أن يدرك أسرارها ووجه الحكمة فيها إلا قبل برهة وجيزة من الزمن؟ أوَلم تكشف رسالة السماء أسرارها من الكون بتفريغ الحضارة الإنسانية من محتواها الفاسد وبناءها من جديد، فيكون لكل منها عمر مديد يزيد على

أعمارها الإعتيادية أضعافاً مضاعفة؟ أحدهما مارس دوره في ماضي البشرية وهو نوح الذي نص القرآن الكريم على أنه مكث في قومه ألف عام إلا خمسين سنة، وقدر له من خلال الطوفان أن يبني العالم من جديد، والآخر يمارس دوره في مستقبل البشرية وهو المهدي الذي مكث في قومه حتى الآن أكثر من ألف عام وسيقدر له في اليوم الموعود أن يبني العالم من جديد فلماذا نقبل نوح الذي مكث ألف عام على أقل تقدير ولا نقبل المهدي؟



فرق الشيعة

▽س٥٦: هناك بعض الفرق من الشيعة تعتقد بأن الأمامة تنتهي عند بعض أبناء الأئمة كالزيدية وهناك بعض الفرق تدعي الألوهية للإمام علي فكيف هذا التناقض؟

ج٥٦: كل من يحب علياً ويتشيع له فهو شيعي لأن الشيعة هم الأتباع سواء استمروا إلى آخر السلسلة كالإمامية أو لا، فالمستمرون في التشيع والولاء لآل البيت من الإمام علي حتى الإمام المهدي هم نحن الإمامية الإثنا عشرية ولا شك أن الزيدية الذين يؤمنون بالأئمة الأربعة علي بن الحسين والحسين بن علي والحسن بن علي والإمام علي هم شيعة ولكن تولوا بعد الإمام السجاد ولده زيداً وكان عليهم أن يبقوا ضمن التركيبة الصحيحة إلى آخر السلسلة ولكنهم أخطأوا ولكننا رغم خطئهم نعترف لهم بالتشيع ونلتقي معهم في الفقه والأصول إلى حد بعيد وما أخذوا عن إمامهم زيد إذا وصل إلينا موافقاً لنا وكان الحديث صحيحاً لا نرده ما دام هو يسند الحديث إلى أبيه وأبوه إلى جده ولا يوجد تعصب ضد الزيدية كما لا يوجد هذا التعصب ضد من ينكر الإمامة فإذا كنا نتسامح ونتعاون مع جميع المسلمين ونعتبرهم إخواننا فلا يمكننا نكران أخوّة الزيدية لمجرد فوارق في التشخيص.

وأما الفرقة التي تدعي الألوهية لعلي فهي ليست فرقة شيعية وعدّها من فرق الشيعة غير صحيح لأننا نحن نرفضهم وننجسهم ونكفرهم فكيف يكونون شيعة لأن الشيعة هم الأتباع الذين يرون في الإمام علي شخصية إسلامية لها دورها المميز في العلم والمعرفة والجهاد ويقدمونها على غيرها لروايات وردت عن رسول الله في حقه وأنه أحق من كل الصحابة الأماجد بالخلافة والزعامة والإمامة وله من مناقبه وتاريخه وفضله وعلمه ما يؤهله لهذا المنصب بلا نص فكيف إذا نص النبي عليه في أكثر من مناسبة وخصوصاً مناسبة يوم الغدير.

وأما الألوهية فلم يدعها إلا كافر نجس ضالّ مضل.

وقد ذكر المعتزلي في شرح النهج: أن جماعة من الناس كانوا يأكلون في شهر رمضان فأخبروا علياً فجاء ورآهم يأكلون قال لهم أسفر أنتم؟

قالوا: لا، قال: أمرضى أنتم؟ قالوا: لا، قال: كيف تأكلون في شهر رمضان وقد فرض الله تعالى صيامه وعفا عن المريض والمسافر بقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فقالوا: أنت أنت، قال: ويلكم مَن أنا؟

قالوا: أنت الله الواحد القهار، فغضب من هذا الكلام ثم جاء إلى التراب أمامهم وتمرغ بالتراب، وأشهدهم وأشهد الجميع بأنه عبد الله مخلوق، وأن أباه أبو طالب مثله مخلوق، وأنه يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق...إلخ، فلم يقبلوا وظلّوا على ضلالتهم، فحفر لهم الحفائر وأشعل فيها النيران ثم حرق عليهم بنار الدنيا، فقالوا: الآن ثبت لنا أنك

أنت الله لأن رسولك الذي أرسلته محمداً قال لنا لا يعذّب بالنار إلا خالق النار وعندئذٍ أجهز عليهم مجتمعين ولم يبق منهم أحداً وكان كلما ذرّ قرن منهم تعامل أهل البيت بالإبعاد والإقصاء والضرر وهم مجموعة قليلة جداً مرت في التاريخ وكفرت ومرقت من الدين وانتهوا وتلاشوا فالحديث عنهم وبعث مثل هؤلاء الأموات الضالين ليس فيه مصلحة إلا للفتنة نأمل الكف عن إثارتها لأن الذي يربح من ورائها أعداء الدين أعداء الإمام علي وأعداء جميع الصحابة بلا استثناء وأعداء الأمة الإسلامية في هذا الوقت العصيب.



تاريخ الشيعة

▽س٥٧: لم يثبت تاريخياً أن الشيعة قدموا شيئاً لخدمة الإسلام بل حاربوا الإسلام وكانوا عوناً عليه وعلى الخلافة الإسلامية والدليل أن الشيعة عند دخول المغول إلى بغداد للقضاء على الخلافة الإسلامية العباسية تم ذلك بمعاونة الشيعة كذلك عند دخول الإنكليز إلى العراق بعد انتهاء الدولة العثمانية، واليوم لم تدخل الولايات المتحدة إلى العراق إلا من خلال الشيعة فأنى لنا أن نعترف بهذه الفرقة أنها من الفرق الإسلامية؟

ج٥٧: هذا السؤال ظالم ومجحف، أن تتنكروا لطائفة ملأت العالم الإسلامي علماً ونبلًا وساهمت في تقدمه وازدهاره وكانت السبَّاقة في كل العلوم والفنون، وكأنك أيها الأخ لم تقرأ للآغا بزرك الطهراني كتابه (الذريعة في تصانيف الشيعة) أو للسيد محسن الأمين (أعيان الشيعة) الذي ذكر فيه ما قدمه الشيعة للإسلام والمسلمين أو للسيد حسن الصدر (الشيعة وفنون الإسلام) ولو قرأت هذه الكتب الثلاثة وحدها وكل كتاب له مجلدات ضخام لتحولت مائة وثمانين درجة من اليسار إلى اليمين واعترفت لهؤلاء بالفضل والنبل والزعامة والتفوق على سائر الفرق الأخرى وأحيلك فقط على هذه الكتب الثلاثة حيث لا يمكنني أن

ألخص لك المجلدات الكبار عن الخدمة الكبرى التي قدمها الشيعة عبر العصور.

ثانياً تقول الشيعة يحاربون الإسلام وهل حربهم كانت إلا للإسلام، لقد كان الشيعة فرقة معارضة تطالب بحكومة إسلامية عادلة تقوم على العدل والمساواة بين الناس، غير أن المفارقة أن الشيعة في أحيان كثيرة حاولوا مراعاة الظروف ولم يطالبوا بتغيير النظام لعدم توفّر الشروط والمناخ المناسب لذلك، ومع ذلك ما استطاع الحاكمون أن يتقبلوا منها.

وماذا أذكر لك عن إسراف الملوك الأمويين والعباسيين الذين كانوا قد وصلوا إلى الحكم وورثوا الحكم وراثة غير شرعية ولا عرفية ومع ذلك استأثروا بالحكم ومنعوا أصحاب الحق الشرعي وأكلوا التراث أكلاً لمّاً ومنعوا الفقراء من قوتهم الأدنى.

إقرأ سيرة الخلفاء للسيوطي تجد العجب العجاب، واقرأ جورج جرداق الذي كشف مساوىء الملوك وقادتهم بعدالة الإمام علي فلم يظهر منهم عدل إلّا من بعضهم.

ولا شك عندك أن المعارضة لم يكن لها صوت ولا تزال وكان الملوك وحاشيتهم وأعلامهم يتهم هؤلاء بأسوأ التهم لأنهم معارضة يرفضون سيرة الجور بالشعوب ولا ذنب لهم إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن أكثر الأمور مغالطة ما حصل في العراق في بداية الحرب العالمية الأولى حيث كانت الأمة العراقية بل العربية كلها محكومة للدولة

العثمانية المسماة بدولة الخلافة التي لم يبق لها من الخلافة إلا الاسم وإلا فهي كانت مملكة وسلطة فرعونية وكانت تتعسف على الشيعة في العراق ولبنان وتقتل علماءهم، وأسماء علمائنا اللامعين كالشهيد الأول والثاني لا تزل تُذكر، إنهم قتلوا لا لشيء سوى أنهم كان لهم اجتهاد خاص وفكر خاص مع أنهم كانوا عظماء ومراجع يدرسون الفقه الإسلامي على المذاهب الخمسة.

أما في العراق فقد أهملت الحوزة العلمية ومرجعيتها ومنعوها من كل خير ومع ذلك لما جاء الإنكليز ودخلوا إلى البصرة قام علماء الدين فحاربوهم وأفتى المراجع في النجف بوجوب الدفاع عن الإسلام في ظل الحكم العثماني وكان والي بغداد متعجباً من وفاء هؤلاء الناس للحكومة التي تعاملهم معاملة الأخصام وكان الإنكليز يعرفون هذا أن الخلاف قائم بين المرجعية والخلافة فحاولوا الدخول من هذا الباب فما استطاعوا وخابت ظنونهم لما رأوا المراجع في خندق المواجهة مباشرة في العمارة والقرنة والبصرة وأن شيخ الشريعة نصب خيمته في وسط المعركة وكانت عبارة عن غرفة عمليات للمعركة.

ولما فشلت الثورة وربح الإنكليز حارب العلماء الحكومة الجديدة وحرموا الدخول فيها فامتنع أكثر المرشحين الشيعة وأما السنة فلم يلتزموا بشيء بل رؤوها فرصةً تاريخية لهم وأخذوا من يومها حكم العراق وظل الشيعة مبعدين ومنذ الحرب العالمية حتى يومنا هذا والشيعة بين مطرود ومبعد ومهمل.

وانظر إلى النجف وهي العاصمة الدينية للشيعة في العالم إذهب

إليها لترى وكأنها من المدن التاريخية في القرون الوسطى حيث تعيش حالة صعبة من البؤس والإهمال، ولا تنسى الشيعة في لبنان والمرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين ومؤتمر وادي الحجير الذي حارب الفرنسيين وعندما وجد المستعمر الفرنسي أن الشيعة في لبنان هم الذين يحاربونه صبّ جام غضبه عليهم وأفقرهم وأوصى حكومة ٤٣ أن تبقيهم بلا مدارس ولا طرق ولا إنماء وهكذا اضطر أهلنا لتحسين وضعهم إلى السفر في هذه الدنيا العريضة إلى أوروبا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا وأميركا حتى كونوا أنفسهم بأنفسهم ومدوا البلد بكميات كبيرة من النقد الصعب مع أن الدولة لم تعاملهم إلا بالحرمان.

ولولا جهاد الشيعة في الفترة الماضية وعلى الأقل بعد ٤٨ و٦٧ لما كان للمسلمين في مناطقنا إلا الهزائم.

ولكن الذي عدل الإعوجاج والميلان هو قتال الطائفة الشيعية المحرومة عبر التاريخ القديم والحديث والمحاربة من كثير من الأحزاب والقوى اللبنانية التي وقفت بوجه المقاومة الإسلامية ولكن الله بعونه ورعايته أراد للحق أن يظهر وللباطل أن يندثر في الوصول إلى الهدف.

وكانت المفاجئة المذهلة والمعجزة الإلهية الكبرى والنصر الإسلامي الكبير في ٢٤/ أيار/ ٢٠٠٠ حيث انتصرت المقاومة الإسلامية على العدو الصهيوني واندحر هو ومن معه إلى جهنم.

واليوم لا يساعد الفلسطنيين أحد إلا حزب الله ولا يدربهم ويموّلهم إلا حزب الله وهو حزب شيعي معروف ولا يريد من الفلسطينيين جزاءً ولا شكورا فهل نحن نقدم خدمة للإسلام أم الجيوش

العربية ذات النفقات العالية والتسلّح العالي؟ هذه الجيوش رغم عدّتها وعددها لم تحصل على قرار سياسي يأمرها بهز العصا وتدشين السلاح الجديد على العدوّ الإسرائيلي.

وأما في الغزو الأمريكي لاحتلال العراق سنة ٢٠/ أذار/ ٢٠٠٣ والذي أنهى سقوط نظام العفالقة صدام حسين الطاغية، مَن الذي قاوم؟ هو الوجود الشيعي في الجنوب، والذي يحق له أن يتعامل مع الشيطان لضرب النظام، ومع ذلك علماء الشيعة في النجف أفتوا بوجوب الدفاع عن العراق ومحاربة الأمريكيين.

وأيضاً إنّ ما ذكروه عن المغول وجورهم فإنّ الشيعة منه بُراء.

الشيعة المظلومون يومها الملاحقون من جلاوزة النظام دافعوا وذهبت أملاكهم وسالت دماؤهم ولكن النظام العباسي كان نظاماً جائراً وكان الخليفة أكثر أوقاته مشغولاً باللهو واللعب وإلّا فكيف تكون دولة عظمى تخاف من مجموعة أوباش لا تزداد عددهم عن الخمسين ألف مقاتل يكتسحون البلاد بلداً بلداً ويصلون إلى بغداد والحاكم يرى هذا السقوط المريع ويبقى دون أن يستعد لمحاربة هؤلاء وعندهم المسلمون بالملايين جاهزون للمعركة والحرب والجهاد ضد العدو حتى وصلت إليهم وساوموهم على أموالهم وبناتهم فأي ملك هذا الذي يملك حصناً حصيناً مساحته ثلاثة آلاف كيلومتر تزود بكل وسائل الصمود وفيه الجيوش العرمرمية ومع ذلك يسقط كما سقطت بغداد في ليلة أمس بغداد الساقطة اليوم هي بغداد الساقطة أمس أو ليس النظام الذي باع بغداد والعراق اليوم هو نفسه الذي تساهل وباع حتى قتل تحت أرجل

الفيلة.

ولا بد لي في آخر الكلام أن أورد مواقف لكبار علماء مصر المنصفين ليكون لك ولأمثالك دليلًا على الخير والحق والهدى.

فتوى الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر:

(إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية مذهب يجوز التعبّد به شرعاً كسائر المذاهب الإسلامية من مذاهب أهل السنة.

فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك ويتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة فما كان دين الله، وما كانت شريعته بتابعة لمذهب أو مقصورة على مذهب فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى يجوز لمن ليس أهلًا للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات) [(١)].

كلمة الدكتور حامد حفتي داوود

(رئيس قسم الأدب العربي في جامعة عين شمس. مصر)

(ومضى ثلاثة عشر قرناً من حياة التاريخ الإسلامي كان أنصاف العلماء خلالها يصدرون أحكامهم على الشيعة مشوبة بعواطفهم وأهوائهم وكان هذا المنهج السقيم سبباً في أحداث هذه الفجوة الواسعة بين الفرق الإسلامية ومن ثم خسر العلم الشيء الكثير من معارف أعلام هذه الفرق.

---

(١) عبد الله الغريفي، ص٤٥٤، نقلًا عن سبل النجاة، ص١١١.

وكانت خسارة العلم أعظم فيما يمس الشيعة والتشيع بسبب ما رماهم به مبغضوهم من نحل وترهات وخرافات هم في الحقيقة براء منها.

ولو أن هؤلاء (الأنصاف) ترفعوا بأنفسهم عن التعصب وطبقوا ـ وهم يكتبون عنهم أو يأخذون منهم ـ مناهج البحث العلمي الصحيح وآثروا حكم العقل على حكم القلب وقدموا الرأي على الهوى لجاءنا علم كثير عن الشيعة ولانتفعنا بالكثير من تراث هذا المذهب).

وجاء في كلمته: (ومن هنا أستطيع أن أجلي للقارىء المتدبر أن التشيع ليس كما يزعمه المخرفون والسفيانيون من الباحثين مذهباً نقلياً محضاً أو قائماً على الآثار الدينية المشحونة بالخرافات والأوهام والإسرائيليات أو مستمد مبادئه من عبد الله بن سبأ وغيره من الشخصيات الخيالية في التاريخ.

بل التشيع في نظر منهجنا العلمي الحديث عكس ما يزعمه الخصوم تماماً فهو المذهب الإسلامي الأول الذي عنى كل العناية بالمنقول والمعقول جميعاً ولولا ما امتاز به الشيعة من توفيق بين المعقول والمنقول لما لمسنا فيهم هذه الروح المتجددة في الاجتهاد وتطوير مسائلهم الفقهية مع الزمان والمكان بما لا يتنافى مع روح الشريعة الإسلامية الخالدة) [١].

---

(١) التشيع للغريفي، ص٤٥٥، نقلاً عن سبل النجاة، ص٧٥.

كلمة الاستاذ عبد الفتاح عبد المقصود:

(إن في عقيدتي أن الشيعة هم واجهة الإسلام الصحيحة ومرآته الصافية ومن أراد أن ينظر إلى الإسلام عليه أن ينظر إليه من خلال عقائدهم الشيعية ومن خلال أعمالهم، والتاريخ خير شاهد على ما قدمه الشيعة من الخدمات الكبيرة في ميادين الدفاع عن العقيدة الإسلامية.

وإن علماء الشيعة الأفاضل هم الذين لعبوا أدواراً لم يلعبها غيرهم في الميادين المختلفة فكافحوا وناضلوا وقدموا أكبر التضحيات من أجل إعلاء الإسلام ونشر تعاليمه القيمة وتوعيةً للناس وسوقهم إلى القرآن)(١).

كلمة الدكتور أبي الوفاء الغنيمي التفتازاني (مدرس الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب . جامعة القاهرة:

(وقع كثير من الباحثين سواء في الشرق أو الغرب قديماً أو حديثاً في أحكام كثيرة خاطئة عن الشيعة لا تستند إلى أدلة أو شواهد نقلية جديرة بالثقة وتداول بعض الناس هذه الأحكام فيما بينهم دون أن يسألوا أنفسهم عن صحتها أو خطئها.

وكان من بين العوامل التي أدت إلى عدم إنصاف الشيعة من جانب أولئك الباحثين الجهل الناشيء عن عدم الإطلاع على المصادر الشيعية والإكتفاء بالإطلاع على مصادر خصومهم.

ومما لا شك فيه أن أي باحث يتصدى للبحث عن تاريخ الشيعة

---

(١) نفس المصدر السابق.

أو عقائدهم أو فقههم لا بد له من الإعتماد ـ أولًا قبل كل شيء ـ على تراث الشيعة أنفسهم في هذه المجالات وهذا بالإضافة إلى ما ينبغي عليه من تحري الصدق في الروايات التاريخية التي يجدها في كتب خصوم الشيعة تحرياً دقيقاً وذلك للوصول إلى الحقيقة ذاتها وإلى كل ما ينبغي عليه من التجرد عن كل هوى مذهبي سابق عليه يؤثر في إصدار أحكامه.

وكان من بين العوامل التي أدت إلى عدم إنصاف الشيعة أيضاً أن الاستعمار الغربي أراد في عصرنا أن يوسع هوة الخلاف بين السنة والشيعة وبذلك تصاب الأمة الإسلامية بداء الفرقة والإنقسام فأوحى إلى بعض المستشرقين من رجاله بتوخي هذه الفتن باسم البحث الأكاديمي الحر ومما يؤسف له أشدَّ الأسف أن بعض الباحثين من المسلمين في العصر الحاضر تابع أولئك المستشرقين في آرائهم دون أن يفطن إلى حقيقة مرامهم.

والشيعة اسم كان يطلق قديماً على كل من شايع علياً رضي الله عنه وقال بإمامته وذريته من بعده نصاً ووصاية وهو يطلق الآن على الإثني عشرية خاصةً والشيعة عموماً يستندون في تشيعهم للإمام علي رضي الله عنه إلى شواهد من الكتاب والسنة) [١].



(١) التشيع للغريفي، عن سبل النجاة، ص٦٦ ـ ٦٧.

واقعة الجمل

▽س٥٨: إن ما حدث بين عائشة وعلي في واقعة الجمل كان من تدبير الخوارج لأن فرقة الخوارج أثارت الفتنة وأشعلت النار وبدأت بقتل بعض أعوان علي وبعض أعوان عائشة لتأجيج الحرب والخوارج أصل الشيعة فماذا تقولون؟

ج٥٨: أولًا: مرّ معنا أن الخوارج كلاب النار وأن عائشة أم المؤمنين روت عندما أقسم عليها مروان وسألها عن الخوارج فقالت سمعت رسول الله يقول: هم شر الخلق والخليقة ويقتلهم خير الخلق والخليقة.

وقد ذكر الشاعر العراقي هذا النص المبارك بشعره وهو الحاج هاشم الكعبي:

ولقد روى مسروقهم عن أمه والحق يُنطق منصفاً وعنيدا

قالتْ همُ شر الورى ومبيدهم خير الورى أكرم بذاك مبيدا

وليس صحيحاً أبداً أن الخوارج من الشيعة لأن النص الشريف يخرجهم من الدين.

ثانياً: إن حرب الجمل كانت بداية إنقسام حقيقي وانفصال عن

الحكومة المركزية وكان معاوية وجماعته وراء كل هذه الحروب والإنقسامات حتى لا يستتب نظام شرعي فاعل وقوي ولم يكن هناك شيء اسمه الخوارج.

وإنما بدأ الأمر من أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير الذين تركوا المدينة بعدما بايعوا الإمام علي ولما لم يحصل طلحة والزبير على ولاية لكل منهما توافق هواهما مع معاوية الذي لا يريد التسليم للحكومة الشرعية التي يرأسها علي وفكروا في المواقع الضعيف أو قل في الخاصرة الرخوة للخلافة فلم يجدوا إلا البصرة فذهبوا إليها وكان ولاة عثمان مثل سعيد بن العاص ويعلى بن أمية وأحزابهما ممن حملوا أموال المسلمين معهم وقد قدموا هذه الأموال لهؤلاء ليستعينوا بها على الحرب فقدّم يعلى بن أمية ستمائة جمل وأكثر من مليون دينار دعماً لمعركة البصرة وذهبوا وأخذوا معهم أمهم يستظهرون بها على الحكم العلوي العادل.

ولقيت أم المؤمنين عائشة عنتاً على الطريق وخصوصاً عندما نبحت عليها كلاب الحوأب وحيث كان النبي قد نبّه نساءه من كلاب الحوأب وقال لها: إياك أن تكونيها يا عائشة وعندما نبحت عليها الكلاب سألت عن الماء فقالوا لها ماء الحوأب فتذكرت وقالت للقوم ما ترونني إلا راجعة وذكرت الحديث.

فجاء ابن أختها عبد الله بن الزبير بخمسين شاهد زور وشهدوا لها أن الماء ليس ماء الحوأب واخترعوا لها اسماً وكانت أول شهادة زور في الإسلام.

وحدثت إرهاصات المعركة مم اضطر علي إلى ترك المدينة إلى العراق وإلى البصرة واستنفر معه أهل الكوفة وحاول لدى وصوله إلى البصرة عندما وجد القوم قد سرقوا بيت المال واعتدوا على واليه عثمان بن حنيف حاول استمالتهم بكل الوسائل الممكنة من التوبة والوعظ والإرشاد وفتح القرآن أمامهم ولم يستجيبوا بل ظلوا مصرّين على صلفهم مغترين بكثرتهم التي تجاوزت خمس وعشرين ألفاً من المقاتلين حملة السلاح ما عدا فرق المشاة والغلمان حتى أوصلهم الغرور إلى البغي والبدء بالحرب.

وعندها حاربهم علي بعدما أعذر لهم فقتلوا حامل القرآن أولاً وتغلب عليهم وانتهت الحرب عن مقتلة عظيمة انتصر فيها علي على البغاة وفر طلحة والزبير وقتل طلحة بسيف مروان غدراً وقتل الزبير وهو يصلي بسيف بن حرموز غدراً.

وانتشلت عائشة من وسط المعركة بعدما عقر جملها عسكر وأخذت إلى دار تحت حراسة مشددة خوفاً من أن يعتدي عليها أحد ثم وفر لها الإمام الحماية بعدما تفرق الناس عنها وخسرت المعركة سياسياً ومادياً وخيّرها الإمام بين البقاء أو الرجوع إلى المدينة فاختارت الرجوع وبعث الإمام خمسين امرأة معممة وكانت تظن أن النساء رجال وهن ملثمات وكن يعاملنها كأنهن رجال وكانت تتكلم على علي وتقول هتك ستري برجاله فلما وصلت إلى المدينة كشفن عن وجوههن وقلن لها: أمرنا علي كذلك ونحن نساء فرجعت إلى مدح علي ولكنها أصرت عداوة إمام الحق ولما مات شهيداً في محرابه بالكوفة وبلغها النساء فرحت بذلك ورددت قول الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرَّ عينا في الإياب المسافر

ولم يذكر التاريخ هنا أي أثر للخوارج على الإطلاق نعم كان هناك جماعة يتشددون في الدين والعبادة ويزايدون على الإمام وحتى على النبي ولكن كانوا قلّة لم يحدث لهم تكوين اجتماعي إلا بعد حرب صفين التي طالت حتى أكلت بعضها وكان ممن أكلتهم الخوارج المتشددون الجدد فترك معاوية وجماعة بني أمية ووضع ذلك في أعناق الخوارج خلاف أحداث التاريخ التي تقرأها فإذا لم تكن الفرقة الضالة قد تكونت فكيف يمكن تحميلها المسؤولية.

بينما إذا وجهنا البوصلة نحو معاوية الطامع للحكم العامل بجد في سبيل تأسيس دولة أموية تجد الجو مفتوحاً.

لأن معاوية شارك في قتل عثمان، وعائشة ألّبت على عثمان وعمر بن العاص والزبير وطلحة وكل هؤلاء هم الذين ألّبوا على عثمان وكان علي على خلاف ذلك كان ينصح عثمان ليعطي المعارضة حقها ويعزل الولاة الطغاة شرّاب الخمر وكان الحسنان يشاركان في الدفاع عن عثمان لكن المعارضة الذين لم يرق لهم ذلك وألّبوا عليه كان يعملون لصالحهم لا لعلي ولما مات عثمان لم يكن بوسعهم أن يعملوا أي شيء لأن الثوار هم الحكم المؤقت ومن هنا فرض جوّ ما استطاع فيه طلحة والزبير وكل أصحاب المطامع أن يقولوا إلا بولاية علي وكان ظنهم أن علياً سيوليهم وتنتهي بذلك أزمة سياسية بينهم لأن خلافهم مع عثمان كان كذلك حيث ولى عثمان بني أمية ولم يول هؤلاء وكانت عائشة ضد عثمان كذلك لأنها تريد الخلافة لطلحة التيمي ابن عم أبيها وهو رمز عشيرتها بعد أبي

بكر وعلى الأقل لابن أختها عبد الله بن الزبير ولم تكن بوارد أن تثور على عثمان ثم يأخذ النتائج عليّ وجرت الرياح بما لا تشتهي سفن عائشة وطلحة والزبير.

وبعد تمامية البيعة لعلي جاؤوا فطالبوا بالولاية فمنعهم من ذلك ورأى أنهم أصحاب دنيا كأنهم لا يكفيهم ما أخذوه من أموال الأمة أيام عثمان.

وكان معاوية يرصد الأحداث ويتابع الأخبار فلما رآهما غير مرتاحين من السياسة العلوية بعث رسالة لهما يبايعهما ولكل واحد رسالة يثير فيه حب الشهرة والزعامة، فتوجها إلى الشام وهنا تمت المؤامرة في الشام أن يذهبوا كما قلنا إلى البصرة الخاصرة الرخوة للحكم العلوي الجديد.

وأخيراً نتمنى عليكم أن تقرؤوا (تاريخ الفتنة الكبرى) لطه حسين و(علي بن أبي طالب) لعبد الفتاح عبد المقصود وتراجعوا (شرح النهج) للمعتزلي وبعدها تتكوّن لكم فكرة عن تفاصيل الأحداث.



الفرقة الناجية

▽س٥٩: إن تسمية الشيعة حادث على أثر خلاف الإمام علي مع معاوية فسمي أتباع علياً بالشيعة أي شيعة علي فكيف يقول الشيعة أنهم الفرقة الناجية وأن الرسول بشرهم بالجنة؟

ج٥٩: اختلف المؤرخون حول نشوء الشيعة فمنهم يؤرخ نشوءها بعد وفاة النبي مباشرة كاليعقوبي حيث يرجع ذلك إلى وقت تخلّف قوم عن مبايعة أبي بكر فيقول: (وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا إلى علي بن أبي طالب معهم العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس والزبير من العوام وخالد بن سعيد والمقداد بن عمر وسلمان بن الفارس وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والبراء بن كعب عازب وأبي بن كعب) [1].

في حين يرى أحمد أمين في فجر الإسلام والدكتور محمد علي أبو ركاف والمستشرق جولد تسهير أنّ نشوء الشيعة جاء بعد مقتل عثمان.

ويرى آخرون أنها نشأت في عهد خلافة الإمام علي عليه السلام .

---

(١) اليعقوبي، ص١٢٤ عن كتاب التشيع، ص١٩، عبد الله الغريفي.

ويرى كثيرون أن التشيع الحقيقي برز بعد مقتل الحسين ومنهم الدكتور كامل مصطفى الشيبي ومنهم بركلمان في تاريخ الشعوب الإسلامية.

ومنهم من يرى أن هذه الظاهرة نشأت في عهد الإمام الصادق يراجع نشأة التشيع في كتاب الغريفي، ص٢١.. والذي عليه أستاذنا العظيم الشهيد السيد محمد باقر الصدر في بحثه الشهير: (بحث حول الولاية) أن التشيع نشأ في أحضان الرسالة الإسلامية وتشجيع من الرسول الأكرم وهو الواضع الأول لبذرة التشيع ونحن مع هذا التوجه.

وإليك هذا التوجه مدعوماً بمجموعة من النصوص نظهر فيه حسن هذا الرأي.

السيوطي في الدر المنثور ج٨ ص٥٨٩:

روى عن ابن عساكر بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنا عند النبي فأقبل علي فقال: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧].

وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧] قال لعلي: أنت وشيعتك [1].

---

(١) القندوزي في ينابيع المودة ج٢/ ٦١. والشلبنجي في نور الأبصار ٧١ وأورد

وفي بعضها هم شيعتك وفي بعضها أنت وشيعتك تأتون يوم القيامة غراً محجلين ويأتي أعداؤك غضابى مقمحين.

وبهذا النص يتضح لك أن البذور الأولى للتشيع نشأت في أحضان النبي والرسالة وكان صاحب الرسالة يوجه الناس إلى علي ليثبت له جماعة وأتباعاً.

وأما الفرقة الناجية وأن الشيعة هم أهلها فصحيح لأن النبي لا زال يردد على مسامع الصحابة أحاديث حول هذا الموضوع وعلماء المسلمين يحفظون النصوص ويرددونها ويؤولونها للمذاهب الأربعة خذ مثلاً هذا الحديث الشهير الذي روته الصحاح وهو متداول وأنا سمعته من أكثر من خطيب على المنبر:

(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة) والطائفة هي العدد القليل والشيعة هم الطائفة القليلة والباقي جمهور ونحن نقول عن المذاهب الأربعة جمهور المسلمين ولا ينطبق هذا اللفظ إلا على الطائفة الشيعية ومع ذلك يأخذون ذلك لهم وسمعت هذا من الكثيرين.

وإليك حديث الفرقة الناجية.

روي عن النبي أنه قال: (ستفترق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة كلها في

الحديث ابن الصبّاح المالكي في الفصول المهمة ص١٠٧. الحموي الشافعي في فرائد السمطين ج١ ص١٥٦.. وقد ذكر السيد الغريفي حوالي ١٨ مصدراً ذكروا ذلك، وأن النص المبارك مفسر بأنه علي وشيعته من النبي.

النار إلا واحدة).

ولم يذكر العلماء إسناد الحديث لأنه مما اتفق على نقله بين علماء المسلمين لا يختلف فيه رواة الشيعة عن رواة السنة وما هو بهذه المثابة لا حاجة إلى ذكر سنده.

نعم اشتمل حديث أهل السنة على زيادة عندما سئل مَن هم الفرقة الناجية؟ قال حسب روايتهم: ما أنا عليه وأصحابي.

وهذه التتمة ذكرها مسلم.

والشيعة روته بصورة أكثر وضوحاً أنه ﷺ قال:

(افترقت أمة موسى على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي التي اتبعت وصي موسى يوشع بن نون، وافترقت أمة عيسى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي التي اتبعت وصية شمعون، وستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي التي تتبع وصية علي بن أبي طالب).

والجمع بين الروايتين لا يؤثر لأنهما تعودان إلى معنى واحد فإن علياً سيد الآل والصحابة فهو أول صحابي وما هو عليه هو الذي عليه الصحابة المشار إليهم في الحديث بلا شبهة فالمتبع له متبع لما عليه النبي وأصحابه وهو ممن ثبت إيمانه وأنه على الحق ما تغير عنه ولا زلت قدمه وذلك باتفاق المسلمين بخلاف غيره فإن من الصحابة من كان منافقاً كما يشهد بذلك الكتاب العزيز قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٢٩-٣٠].

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

ولو ذكرنا آيات النفاق وروايات المنافقين لطال بنا المقام ولكنني أحيلك على كتاب (الفرقة الناجية) لمؤلفه الفاضل الشيخ ابراهيم القطيفي طبع دار الملاك بيروت فإن فيه الدواء الشافي.

وأخيراً أذكر لك بعض الروايات رواها صاحب الكتاب المذكور.

(قال رسول الله يا علي إن الله تبارك وتعالى وهب لك حب المساكين والمستضعفين في الأرض فرضيت بهم إخواناً ورضوا بك إماماً فطوبى لك ومن أحبك وصدق فيك وويل لمن أبغضك وكذب عليك، يا علي أنا مدينة العلم وأنت بابها وما تؤتى المدينة إلا من الباب، يا علي أهل مودتك كل أوّاب حفيظ وأهل ولايتك كل أشعث ذي طمرين لو أقسم على الله عز وجل لأبرَ قسمه، يا علي إخوانك يفرحون بك في ثلاث مواطن: عند خروج أنفسهم وأنا وأنت شاهدهم، وعند المساءلة في قبورهم، وعند العرض وعند الصراط، يا علي حربك حربي وحربي حرب الله من سالمك فقد سالمني ومن سالمني فقد سالم الله، يا علي بشر شيعتك أن الله قد رضي عنهم ورضيك لهم قائداً ورضوا بك ولياً، يا علي أنت أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين وأنت أبو سبطي وأبو الأئمة التسعة من صلب الحسين منّا مهدي هذه الأمة يا علي شيعتك المنتجبون ولولا أنت وشيعتك ما قام لله دين [١].

---

(١) الفرقة الناجية، ص١٦٤.

وقد ذكر الشيخ في آخر صفحة من كتاب الفرقة الناجية ص١٨٤ رواية بحذف الإسناد إلى رسول الله.

قال: دخل رسول الله على علي فقال: ما رأيتك أقبلت عليّ مثل هذه الساعة! فقال: جئت أبشرك.

اعلم أن في هذه الساعة نزل جبرئيل وقال: إن الحق يقرؤك السلام ويقول بشر علي بن أبي طالب وشيعته أن الطائع والعاصي منهم من أهل الجنة فلما سمع مقالته خر لله ساجداً ثم رفع يديه إلى السماء وقال: شهد الله عليَّ إني وهبت لشيعتي نصف حسناتي فقالت فاطمة: شهد الله إني وهبت لشيعة علي نصف حسناتي.

فقال الحسن كذلك وقال الحسين فقال رسول الله: ما أنتم بأكرم مني شهد الله عليَّ إني وهبت لشيعة علي نصف حسناتي فأوحى الله عز وجل إلى رسوله ما أنتم بأكرم مني إني قد غفرت لشيعة علي ومحبيه ذنوبهم.

ولو أردنا الإطالة لأتيناك بما هو أكبر من ذلك ولكن في هذا كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.



ضرورة وجود إمام بعد النبي (ص)

▽س٦٠: يعتقد الشيعة أن هناك ضرورة لوجود إمام بعد النبي وهنا نسأل ما دام النبي هو خاتم الأنبياء وقد أتم الله الدين فبعد تمامية الدين هل تحتاج الأمة إلى الإمام أيضاً وبعده إلى الإمام وهكذا إلى قيام يوم الدين؟

ج٦٠: إن الإمامة بنظر الشيعة استمرار لإمامة رسول الله ﷺ، لأن النبي يعلن الأطروحة السماوية والإلهية والإمام يحافظ عليها ويطبقها على الأمة.

والآية القرآنية التي يذكر فيها إكمال الدين وإتمام النعمة نزلت بعد تنصيب الإمام علي يوم الغدير وإتمامه النعمة ببيعته.

ومن الطبيعي لدين عالمي مثل الإسلام أن يحفظه إمام معصوم يطبق الحق على نفسه وبعد ذلك يطبقها على الناس ليكون ذلك أدعى للتطبيق عند الأمة.

كما أن الأمة بعد النبي تعرضت لأحداث خطيرة ولفتوحات شهيرة ولمستجدات وتحولات يومية وهذه الأمور تحتاج إلى مرجع ديني وعلمي كبير يعرف الحكم الشرعي إذا فتح البلد عنوة أو صلحاً لمن

الأرض ولمن الأصل في الأموال لأن الفقهاء والمحدثين كانوا يعرفون الحجاز والحجاز بلد بسيط في موارده وعدد شعبه ولم يكن لهم دولة وأسواقهم وزراعاتهم تدل على قلة الموارد وبساطة العيش التي لا تحتاج إلى حكومة وإنما حكومتهم كانت دارالندوة التي تصلح لحل مشاكل عشيرة.

وعندما اتسع نطاق الإسلام وصار له دولة من طنجا إلى جاكرتا هل يكفي لإنسان عادي أن يحكم مثل هذه الدولة العظمى.

لقد كان من الطبيعي وجود إمام يحرر مسائل العلم ويقيم دولة القضاء والموازين القسط بين الناس ويعرف كيف يجبي الأموال وكيف يوزع الفائض بين الشعوب ولقد قرأنا ما ساءنا من انحدار حينما لم يكن الحاكم الشرعي المولى على الإمام هو الذي يستلم وإنما جاء غيره ممن لم يكن عنده شيء من المعارف الشرعية فغرقت الأمة بفوضى اجتماعية لا مثيل لها.

أما لو أن الأمة أسلمت أمرها وأسلمت قيادها إلى الإمام العارف بالحكم الشرعي لأوردها ورداً حسناً ولصدرت عن الماء مروية ولتأمن الحكم العادل عبر الأجيال.



شجاعة الإمام علي (ع)

▽س٦١: إن الإمام علي أخذ مقيداً بحمائل سيفه هل يصدق مثل هذا وعلي هو الفارس الشجاع؟

ج٦١: أما الجواب عن هذا السؤال فقد أوضحناه عندما تحدثنا عن الخلافة وعن الزهراء.

والعالم كله يعرف شجاعة علي وفروسيته وأنه قادر على مجابهة ألف فارس وحده لكن المشكلة ليست بالشجاعة فقط.

المشكلة أن الأمة التي تعب النبي على تعليمها وضبطها وتربيتها خيبت الأمل وخالفت رسول الله في أوضح مخالفة.

واستغلوا مصيبة علي برسول الله وذهبوا ورتبوا مسألة الإمارة وانتهوا منها وجاؤوا إلى علي وفرضوا عليه البيعة وهو مشغول في غسل رسول الله وتجهيزه وهي حالة لا يستطيع المرء معها القتال والدخول في معركة خصوصاً وأن من يقاتلهم أو يقاتلونه هم من إخوانه الصحابة وليسوا غرباء أو مشركين ورفض علي القتال وصبر على التهديد والوعيد ورضي بالسكوت والصبر ولما عرفوا سكوته ازدادوا جرأة عليه لعلمهم أنه لولا أنه مأمور بالصبر لأبادهم وبدل أن يتعاملوا معه باللياقة والتعازي

استعملوا معه الخشونة بهذه الطريقة وهنا أثبت الإمام شجاعته في صبره كما كان يثبتها في خوض المعارك في بدر وأحد والخندق ولا ضير على علي البطل الصابر بل الضير على الصحابة الذين تركوا الوصي وتألبوا عليه وبايعوا مَن لا يستحق مع وجود النص على المستحق الأعلم.



علم الأئمة (ع)

▽س٦٢: الشيعة يزعمون أنَّ علم الأئمة من الله تعالى فكيف يصل إليهم العلم؟

ج٦٢: أما سعة علم الأئمة فيأتي من جهة طهارة ذواتهم وعفاف نفوسهم وقدرتهم الذاتية على استيعاب العلوم.

وقد كان رسول الله يزق أهل بيته العلوم منذ الصغر ويهمس بآذانهم وينفث في روحهم ويبث في نفوسهم الوعي والعلم والمعرفة.

يقول الشيخ المظفر في كتابه عقائد الإمامية في ص ٩١ ما يلي:

عقيدتنا في صفات الإمام وعلمه:

ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من الفواحش والرذائل ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى الموت عمداً وسهواً من الخطأ والنسيان، لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه الذي يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة بلا فرق.

ونعتقد أيضاً أن الإمام كالنبي يجب أن يكون أفضل الناس في

صفات الكمال من شجاعة وكرم وعفة وصدق وعدل ومن تدبير وعقل وحكمة وخلق والدليل في النبي هو نفسه الدليل في الإمام.

أما علمه فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي أو الإمام من قبله.

وإذا استجد شيء لا بد أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله تعالى فيه.

فإن توجه إلى شيء وشاء أن يعلمه عَلِمه على وجهه الحقيقي لا يخطأ فيه ولا يشتبه ولا يحتاج في كل ذلك إلى البراهين العقلية ولا إلى تلقينات المعلمين وإن كان علمه قابلاً للزيادة والاشتداد ولذا قال رسول الله في دعائه: (رب زدني علماً).

أقول لقد ثبت في الأبحاث النفسية أن كل إنسان له ساعة أو ساعات في حياته قد يعلم فيها ببعض الأشياء من طريق الحدس الذي هو فرع الإلهام بسبب ما أودع الله تعالى فيه من قوة على ذلك.

وهذه القوة تختلف شدة وضعفاً وزيادة ونقيصة في البشر باختلاف أفرادهم فيطفر ذهن الإنسان في تلك الساعة إلى المعرفة أو تلقين المعلمين ويجد كل إنسان من نفسه ذلك في فرصٍ كثيرة في حياته وإذا كان الأمر كذلك فيجوز أن يبلغ الإنسان من قوته الإلهامية أعلى الدرجات وأكملها وهذا أمر قرره الفلاسفة المتقدمون.

فلذلك نقول: ـ وهو ممكن في حد ذاته ـ أن قوة الإلهام عند الإمام التي تسمى بالقوة القدسية تبلغ الكمال في أعلى درجاته فيكون في صفاء نفسه القدسية على استعداد لتلقي المعلومات في كل وقت وفي كل حالة

فمتى توجه إلى شيء من الأشياء وأراد معرفته استطاع علمه بتلك القوة القدسية الإلهامية بلا توقف ولا ترتيب مقدمات ولا تلقين معلم وتنجلي في نفسه المعلومات كما تنجلي المرئيات في المرآة الصافية التي لا غبش فيها ولا إبهام.

ويبدو واضحاً في تاريخ الأئمة كالنبي محمد فإنهم لم يتربوا على أحد ولم يتعلموا على يد معلم من مبدأ طفولتهم إلى سن الرشد حتى القراءة والكتابة ولم يثبت عن أحدهم أنه دخل الكتاتيب أو تتلمذ على يد أستاذ في شيء من الأشياء مع ما لهم من منزلة علمية لا تجارى وما سئلوا عن شيء إلا أجابوا عليه في زمنه ووقته ولم تمر على ألسنتهم كلمة (لا أدري) ولا تأجل الجواب للمراجعة أو التأمل أو نحو ذلك في حين أنك لا تجد شخصاً مترجماً له من فقهاء الإسلام ورواته وعلمائه إلا ذكرت له في ترجمته تربيته وتلمذته على غيره وأخذه الرواية أو العلم على المعروفين وتوقفه في بعض المسائل أو شكه في كثير من المعلومات كعادة البشر في كل عصر ومصر.



الجعفرية

▽س٦٣: يطلق على الشيعة أتباع جعفر بن محمد ويقال عنهم جعفريون (المذهب الجعفري)؟

ج٦٣: إنّ اتباعنا للإمام جعفر بن محمد إنما هو لأمر تاريخي فقط فنحن الشيعة الإمامية الإثنا عشرية عدد أئمتنا إثنا عشر إماماً أولهم علي وآخرهم المهدي.

لكن الشيعة بعد قتل الإمام الحسين احترقوا بنار الثورة فذهب أكثرهم وسكت الإمام السجّاد فترة من الزمن حتى ظن الناس أنه لم يبق لهم قابس نار وبدأ الإمام الباقر بثورته الهادئة وبتخطيطه لبناء جامعة إسلامية كبرى وكانت الدولة الأموية مشغولة عن العمل الثقافي بعملها السياسي حيث خافت على الملك من الثورة الصاعدة وانتهى الحكم الأموي واستلم بنو العباس الحكم وكانوا جدداً يستميلون جميع الشيعة حتى يكونوا معهم وظلوا مشغولين بدولتهم وتثبيت ملكهم الجديد ولم يتعرضوا لأحد وما كان بوسعهم ذلك أيضاً.

فسطع نور الإمام الصادق وسيطر ثقافياً على العراق والبلاد الإسلامية وانتشر ذكره في جميع أنحاء المملكة الإسلامية وكان الفقهاء

المتخرجون من مدرسته يقولون حدثنا جعفر وعلمنا جعفر وأدبنا جعفر وهكذا ممّا جعل اسم جعفر الصادق ينتشر أكثر من بقية الأئمة لهذا الظرف الذي ذكرناه، فقيل عن الشيعة أتباع جعفر والحقيقة أننا أتباع الأئمة جميعاً ولا فرق بين جعفر وآبائه وأبنائه عندنا سلام الله عليهم أجمعين.



ذريّة الرسول (ص)

▽س٦٤: إن الحسن والحسين هما أولاد فاطمة بنت رسول الله محمد من الأب علي بن أبي طالب فكيف ينادي الشيعة هؤلاء وذريتهم بأنهم أبناء الرسول مع أنهم أبناء علي وأسباط الرسول والنسب يكون عن طريق الأب لا الأم فكيف؟

مع أن الشاعر العربي يقول:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا

بنوهن أبناء الرجال الأباعد

ج٦٤: سأجيب مجموعة أجوبة فكن منتبهاً لما أقول:

روى الشيخ الطوسي في الاحتجاج [١].

سأل هارون الرشيد مولانا الإمام موسى بن جعفر لماذا جوزتم للناس أن يخاطبوكم بأولاد رسول الله ويقولوا يا بني رسول الله وأنتم أبنا علي والمرء ينسب إلى أبيه وفاطمة هي وعاء والنبي جدكم لأمكم.

---

(١) الاحتجاج، طبعة بيروت، منشورات مؤسسة الأعلمي، ص٣٩١ . ٣٩٢.

فقال: يا أمير المؤمنين، لو أن رسول الله نُشر ثم خطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه وتعطيه ابنتك؟

قال: نعم وأفتخر بذلك على العرب والعجم وقريش أيضاً.

فقلت: لكنه لا يخطب إليَّ ولا أزوّجه، قال: لماذا؟ فقلت: لأنه ولدني ولم يلدك، فقال: أحسنت يا موسى، ثم قال: كيف قلتم إنا ذرية النبي والنبي لم يعقب وإنما العقب الذكر لا الأنثى، وأنتم ولد الابنة ولا يكون ولدها عقباً له، فقلت: أسألك بحق القرابة والقبر ومَن فيه إلا أعفيتني عن هذه المسألة.

فقال: لا، أو تخبرني بحجتكم فيه يا ولد علي، وأنت يا موسى يعسوبهم وإمام زمانهم، كذا أنهي إليَّ ولست أعفيك في كل ما أسألك عنه حتى تأتيني فيه بحجة من كتاب الله وأنتم تدعون معشر ولد عليَّ أنه لا يسقط عنكم من شيء ألف ولا ياء ولا واو إلا تأويله عندكم واحتججتم بقول الله عز وجل: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] واستغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم.

قلت: أتأذن لي في الجواب؟

قال: هات.

فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤-٨٥].

مَن أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟

فقال: ليس لعيسى أب، فقلت: إنما ألحقناه بذراري الأنبياء من طريق مريم وكذلك ألحقنا بذراري النبي من قبل فاطمة، أزيدك يا أمير المؤمنين؟

قال: هات.

قلت قول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

ولم يدع أحد أنه أدخله النبي تحت الكساء عند مباهلة نصارى نجران إلا علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين، فأبناؤنا يعني الحسن والحسين ونساءنا يعني فاطمة وأنفسنا يعني علياً.

على أن العلماء قد أجمعوا أن جبرائيل قال يوم أحد: (إن هذه لهي المواساة من علي) قال: (لأنه مني وأنا منه) فقال جبرئيل: وأنا منكم يا رسول الله.

ثم قال (لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي) فكان مدح الله عز وجل به خليله إذ يقول: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠] ثم قال الإمام: إنا نفتخر بقول جبرئيل أنه منا فقال: أحسنت يا موسى! ارفع إلينا حوائجك.

قال الإمام: إأذنْ لي أن أرجع إلى حرم جدي رسول الله لأكون عند عيالي.

قال هارون ننظر إن شاء الله.

لكنه لم يسمح للإمام حتى مات بعيداً عن أهله وولده.

وقد استدل بهذا الاستدلال بأن الحسن والحسين ابنا رسول الله وفق آية المباهلة كل من فخر الدين الرازي في تفسير الكبير وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة وأبو بكر الرازي في تفسيره أيضاً على أن الحسن والحسين أولاد رسول الله من جهة أمهما فاطمة واستدل بآية المباهلة وبكلمة (أبناءنا).

ومنهم الخطيب الخوارزمي في المناقب والمير السيد علي الهمداني الشافعي في كتابه مودة القربى والإمام أحمد بن حنبل وهو من فحول علماء السنّة في مسنده، وسلمان الحنفي البلخي في ينابيع المودة بقوله ابناي هذان ريحانتاي من الدنيا وولداي هذان إماmان قاما أو قعدا.

وذكر محمد بن يوسف الشافعي في كتابه كفاية الطالب فصلًا تحت عنوان (ذرية النبي من صلب علي) لقول رسول الله: كل نبي ذريته من صلبه إلا أنا جعل ذريتي من صلب علي بن أبي طالب.

ورواه ابن حجر في الصواعق المحرقة ص ٧٤ و٩٤ عن الطبراني عن جابر بن عبد الله الأنصاري لما رواه خطيب خوارزم أيضاً عن ابن عباس والتنزيل حجة على الناس جميعاً وهل يعارض التنزيل قول الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا...إلخ

كما ذكرتم في السؤال.

وإليك آية أخرى وأكتفي: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ [الأنعام: ٨٤] . لإبراهيم . فعدّ عيسى من جملة الذرية الذين نسبهم إلى نوح وهو ابن بنت لا اتصال له إلا من جهة أمه مريم.

وهذا دليل مؤكد على أن أولاد فاطمة هم ذرية النبي ولا عقب له إلا من جهتها.

والحمد لله أولًا وآخراً.

انتهينا من الكتابة في الردّ على الأسئلة في ٨ نيسان ٢٠٠٣ الموافق ٦ صفر ١٤٢٤هـ.

وكنا قد بدأنا بها في ١٧ محرم ١٤٢٤هـ وكنا نعطي للكتابة كل يوم فترة صغيرة وحسب الظروف ورغم ما عندنا من مواكبات للأعمال العامة يومياً والدروس والمحاضرات فيها، ومع ذلك تمكنّا بحمد الله وتوفيقه في خلال عشرين يوماً من القيام بالمهمة الصعبة حيث كنا نحتاج قبل كتابة بعض الأسئلة إلى مراجعة كتاب كامل، ولقد وفّقت لمراجعة مجموعة ضخمة من الكتب المهمة مثل الغدير وكتب السيد هاشم معروف الحسني وكتب السيد شرف الدين من المراجعات والفصول المهمة وأبو هريرة، وكتب المرحوم الشيخ محمد كاشف الغطاء، وأكثر كتب المراجع الأعاظم، وكتب العقائد ومنها كتاب المظفر، وكتب الأخلاق والسيرة والتاريخ خصوصاً الكامل لابن الأثير والطبري والمسعودي واليعقوبي وسيرة ابن هشام والسيوطي وتاريخ الخلفاء، وكتب السيرة الحديثة، مجمع البيان الحديث، سيرة المصطفى، وكتب من استبصر مثل: التيجاني وأحمد حسن يعقوب.

وقرأت أعيان الشيعة وأكثر كتب السيد محسن الأمين الذي تصدى لمثل هذه الأسئلة وكنت على علاقة معه سابقاً.

كما راجعت ملحمة الغدير لبولس سلامة وبعض دواوين الشعر العربي ولا أنسى مجموعة البحار للعلامة المجلسي ومجموعة الإمام علي عليه السلام وكتب الشيخ محمد جواد مغنية خصوصاً الكاشف، وتفسير الميزان والأمثل، كما إني راجعت في كتب الحديث ومراجعات الأحاديث من الكتب الأربعة عندنا: الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه، وراجعت صحيح البخاري ومسلم وسنن ابن ماجة والموطأ لمالك مع مسند أحمد بن حنبل.

ودققت في كل ذلك ومع كل هذا الجهد استطعت والحمد لله أن أختصر الوقت بهذا الإيجاز الموجز الذي تعمدت فيه هذا المقدار وإلا لو أردت التطويل والتفصيل لصار مثل البحار لأن الأسئلة ذات جذر طويل في التاريخ وتمس أهم القضايا الحساسة.

وكنت صريحاً وواضحاً خصوصاً في الحديث عن الزهراء الذي ركبت فيه الصعب وتعمدت الصراحة وبيّنت المصادر الذي كتبت منها وحملتها هي المسؤولية وما أردت نبش الأحقاد ولكن أردت إظهار الحق.

ورأيت أن ذلك يساعد أكثر في بيان الحقيقة بدل أن أواري أو أداري حتى لا يقال أنه يتقي ويعتمد على التقية.

وحيث الحاجة ملحة للإغماض عن كثير من قضايا التاريخ التي تؤجج الصراعات، كان ردّ الأجوبة بشكل علمي وتفسير للأحداث والوقوف على حقائق الأمور أولى بنظري.

وأسأله سبحانه ببركات سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه، مفيداً نافعاً، ساطعاً برهانه طويلة أفنانه وأغصانه والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآل الطيبين الطاهرين.

عفيف النابلسي

في ٦ صفر ١٤٢٤هـ ٨ نيسان ٢٠٠٣م ملاحق ردّ سماحته على منشور يحاول المسّ من الإمام الحسين عليه السلام والشعائر الحسينية

في كل سنة وبمناسبة عاشوراء ومحبّوا الإمام الحسين عليه السلام مشغولون بإحياء الشعائر الحسينية، يحاول خفافيش الليل نشر مجموعة من الأكاذيب يسطرونها ويوزعونها مناشير دون أن يذكر اسم الناشر ولا إسم الكاتب.

مضمون المنشور:

وتحاول هذه المناشير أن تؤكد شرعية بيعة يزيد وأنه خليفة شرعي لا يجوز الخروج عليه ويستدلّون بأقوال ينسبونها إلى أخي الحسين وهو أبو هاشم محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية.

إن المناشير تشير إلى خطأ قيام الحسين بعمله هذا، وقد نهاه عن ذلك مجموعة من الصحابة ولكن الحسين أصرّ على خطئه، وأنّه ذهب

باندفاع الثأر لمسلم بن عقيل تبعاً لآراء مراهقين وكان عليه أن لا يندفع.

وعندما احتدم القتال طلب الحسين من الجيش الأموي أن يخيّره بين ثلاث: أن يرجع من حيث أتى أو يتركه يذهب إلى ثغر من ثغور المسلمين أو يتركه يذهب إلى يزيد.

فأبى ابن زياد لأن شمر بن ذي الجوشن أشار عليه أن لا يقبل بل على الحسين أن يأتي إليك وأنت تسيّره إلى أي مكان تشاء أو تقتله، ولكن الحسين رفض بعد ذلك ولو أنه رضي لسلم.

ولما وقعت الكارثة وقتل الحسين وأخذوا عياله إلى يزيد، أظهر التوجع والحزن وأظهر البكاء والحزن في داره ولم يسب لهم حريماً بل أكرم أهل البيت وأجازهم.

يعتمد هذا المنشور على رأي فقهي لابن تيمية الناصبي الذي أطلق عليه لقب شيخ الإسلام، يقول هذا الرأي بأن خروج الحسين لم يكن فيه مصلحة دين ولا دنيا وكان على الحسين أن لا يمكّن الظلمة الطغاة من نفسه وكان في خروجه مع النساء ما لم يكن يحصل لو بقي في بلده.

ويتابع: إن مقتل الحسين لم يكن أعظم من مقتل الأنبياء ومنهم يحيي بن زكريا وقتل عيسى لم يلتفت الكاتب الأعمى أن الله ذكر في القرآن الكريم ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] وكذلك قتل عمر وعثمان وعلي وهؤلاء كلهم أفضل من الحسين ولماذا الحسين وحده؟! ولماذا إقامة المآتم واللطم؟! والواجب في أيام المصائب الرجوع إلى القرآن ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] فالصبر هو المطلوب والرحمة للإمام الحسين

والشهداء ولا داعي لكل هذه المراسم.

الردّ على المنشور:

المسؤولية الدينية:

لا بُدَّ أن نعرف أولًا بأن الإمام الحسين عليه السلام مكلّفٌ شرعاً بحفظ بيضة الإسلام وهو وريث جده النبي الأكرم الذي أهَّله لخوض معركة الدين مع الجاهلية ومعركة الحق ضد الباطل وهو الذي حمّله المسؤولية إن هرب من حملها الناس بقوله: كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

فالمسلم مسؤول عن إصلاح الخلل الذي يحدث وبحسب قدرته وطاقته ولو أن إنساناً مسلماً رأى شخصاً مسلماً يهان ويذل ويسرق ماله ويغتصب بيته ويهتك شرفه كان عليه نصره ومؤازرته وحمايته من هؤلاء الظلمة ويجب عليه الدفاع عن هذا المسلم الضعيف وهي مسؤولية شرعية منوطة بكل فرد.

وإذا انطلقنا من هذه الجزئيات فلا بد أن نصل إلى الكليات وبالتالي عندما نرى أن الإسلام يتعرض لتغيير نظامه السياسي والأخلاقي وأن الأمة تنحر ويسرق ويصادر وجودها وعزَّها ودولتها ولا يبقى لمظهر الإسلام أية قيمة وإنما الواقع المعاش في البلاط الأموي واقع جاهلي فكيف يجوز لإنسان مسلم أن يسكت فضلًا عن الإمام الحسين الذي تحمل مسؤولية الإصلاح في أمة جدّه صلى الله عليه وآله وسلم .

وعلى ضوء هذه المسؤولية الكبرى ناهض الإمام جور الأمويين وناهز مخططاتهم الهادفة إلى استعباد الأمة وإذلالها ونهب ثرواتها وقد أدلى بما يحتمه الإسلام عليه من الجهاد لحكم الطاغية يزيد أمام الحر

وأصحابه فقال:

أيها الناس! إن رسول الله قال: من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلًا لحرم الله ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالجور والإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بقول ولا بفعل، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله.

لقد كان الواجب الديني يحتم عليه القيام بوجه الحكم الأموي الذي استحل حرمات الله ونكث عهود الله وخالف سنة رسول الله وقد صرّح جماعة من علماء المسلمين بأن الواجب الديني كان يقضي على الإمام أن ينطلق في ميادين الجهاد دفاعاً عن الإسلام.

وقبل الحديث عن الحسين وثورته بشكل ملخص أحب أن أذكّر هؤلاء الخفافيش وأذكّر من وراءهم بآراء لجهابذة الفكر الإسلامي في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية.

الشيخ محمد عبده:

دافع الشيخ محمد عبده ـ في حديثه عن الحكومة العادلة والجائرة في الإسلام ـ عن خروج الإمام على حكومة يزيد ووصفه بأنه كان واجباً شرعياً عليه.

قال: إذا وجد في الدنيا حكومة عادلة تقيم الشرع، وحكومة جائرة تعطله وجب على كل مسلم نصر الأولى وخذلان الثانية.

ومن هذا الباب خروج الإمام الحسين سبط الرسول الأكرم على إمام الجور والبغي الذي ولي أمر المسلمين بالقوة والمنكر، يزيد بن

معاوية خذله الله وخذل من انتصر له من الكرامية والنواصب [١].

الأستاذ محمد عبد الباقي:

وتحدث الأستاذ محمد عبد الباقي سرور عن المسؤولية الدينية والاجتماعية اللتين تحتمان على الإمام القيام بمناهضة حكم يزيد، قال:

(لو بايع الحسين يزيد الفاسق المستهتر الذي أباح الخمر والزنا وحط بكرامة الخلافة إلى مجالسة الغانيات وعقد حلقات الشراب في مجلس الحكم والذي ألبس الكلاب والقرود خلاخل من ذهب ومئات الألوف من المسلمين صرعى الجوع والحرمان.

لو بايع الحسين يزيد أن يكون خليفة الرسول على هذا الوضع لكانت فتوى من الحسين بإباحة هذا للمسلمين وكان سكوته هذا أيضاً رضى، والرضا من ارتكاب المنكرات ولو بالسكوت إثم وجريمة في حكم الشريعة الإسلامية.

والحسين بوضعه الراهن في عهد يزيد هو الشخصية المسؤولة في الجزيرة العربية بل في البلاد الإسلامية كافة عن حماية التراث الإسلامي لمكانته في المسلمين ولقرابته من رسول الله ولكونه بعد كبار المسلمين كان أعظم المسلمين في ذلك الوقت علماً وزهداً وحسباً ومكانةً فعلى هذاالوضع، أحس بالمسؤولية تناديه وتطالبه لإيقاف المنكرات عند حدّها، ولا سيما أن الذي يضع هذه المنكرات ويشجع عليها هو

(١) تفسير المنار، ج١١، ص٣٦٧، وج١٢، ص١٨٣ ـ ١٨٥، نقلاً عن حياة الإمام الحسين عليه السلام لباقر شريف القرشي، ج٢، ص٢٧١.

الجالس في مقعد رسول الله هذا أولًا.

وثانياً: إنه جاءته المبايعات بالخلافة من جزيرة العرب وجاءه ثلاثون ألفاً من الخطابات من ثلاثين ألفاً من العراقيين من سكان البصرة والكوفة يطلبون فيها منه الشخوص لمشاركتهم في محاربة يزيد بن معاوية، وألحوا تكرار هذه الخطابات حتى قال رئيسهم عبد الله بن الحصين الأزدي: يا حسين سنشكوك إلى الله تعالى يوم القيامة إذا لم تُلبِ طلبنا وتقوم بنجدة الإسلام، وكيف والحسين ذو حميّة دينية ونخوة إسلامية والمفاسد تترى أمام عينيه، كيف لا يقوم بتلبية النداء وعلى هذا الوضع لبّى النداء وتوجه نحو العراق) الثائر الأول في الإسلام، ص٧٩..

وهذا الرأي وثيق للغاية فقد شفع بالأدلة الشرعية التي حملت الإمام مسؤولية الجهاد والخروج على حكم طاغية زمانه.

عبد الحفيظ أبو السعود:

يقول الأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود: (ورأى الحسين بأنه مطالب الآن ـ يعني بعد هلاك معاوية ـ أن يعلن رفضه لهذه البيعة وأن يأخذ البيعة لنفسه من المسلمين، وهذا أقل ما يجب حفاظاً لأمر الله ورفعاً للظلم وإبعاداً لهذا العابث ـ يعني يزيد ـ عن ذلك المنصب الجليل) [١].

الدكتور أحمد محمود صبحي:

وممن صرح بهذه المسؤولية الدينية الدكتور أحمد صبحي، قال:

---

(١) سبط الرسول، ص١٣٣.

(ففي إقدام الحسين على بيعة يزيد انحراف عن أصل من أصول الدين من حيث أن السياسة الدينية للمسلمين لا ترى في ولاية العهد وراثة الملك إلا بدعة هرقلية دخيلة على الإسلام، ومن حيث أن اختيار شخص يزيد مع ما عرف عنه من سوء السيرة وميله إلى اللهو وشرب الخمر ومنادمة القرود ليتولى منصب الخلافة عن رسول الله أكبر وزر يحل بالنظام السياسي للإسلام يتحمل وزره كل من شارك فيه ورضيَ عنه فما بالك إذا كان المقدم على ذلك هو ابن بنت رسول الله.

كان خروج الحسين إذاً أمراً يتصل بالدعوة والعقيدة أكثر ممّا يتصل بالسياسة والحرب) (١).

الشيخ عبد الله العلايلي:

يقول الشيخ العلايلي: (وهناك واجب على الخليفة إذا تجاوزه وجب على الأمة إسقاطه ووجب على الناس الثورة عليه، وهو المبالغة باحترام القانون الذي يخضع له الناس عامة وإلا فأي تظاهر بخلافه يكون تلاعباً وعبثاً ومن ثم وجب على رجل القانون أن يكون أكثر تظاهراً باحترام القانون من أي شخص آخر وأكبر مسؤولية من هذه الناحية فإذا فسق الملك ثم هاجر بنفسه وتحدى الله ورسوله والمؤمنين لم يكن الخضوع له إلا خضوعاً للفسق وخضوعاً للفحشاء والمنكر، ولم يكن الإطمئنان إليه إلا إطمئناناً للتلاعب والمعالنة الفاسقة) راجع أيام الحسين للشيخ العلايلي..

---

(١) نظرية الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية، ص٢٣٤.

هذه بعض الأراء التي أدلى بها جماعة من العلماء في إلْزام الإمام شرعاً بالخروج على حكم الطاغية يزيد وأنه ليس له أن يقف موقفاً سلبياً أمام ما يقترفه يزيد من الظلم والجور.

ذكرنا آراء حكماء وعلماء ومنظرين شرعيين وما تركناه أكثر يحمّلون الإمام الحسين عليه السلام المسؤولية الشرعية تجاه ما يجري وأنه لولا قيامه بالثورة لكانت الجاهلية أعيدت إلى الحياة من البوابة العريضة.

وكان الحسين قد رأى بثاقب نظره أن المعركة الواجبة هي التي توقظ نيام الأمة الغارقة في الضلال والخائفة من سياط العدو الأموي الغاشم.

فمن هنا كان الإمام الحسين عليه السلام أمام أمرين: كلاهما مرّ، الأول: مبايعة الحاكم الفاسق الذي هتك كل الحرمات وارتكب كل المحرمات وعطل القرآن والسنّة وبعد بيعته لا تقوم للدين قائمة لأن مثل الحسين في علمه وفضله وقرابته من رسول الله إذا بايع هذا الطاغية رغبة أو رهبة فمن الذي يقف بعد في وجه الفساد العام وارتكاب المحظورات وفعل الشنيع من الموبقات ومن الذي يردع أبواق الجاهلية من الرعود وقيم الجاهلية من الإنتشار.

الثاني: أو يقوم بثورة إعلامية ويحولها عندما يعترضون عليه إلى ثورة سياسية يتم من خلالها فضح النظام بكل رموزه خصوصاً الملك والحاكم الأول الذي سوف يتصرف تصرفاً جنونياً فيقتل ويدمر ويسبي ويتجاهل النبي والقرآن ويقتل القرابة والصحابة والأطفال الرضع والشيوخ الركع ويمحو الأذان والقرآن والمسجد النبوي والكعبة الشريفة إن استطاع

ويرتكب العظائم والدواهي والفواحش.

وعندها تثور الأمة الشريفة الإسلامية إلى الواجهة وتعود الشريعة الربانية هي الآمرة والناهية.

ولم يجد إلا الحل الثاني، الثورة والسياسة والمعركة ومواجهة النظام وحماقته وصلفه وكبريائه وجنونه.

أو لطال علينا الزمان حتى نكتشف هويته ونعرف طويته من خلال متابعة ربما لا تتيسر لنا ولا للحكماء من الأمة.

إذ أننا لسنا مجهزين بكل ما تريده الثورة رعاة وعمالًا ومتفانين.

فكانت الثورة هي الكلمة الفصل في معركة غير متكافئة لفضح النظام وإيقاظ النيام ورد الضالين وتعليم الجاهلين.

فما أروع ما قام به سيد الشهداء حيث استنطقت ثورته النظام فنطق بالكفر وقال:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

وقال:

قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلنا ميلَ بدرٍ فاعتدل

وقال:

نعق الغراب فقلت صح أو لا تصح فلقد قضيت من النبي ديوني

وهنا لا بد أن نشير إلى مسؤوليات أخرى كانت أمام الحسين والآخرون غافلون عنها:

المسؤولية الاجتماعية:

وكان الإمام بحكم مركزه الاجتماعي مسؤولًا أمام الأمة عما منيت به من الظلم والإضطهاد من قبل الأمويين، ومن هو أولى بحمايتها ورد الاعتداء عنها غيره فهو سبط رسول الله وريحانته والدين دين جده والأمة أمة جده وهو المسؤول بالدرجة الأولى عن رعايتهما.

ولكم سكت الإمام في عهد معاوية حتى مله السكوت وصبر حتى مله الصبر ولما وصل الاستهتار عند بني أمية إلى هذا الحد في الدين وتولية يزيد الحكم وهو من هو في سلوكه الماجن من الزنا وشرب الخمر والعيش مع الغانيات ونكحه الأمهات والأخوات والبنات، فسكوته عندئذٍ سيكون أكبر كارثة اجتماعية على الدين والأمّة.

ولو كان يجدي السكوت والصبر والكلام الحسن لاستعمل كل ذلك وانتهى عند ذلك الحد ولكنه قام بعد ما رأى أنه لا بد من الثورة على الفساد العارم والسيل الجارف من الحقد الأموي على جده النبي ورسالة الإسلام وآل بيت النبوة فنهض وأدّى دوره وأفرغ ذمته الشرعية من التكليف وبالتالي أراح الأمة من الإثم الكبير الذي لولا ثورة الحسين لأثمت الأمة من كبيرها إلى صغيرها حيث لم تأمر بمعروف ولم تنه عن منكر وتركت أمواج الظلم تموج في ديار الإسلام بقيادة الفاسق المارق والماجن الزاني الفاجر الخائن السكير الخمير يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الشجرة الملعونة في القرآن.

إقامة الحجة عليه:

وقامت الحجة على الإمام عليه السلام لإعلان الجهاد ومناجزة قوى

البغي والإلحاد فقد تواترت عليه الرسائل والوفود من أقوى حامية عسكرية في الإسلام وهي الكوفة فكانت رسائل أهلها تحمّله المسؤولية أمام الله إن لم يستجب لدعواتهم الملحة لإنقاذهم من عسف الأمويين وبغيهم.

ومن الطبيعي أنه لو لم يجبهم لكان مسؤولًا أمام الله وأمام الأمّة في جميع مراحل التاريخ وتكون الحجّة قائمة عليه.

حماية الإسلام:

ومن أوكد الأسباب التي ثار الحسين من أجلها، حماية الإسلام من خطر الحكم الأموي الذي جهد على محو سطوره وقلع جذوره وإطفاء نوره فقد أعلن يزيد وهو على سدّة الخلافة الإسلامية الكفر والإلحاد عندما قال:

لعبت هاشم بالملك فلا — خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

وكشف هذا الشعر عن العقيدة الأموية والجاهلية التي يدين بها الحكم فهو لم يؤمن بوحي ولا كتاب ولا جنة ولا نار وقد قالها عمر بن سعد أيضاً:

يقولون إن الله خالق جنة — ونار وتعذيب وغل يدين
فإن صدقوا فيما يقولون إنني — أتوب إلى الرحمن توبة مين
وإن كذبوا فزنا بدنياً عظيمة — وملك كبير واسع الحجلين

وأمام ظهور هذه العقيدة التي تكشفت للناس وعرف الناس أن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يعرف عقيدة الدولة وسلوك قادتها ورموزها

وأن الكلمة معهم لا تجدي ولو استمروا في كشف عقيدتهم وتطعيمها للناس لدرس الدين والعقيدة ولم يبق للإسلام عين ولا أثر.

ومن هنا كان عليه قبل أن يستفحل الخطب ويعظم الجمع الجاهلي أن يثور ويفضح النظام وزمرته وحتى ينكشف النظام أمام الأمة عارياً وهكذا فعل سلام الله عليه فعاد الدين غضاً طرياً وعادت الأمة إلى أصالتها وجذورها النبوية وأخلاقها القرآنية وبدأت تلاحق النظام بثورات متلاحقة حتى حوصر يزيد ومات بذات الجنب لكثرة شربه الخمر التي قطعت كبده كما يقولون.

وهنا نعود إلى أصحاب المناشير التي يوزعونها سراً وعلناً ويخفون شخصيتهم وساعدهم على ذلك الآلات الشخصية الموجودة في بيوتهم ومكاتبهم، لنقدم لهم نموذجين، الأول: يزيد، والثاني: الإمام الحسين عليه السلام ويظهر بهذا غلطهم وغلط مرجعهم الأموي ابن تيمية.

ننقل لك من كتاب (أبو الشهداء) لأديب العرب الأستاذ عباس محمود العقاد المصري الشهير يقول:

يزيد بن معاوية عريق النسب في بني عبد مناف ثم في قريش ولكن الأصدقاء والخصوم متفقون على وصف الخلائق التي اشتهر بها أبناء هذا الفرع من عبد مناف وأشهرها الأثرة.

وأحمد ما يحمد فيها أنها تنفع الناس من طريق النفع لأصحابها وندّد من وجوه الأمويين في الجاهلية والإسلام من اشتهر بخصلة تجلب إلى صاحبها ضرراً أو مشقة في سبيل نفع الناس.

وبيت أبي سفيان بيت سيادة مرعية لا مراء فيها، ولكن الحقيقة

التي ينبغي أن نذكرها في هذا المقام أن معاوية بن أبي سفيان لم يكن ليرث شيئاً من هذه السيادة التي كان قوامها كله وفرة المال لأن أبا سفيان على ما يظهر قد أضاع ماله في حروب الإسلام ولم يكن له من الوفر ما يبقي على كثرة الوارث.

وروى إن امرأة استشارت النبي في التزوج بمعاوية فقال: إنه صعلوك لا مال له.

أي فقير لا مال له.

كذلك ينبغي أن نذكر حقيقة أخرى في هذا المقام وهي أن معاوية لم يكن من كتّاب الوحي كما أشاع خدام دولته بعد صدر الإسلام ولكنه كان يكتب للنبي الصدقات وما يضم في أربابها ولم يعلم ويسمع موثقة قط أنه كتب للنبي شيئاً من آيات القرآن الكريم وعُرفَ لمعاوية خصال محمودة كالحلم والدهاء ولكنه كان لا يملك حلمه في فلتات تميد بالملك الراسخ ومنها قتله حجر بن عدي الكندي الزاهد العابد وستةً من أصحابه لأنهم كانوا ينكرون سب علي فما زال بقية حياته يندم على هذه الفعلة الشنيعة ويقول: ما قتلت أحداً إلا وأنا أعرف فيما قتلته ما خلا حجراً فإني لا أعرف بأي ذنبٍ قتلته.

وأم يزيد هي ميسون بنت بجدل الكلبية من كرائم بني كلب المعرقات في النسب وهي التي كرهت العيش مع معاوية في دمشق وقالت تتشوق إلى عيش البادية:

ولُبسُ عباءةٍ وتقر عيني أحبُّ إليَّ من لبس الشفوف

وبيت تخفق الأرياح فيه أحبُّ إليَّ من قصر منيف

ومنها:

وخرقٍ من بني عمي فقير أحب إليَّ من علج عنيف

فأرسلها وابنها إلى باديتها فنشأ يزيد مع أمه بعيداً عن أبيه وقد أفاد من هذه النشأة البدوية بعض أشياء تنفع الأقوياء ولكنها على ما هو مألوف في أعقاب السلالات القوية تضيرهم وتجهز على ما بقي من العزيمة فيهم.

فكان ما استفاده من بادية بني كلب بلاغة الفصحى وحب الصيد وركوب الخيل ورياضة الحيوانات ولا سيما الكلاب.

وهذه الصفات في الرجل القوي تزينه وتشحذ قواه ولكنها في أعقاب السلالات (أو عكارة البيت كما يقال بين العامة) مدعاة إلى الإغراق في اللهو والولع بالفراغ لأنها هي عنده كل شيء وليست مداداً لغيرها من كبار الهمم وعظائم الهموم.

وهكذا انقلبت تلك الصفات في يزيد من المزية إلى النقيصة..

فكان كلفهُ بالشعر الفصيح مغرياً له بمعاشرة الشعراء والندماء في مجالس الشراب وكان ولعه بالصيد شاغلًا يحجبه عن شواغل الملك والسياسة وكانت رياضته للحيوانات مهزلة تلحقه بأصحاب البطالة من القرادين والفهادين فكان له قرد يدعوه (أبا قيس) يلبسه الحرير ويطرز لباسه بالذهب والفضة ويحضره مجالس الشراب ويركبه أتاناً في السباق ويحرص على أن يراه سابقاً مجلياً على الجياد وفي ذلك يقول كما جاء في بعض الروايات:

تمسك أبا قيس بفضل عنانها فليس عليها إن سقطت ضمان

ألا من رأى القرد الذي سبقت به جياد أمير المؤمنين أتان

وقد يكون عبد الله بن حنظلة غير مبالغ في المذمة حين قال فيما نسب إليه: (والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بحجارة من السماء إن رجلًا ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت الله فيه بلاءً حسناً).

ولكن الروايات لم تجمع على شيء كإجماعها على إدمانه الشراب والخمر وشغفه باللذات وتوانيه عن العظائم..

وقد مات بذات الجنب وهو لما يتجاوز السابعة والثلاثين ولعلها أصابت الكبد من إدمان الشراب والإفراط في اللذات ولا يعقل أن يكون هذا كله اختلاقاً واختراعاً من الأعداء لأن الناس لم يختلقوا مثل ذلك على أبيه وعمر بن العاص وهما بغيضان كل البغض إلى أعداء الأمويين(١).

أرأيتم يا أصحاب المناشير ويا خفافيش الليل ما قاله هذا الكاتب عن تركه الصلوات وشربه الخمور بل إدمانه وإفراطه فيها حتى مات بداء الجنب وأنتم اليوم تدافعون عنه وتخترعون رواية عن محمد بن الحنفية الذي ظلّ يبكي على أخيه الحسين حتى مات بعد ضعف وهزال رغم قوة بنيته الجسدية المعروفة وكان أبو هاشم على جانب عظيم من التقوى والورع والبطولة.

---

(١) أبو الشهداء، عباس محمود العقّاد، ص٥٧ . ٦٠.

ولكنكم أبيتم إلا أن تكونوا يزيديين في صراع الحسين مع الجاهلين وإنا لله وإنا إليه راجعون.

بعدما قدمنا لكم ملخصاً عن كتاب (أبو الشهداء) لأديب العرب الباحث الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد العالم المصري، نقدم لكم ملخصاً آخر في حياة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد تحت عنوان (سلسلة من ذخائرنا) وقد حقق ذلك المحقق السيد عبد العزيز الطباطبائي وأخرج ذلك في كتاب صغير نشرته مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

الحسين بن علي رضي الله عنهما:

الحسين بن علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ويكنى أبا عبد الله.

أمه فاطمة بنت رسول الله وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي.

علقت فاطمة (رضي الله عنها) بالحسين لخمس ليال خلون من ذي القعدة سنة ثلاث من الهجرة فكان بين ذلك وبين ولادة الحسن خمسون ليلة.

وولد الحسين في ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة.

أولاد الحسين (ع):

علي الأكبر قتل مع أبيه يوم الطف لا بقية له.

وأمه آمنة بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي وأمها ابنة أبي سفيان بن حرب وفيها يقول حسان بن ثابت:

طافت بنا شمس النهار ومن رأى من الناس شمساً بالعشاء تطوف

أبو أمها أوفى قريش بذمةٍ وأعمامها إما سألت ثقيف

وعلي الأصغر وله العقب من ولد الحسين وأمه أم ولد وأخوه لأمه عبد الله بن زبيار مولى الحسين بن علي وهم ينزلون بنبع.

وجعفر لا بقية له وأمه السلافة امرأة من بني بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وفاطمة وأمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد بن عثمان بن عمرو بن كعب بن تميم بن مرة.

وعبدالله قتل مع أبيه الحسين.

وسكينة وأمها الرباب بنت امرى القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عندره بن زيد اللات بن رقيدة بن ثور بن كلب.

وفي الرباب وسكينة يقول الحسين رضي الله عنهما:

لعمرك إنني لأحب داراً تصيّفها سكينة والرباب

أحبهما وأبذل جل مالي وليس للائمي فيها عتاب

ولستُ لهم وإن عتبوا مطيعاً حياتي أو يغيبني التراب

أيام الحسين (ع):

١ ـ قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنا سفيان الثوري عن عاصم بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال:

رأيت رسول الله أذَّن في أذنيَّ الحسين جميعاً بالصلاة.

قال أخبرنا عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي قال: حدثنا حاتم بن

أبي صغيرة عن سماك: إن أم الفضل امرأة العباس قالت: يا رسول الله رأيت في ما يرى النائم كأن عضواً من أعضائك سقط في حجري أو في بيتي؟ فقال: خيراً رأيت، تلد فاطمة غلاماً فترضعينه بلبان ابنك قثم.

قال: فولدت فاطمة الحسين فكفلته أم الفضل قالت: فأتيت به رسول الله فهو ينزيه ويقبله إذا بال على رسول الله فقال: يا أم الفضل أمسكي ابني فقد بال عليَّ قالت فأخذته فقرصته قرصة بكى منها وقلت: آذيت رسول الله بلت عليه؟

فلما بكى الصبي قال: يا أم الفضل آذيتني في ابني أبكيته.

قالت ثم دعا بماء فحدَرَهُ عليه حدْراً وقال: إذا كان غلاماً فاحدره حدْراً وإذا كانت جارية فاغسلوه غسلًا.

٢ . وفي رواية أخرى: أن النبي قال لها عندما بكى الحسين مهلًا فقد أوجعت قلبي بما فعلتِ الخ.

٣ . سمعت رجلًا سأل ابن عمر عن دم البعوض يكون في ثوبه؟

فقال: ممن أنت؟

فقال: من أهل العراق قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن رسول الله..

وقد سمعت رسول الله يقول: الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا.

٤ . أخبرتني أم سلمة (رض) قالت: بينما رسول الله ذات يوم إذ جاءت الخادمة فقالت: علي وفاطمة بالسدة، فقال لي: تنحي عن أهل

بيتي فتنحيت في ناحية البيت فدخل علي وفاطمة ومعهما حسن وحسين وهما صبيان صغيران فأخذ بيده الأخرى فاحتضنهما وقبلهما، وأغدق عليهم خميصةً سوداء ثم قال: اللهم إليك لا إلى النار، أنا وأهل بيتي، فقالت أم سلمة فقلت: وأنا يا رسول الله؟

قال: وأنت...

٥ ـ قال أخبرنا خالد بن مخلَد قال: حدثنا موسى بن يعقوب الزوي عن عبد الله بن أبي بكر بن زيد بن المهاجر قال: أخبرني مسلم بن أبي سهل النبال قال: أخبرني حسن بن أسامة بن زيد بن حارثة قال أخبرني أبي أسامة بن زيد قال:

طرقت رسول الله ذات ليلة لبعض الحاجة فخرج إليَّ وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو؟

فلما فرغت من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ فكشف فإذا حسن وحسين، على وركيه.

فقال: هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إنك تعلم أني أحبهما فأحبهما، اللهم إنك تعلم أني أحبهما فأحبهما، اللهم إنك تعلم أني أحبهما فأحبهما.

٦ ـ عن يعلى العامري أنه خرج مع رسول الله إلى طعام دعوا له فاستنتل رسول الله أمام القوم فإذا حسينٌ مع الغلمان يلاعبهم قال: فأراد رسول الله أن يأخذه قال فطفق الصبي يفر هاهنا مرة وهاهنا مرة وجعل رسول الله يضاحكه حتى أخذه فوضع إحدى يديه تحت قفاه الأخرى تحت ذقنه ووضع فاه على فيه فقبله.

قال: فقال: حسينٌ مني وأنا من حسين أحب الله حسيناً، حسين سبط من الأسباط.

٧ ـ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة).

٨ ـ قدم على رسول الله أسقف نجران والعاقب قال: فعرض عليهما رسول الله الإسلام فقالا: إنا كنا مسلمين قبلك قال: كذبتما إنه منعكما الإسلام ثلاث قولكما اتخذ الله ولداً وأكلكما لحم الخنزير وسجودكما للصنم فقال: فمن أبو عيسى؟

فما درى رسول الله ما يرد عليهما حتى أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] إلى قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢].

قال: فدعاهما رسول الله إلى الملاعنة وأخذ بيد فاطمة والحسن والحسين وقال هؤلاء بنيّ.

٩ ـ قدم على عمر بن الخطاب حلل من اليمن فكسا الناس فراحوا في الحلل وهو بين القبر والمنبر جالس والناس يأتونه يسلمون عليه ويدعون.

فخرج الحسن والحسين ابنا عليٍ من بيت فاطمة بنت رسول الله يتخطيان الناس وكان بيت فاطمة في جوف المسجد ليس عليهما شيء من تلك الحلل.

وعمر قاطب صار بين عينيه ثم قال: والله ما هنأني ما كسوتكم قالوا: لِمَ يا أمير المؤمنين، كسوتَ رعيتك وأحسنت قال: من أجل الغلامين يتخطيان ليس عليهما منهما شيء كبرت عنهما وصغرا عنها.

ثم كتب إلى صاحب اليمن أنه ابعث إليَّ بحلتين لحسن وحسين وعجل فبعث إليه بحلتين فكساهما فطابت نفسه.

١٠ . قال أخبرنا سليمان بن حرب قال: حدثنا حماد بن زيد قال: حدثنا يحيي بن سعيد الأنصاري عن عبيد بن حنين عن حسين بن علي قال: صعدتُ إلى عمر بن الخطاب المنبر فقلت له أنزل عن منبر أبي واصعد منبر أبيك قال: فقال لي: إن أبي لم يكن له منبر فأقعدني معه فلما نزل ذهب بي إلى منزله فقال: أي بنيَّ من علمك هذا؟

قال: قلت ما علمنيه أحد، قال: أي بنيَ لو جعلت تأتينا وتغشانا!

قال: فجئت يوماً وهو خالٍ بمعاوية وابن عمر بالباب ولم يؤذن له فرجعت، فلقيني بعد فقال لي: يا بني لم أرك أتيتنا؟ قال: قلت قد جئت وأنت خالٍ بمعاوية فرأيت ابن عمر رجع فرجعت، قال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر، إنما أنت في رؤوسنا ما ترى الله، ثم أنتم.

قال: ووضع يده على رأسه.

١١ . قال أخبرنا قبيصة بن عقبة قال: حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن المبزار بن حريث قال: بينما عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة إذ رأى الحسين بن علي مقبلاً فقال: هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء.

١٢ . قال أخبرنا عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا فطري الخشاب مولى طارق قال حدثنا مدرك أبو زياد قال:

كنّا في حيطان ابن عباس فجاء ابن عباس والحسن والحسين فطافوا في البستان ونظروا ثم جاؤوا إلى ساقية فجلسوا على شاطئها فقال لي حسن: يا مدرك أعندك غداء؟

قلت: قد خبزنا قال: إئت به قال: فجئته به بخبز وشيء من ملح جريش وطاقتين بقل فأكل، ثم قال: يا مدرك ما أطيب هذا ثم أتي بغدائه وكان كثير الطعام طيّبه فقال يا مدرك، إجمع لي غلمان البستان قال: فقدم إليهم فأكلوا ولم يأكل فقلت: ألا تأكل؟

قال: ذاك كان أشهى عندي من هذا.

ثم قاموا فتوضؤوا ثم قدمت دابة الحسن فأمسك له ابن عباس بالركاب وسوى عليه.

ثم جيء بدابة الحسين فأمسك له ابن عباس بالركاب وسوى عليه.

فلما مضينا قلت: أنت أكبر منهما تمسك لهما وتسوي عليهما؟.

فقال يا لكع أتدري من هذان؟

هذان ابنا رسول الله أو ليس هذا مما أنعم الله علي به أن أمسك لهما وأسوي عليهما.

١٣ . أخبرتني أم سلمة أن رسول الله اضطجع ذات يوم للنوم فاستيقظ فزعاً وهو خاثر ثم اضطجع فرقد واستيقظ وهو خاثر دون المرة الأولى ثم اضطجع فنام فاستيقظ ففرغ وفي يده تربة حمراء يقلبها بيده

وعيناه تهراقان الدموع! فقلت يا رسول الله: ما هذه التربة فقال: أخبرني جبرئيل أن ابني الحسين يقتل بأرض العراق! فقلت لجبرئيل أرني تربة الأرض التي يقتل بها فجاء بها فهذه تربتها.

١٤ . قال أخبرنا يعلى ومحمد ابنا عبيد قالا حدثنا موسى الجهني عن صابح بن اربد النخعي قال: قالت أم سلمة: قال لي نبي الله اجلسي بالباب فلا يلج عليَّ أحدٌ فجاء الحسين فذهبت تناوله فسبقها الحسن فدخل.

قالت: فلما طال عليَّ خفت أن يكون قد وجد عليَّ فتطلعت من الباب فإذا في كف النبي شيء يقلبه والصبي نائم على بطنه ودموعه تسيل فقال: إن جبرئيل أتاني بالتربة التي يقتل عليها وأخبرني أن أمتي يقتلونه!

١٥ . قال أخبرنا علي بن محمد عن يحيى بن زكريا عن رجل عن عامر الشعبي قال: قال علي وهو على شاطىء الفرات: صبراً أبا عبد الله ثم قال:

دخلت على رسول الله وعيناه تفيضان فقلت أحدث حدث؟

فقال أخبرني جبرئيل أن حسيناً يقتل بشاطىء الفرات ثم قال أتحب أن أريك من تربته قلت: نعم فقبض قبضةً من تربتها فوضعها في كفي فما ملكت عيناي أن فاضتا.

١٦ . قال أخبرنا علي بن محمد عن الحسن بن دينار عن معاوية بن قرة قال: قال الحسين: والله ليعتدن عليَّ كما اعتدت بنو إسرائيل في السبت.

١٧ . قال: أخبرنا علي بن محمد عن جعفر بن سليمان الضبعي قال: الحسين بن علي: والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فإذ افعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرام خرقة الحيض.

الأمة.

لقد لخصنا ستين صفحة في ست صفحات واختزلنا عشرات الأحاديث في سبعة عشر حديثاً.

مدار الأحاديث على التعريف بالحسين عند جده النبي وذكرت لنا الروايات كثيراً من فضله منذ الصغر بل منذ الولادة ثم الصبا ثم الشباب وكيف كان الحسين محترماً ومعظماً عند جده وأبيه وأمه وأخيه والخلفاء والصحابة أجمع وحتى بنو أمية كانوا يعظمون الإمام الحسين ويهابونه وتركت كثيراً من الأحاديث مراعاةً للاختصار.

وأخيراً الروايات التي ذكرها ابن إسحاق في بكاء النبي على ولده الحسين وهو صبي وأعلم ذلك بأن جبريل أراه تربته وحدها وعرف المكان الذي يموت فيه وبكى وبكى معه جبرئيل ثم بكى أبوه بعده وأخبر هو عن نفسه بأن بني أمية سوف يعتدون على الإمام الحسين ليستخرجوا العلقة من جوفه والمقصود انتزاع روحه التي بين جنبيه.

وهي روايات صحيحة على روايات ابن إسحاق في سيرته وأكثرها ذات سند عالي فكيف يمكن لأصحاب المناشير الذين يتعبون ويكتبون ويشوشون أن يقنعونا وهذه كتبهم التي رواها أصحاب السير لا تدع مجالًا للشك بأن بني أمية سوف يقتلون الحسين فإذا كان القضاء قد كتب

بلوحه المكنون هذه المظلومية فماذا ترانا نقول؟ إلّا أن تكذب رواة التاريخ وأنتم أحرار في ذلك لكن عليكم أن تثبتوا بالدليل القاطع هذا الخطأ لا أنكم تعتمدون على فقيه أقل ما قيل في حقه أنه من الخوارج والنواصب.

وبعدما قام الإمام الحسين بثورته المعطاء وغيّر وجه التاريخ وأكد جميع العلماء أنه كان على حق وأن ثورته هي التي هدمت الدولة الأموية وأزاحت الكابوس الظالم عن صدر المسلمين الأحرار ولا تزال الدنيا تشرق بنور الحسين وتلتهب بثورته المباركة العادلة.

ومن هنا أوجه ندائي إلى هؤلاء المساكين المحرومين من ذكرى عاشوراء وبركاتها أن يفكروا بحضور هذه المجالس المباركة ويستفيدوا من آدابها ويعودوا إلى الإسلام الثوري لا إلى الإسلام الذي يقول نحن مع من غلب ويبرر للظالم فظاعته وظلمه ويقولون أنه اجتهد فأخطأ ومن أخطأ فله أجر واحد ويصير قاتل الحسين مجتهداً مخطئاً وله أجر واحد.

ما هذا الفهم؟! فإذا كان علم الدين يوصلكم إلى تبرئة يزيد كما قلتم فسلامٌ على الدين وعلمائه ومحدثيه.



رسالة أخوية إلى الشيخ محرّم العارفي

فضيلة الأخ الشيخ محرّم العارفي المحترم،

السلام عليكم،

أخذت على نفسي وأنا في مدينة صيدا ومعطل من إمامة الجمعة والجماعة حالياً أن أجول على إخواني علماء وخطباء الجمعة أؤيدهم وأستفيد من خطبهم وأحضر جمعتهم وجماعتهم وأثبت الوحدة الإسلامية بالفعل بعد أن ناديت بها قولًا وقد حضرت عدة جماعات وجمعات وفي هذه الجمعة ٢٣ آب ١٩٩١/ ١٣ صفر ١٤١٢.

حضرت في مسجدكم واستمعت إلى خطابكم بلهفة وشوق وأنا أحي فيكم الجرأة والقدرة الخطابية التي تنحو فيها نحو عبد الحميد الكشك: وفرحت لاندكاك الناس عليك وأصغائهم لديك فدعوت المولى أن يزيدك هدى وتمسكاً برسول الله وآل بيته الأبرار وقد ورد في خطبتك بعض اللطائف وقفت عندها وأحببت التحدث إليك فيها.

أولًا إنك تتعمد ترك الصلاة على الآل عند ذكرك للرسول محمد مع أنه قد ورد في صحيح البخاري في باب الصلاة على محمد وآل

محمد الشيء الكثير، ونكتفي برواية واحدة:

قالوا: كيف نصلي عليك يا رسول الله؟ قال: اللهم صل على محمد وآل محمد صحيح البخاري، ج٨، باب الصلاة على محمد وآل محمد..

وورد عن النبي ﷺ النهي المتكرر: لا تصلوا عليَّ الصلاة البتراء، وفي تفسير ابن الأثير: (قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم أنك حميد مجيد، ولا تصلوا عليَّ الصلاة البتراء قالوا وما الصلاة البتراء يا رسول الله قال أن تقولوا اللهم صل على محمد وتصمتوا).

ثانياً: إنك تعتمد رواية حديث الثقلين من رواياته الضعيفة والتي وضعت مؤخراً مع أن لفظ وعترتي الوارد في الحديث هو النص المتواتر.

ولسان الحديث كما في رواية زيد بن أرقم (إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله حبل ممدودٌ من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وأنهما ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما) أخرجه الترمذي والنسائي عن جابر ونقله عنهما المتقي الهندي في أول باب الاعتصام بالكتاب والسنة من كنز العمال، ص٤٤ من الجزء الأول..

وفي رواية زيد بن ثابت: (إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض . أو ما بين السماء إلى الأرض . وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) أخرجه الترمذي والإمام أحمد من حديث زيد بن ثابت بطريقين صحيحين أحدهما في

ص١٨٢ والثاني في آخر ص١٨٩ من الجزء الخامس من مسنده وأخرجه الطبراني في الكبير عن زيد بن ثابت وهو الحديث ٨٧٣ من أحاديث الكنز ص٤٤ من الجزء الأول..

وفي رواية أبي سعيد الخدري (إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وأن اللطيف أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفونني فيهما) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري من طريقين أحدهما في آخر ص١٧ والثاني في آخر ص٢٦ من الجزء الثالث من مسنده وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة وأبو يعلى وابن سعد عن أبي سعيد وهو الحديث ٩٤٥ من أحاديث الكنز في ص٤٧ من الجزء الأول..

وللاختصار فقد روى الحديث كل من صحيح مسلم وسنن الدارمي وخصائص النسائي وسنن أبي داوود وابن ماجة ومسند أحمد ومستدرك الحاكم وذخائر الطبري وحلية الأولياء لأبي نعيم وكنز العمال وغيرهم.

واعتنت بالحديث المبارك كتب المفسرين فقد رواه أمثال الرازي والثعلبي والنيسابوري والخازن وابن كثير وغيرهم بالإضافة إلى الكثير من كتب التاريخ واللغة والسير والتراجم.

وقد استقصت دار التقريب برسالتها المطبوعة في القاهرة عشرات المؤلفين من هؤلاء وغيرهم وقد كنت أودّ نقل الرسالة بنصها لقيمة ما ورد فيها من رأي ونقل لولا انتشارها وتداولها وما أظن أن حديثاً يملك من الشهرة ما يملكه هذا الحديث، وقد أوصله ابن حجر في الصواعق

المحرقة إلى نيف وعشرين صحابياً يقول في كتابه: (ثم إعلم إن لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً).

ونستفيد من هذا الحديث عدّة أمور منها:

بقاء العترة إلى جنب الكتاب إلى يوم القيامة أي لا يخلو منهما زمان من الأزمنة ما داما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض وهي كناية عن بقائهما إلى يوم القيامة.

يقول ابن حجر: (وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة على عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة كما أن الكتاب العزيز كذلك ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما يأتي، ويشهد لذلك الخبر السابق: في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي) [(١)].

وأيضاً: دلالته على تميزهم بالعلم بكل ما يتصل بالشريعة وغيره كما يدل على ذلك اقترانهم بالكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ولقوله: ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

يقول ابن حجر: وهو خير من كتبوا في هذا الحديث فهماً وموضوعاً تنبيه: سمى رسول الله القرآن وعترته، وهي بالمثناة الفوقية الأهل والنسل والرهط الأدنون الثقلين لأن الثقل كل نفيس خطير مصون وهذا كذلك إذ كل منهما معدن العلوم اللدنية والأسرار العلية والأحكام الشرعية ولذا حثَّ على الاقتداء والتمسك بهم والتعلم منهم، وقال: الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت.

---

(١) الصواعق المحرقة، ص١٤٩.

هذا ما اتضح لنص وعترتي وأما نص وسنتي فقد ذكر بعض المتتبعين أن رواية وسنتي لم توجد إلا في عدد محصور من الكتب التي لا تتجاوز عدد الأصابع وهي مشتركة في رواية الحديثين إلا في موطأ مالك حيث ذكر حديث وسنتي وحده ويكفي في توهين الرواية أنها مرفوعة ولم يذكر مالك رواتها.

وفي غاية المرام وصلت أحاديثه من طرق السنة إلى ٣٩ حديثاً ومن طرق الشيعة إلى ٨٢ حديثاً.

والظاهر أن سر شهرته تكرار النبي له في أكثر من موضع يقول ابن حجر: (ومر له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه، وفي بعض تلك الطرق أنه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة وفي أخرى أنه قال ذلك بغدير خم وفي أخرى أنه قال ذلك لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف وقال ابن حجر: ولا تنافي إذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها إهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة) الصواعق المحرقة..

وقد استفيد من هذا الحديث عدة أمور نعرضها بإيجاز:

١ ـ دلالته على عصمة أهل البيت:

أ ـ لاقترانهم بالكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وتصريحه بعدم افتراقهم عنه، ومن البديهي أن صدور أية مخالفة للشريعة سواء كانت عن عمد أم سهو أم غفلة تعتبر افتراقاً عن القرآن في هذا الحال وإن لم يتحقق انطباق عنوان المعصية عليها أحياناً كما في الغافل والساهي، والمدار في صدق عنوان الافتراق عنه عدم مصاحبته لعدم التقيد بأحكامه وإن كان معذوراً في ذلك فيقال فلان مثلًا افترق عن

الكتاب وكان معذوراً في افتراقه عنه والحديث صريح في عدم افتراقهما حتى يردا الحوض.

ب ـ ولأنه اعتبر التمسك بهما عاصماً عن الضلالة دائماً وأبداً كما هو مقتضى ما تفيد كلمة لن التأبيدية وفاقد الشيء لا يعطيه.

ج ـ على أن تجويز الافتراق عليهم بمخالفة الكتاب وصدور الذنب منهم تجويز للكذب على الرسول الذي أخبر عن الله عز وجل بعدم وقوع افتراقهما وتجويز الكذب عليه متعمداً في مقام التبليغ والأخبار عن الله في الأحكام وما يرجع إليها من موضوعاتها وعللها مناف لافتراض العصمة في التبليغ وهي من أجمعت عليه كلمة المسلمين على الإطلاق حتى نفاة العصمة عنه بقول مطلق، يقول الشوكاني بعد استعراضه لمختلف مبانيهم في عصمة الأنبياء: وهكذا وقع الإجماع على عصمتهم بعد النبوة من تعمد الكذب في الأحكام الشرعية لدلالة المعجزة على صدقهم، وأما الكذب غلطاً فمنعه الجمهور.

وجوزه القاضي أبو بكر (١).

ولا إشكال أن الغلط لا يتأتى في هذا الحديث لإصرار النبي على تبليغه في أكثر من موضع وإلزام الناس بمؤداه والغلط لا يتكرر عادةً على أن الأدلة العقلية على عصمة النبي والتي سبقت الإشارة إليها من استحالة الخطأ عليه في مقام وتمنع من احتمال الخطأ في دعواه عدم الافتراق.

٢ ـ لزوم التمسك بهما معاً لا بواحد منهما معاً من الضلالة لقوله

---

(١) إرشاد العقول، ص٣٤.

فيه: (ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا) ولقوله: (فانظروا كيف تخلفونني فيهما) وأوضح من ذلك دلالة ما ورد في رواية الطبراني في تتمتها: فلا تقدموهم فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

وبالطبع إن معنى التمسك بالقرآن هو الأخذ بتعاليمه والسير على وفقها وهو نفسه معنى التمسك بأهل البيت عدل القرآن.

ومن هذا الحديث يتضح أن التمسك بأحدهما لا يغني عن الآخر، حيث قال ما إن تمسكتم بهما ولم يقل بأحدهما.

كذلك رواها ابن هشام من كتاب السير ورواها ابن حجر مرسلة وذكرها الطبراني في الحكاية عنه.

ومثل هذه الرواية وهي بهذه الدرجة من الضعف لأنها لا تزيد على كونها مرفوعة أو مرسلة ولو قدر صحتها فهي لا تزيد عن أخبار الآحاد فهل يمكن أن تقف بوجه حديث الثقلين مع وفرة رواته في كتب السنة وتصحيح الكثير من رواياته كما سبق.

أما من حيث المضمون فأنا شخصياً ومعي الكثير من العلماء لا نكاد نفهم كيف يمكن أن تكون السنة مرجعاً يطلب من جميع المسلمين في كل العصور أن يتمسكوا به إلى جنب الكتاب وهي غير مجموعة على عهده وفيها الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد.

وهل من المعقول أن نصدق أن الخليفة الثاني عمر الذي منع من تدوين الأحاديث أن يمنع تدوينها للإضرار بالأمة وإحداث البلية فيهم وعندما كانت تحدث المعضلات من المشاكل كان يرجع إلى علي حتى

اشتهر عنه قوله: (لولا علي لهلك عمر) مما يعني أن عمر كان يفهم أن الذي يفسر الكتاب هم الآل وعلي سيدهم فاتخذهم مرجعاً مع الكتاب يفسرونه (١).

ذكرت أن عمر بن عبد العزيز هو الخليفة الخامس ولا ندري كيف حصل عمر على هذا الرقم فإن كان تقسيم الخلافة على أن تبدأ من أبي بكر والراشدين فقد انتهت الخلافة الراشدة بعد الإمام الحسن واتفقت الأمة على الإمام الحسن عليه السلام هو الخليفة الخامس وبعده الملك وحتى على رأي السيوطي الذي عدّ الخلفاء الأربعة جعل الحسن هو الخامس وأتى بعده بمعاوية وعبد الله بن الزبير وعمر بن عبد العزيز فعلى رأي السيوطي هو الثامن.

لكننا لا ندري لماذا هذا القفز عن بقية الملوك الأمويين والوصول إلى عمر لا ندري كيف تركوا بني العباس جميعاً واختاروا من بينهم المهدي لأنه في بني العباس كعمر بن عبد العزيز في بني أمية.

وأعيذك بالله أيها الأخ أن يكون عندك على سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسن عليه السلام شيء فإنها كارثة لأنه من الذين أمر الله سبحانه بمحبتهم ومودتهم في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: ٢٣].

والحقيقة أن العلماء الذين وقعوا في هذا الخبط قد صحت عندهم الروايات المتواترة والتي تقول: (الأئمة من قريش وعددهم اثنا عشر

(١) الأصول العامة للفقه المقارن، السيد محمد تقي الحكيم، ص١٧٢.

أميراً).

وإليك بعض الروايات ففي رواية البخاري عن جابر بن سمرة، قال: سمعت النبي يقول: يكون اثنا عشر أميراً فقال كلهم لم أسمعها فقال أبي إنه قال: كلهم من قريش (١).

وفي صحيح مسلم بسنده عن النبي: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش (٢).

وفي رواية أحمد عن مسروق، قال كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله ما سألني أحد عنها منذ قدمت العراق قبلك ثم قال: نعم، ولقد سألنا رسول الله اثني عشر كعدد نقباء بني إسرائيل (٣).

والذي يستفاد من هذه الروايات:

١ . إن عدد الأمراء أو الخلفاء لا يتجاوز الإثني عشر وكلهم من قريش.

٢ . إن هؤلاء الأمراء معينون بالنص كما هو مقتضى تشبههم بنقباء بني إسرائيل.

---

(١) البخاري، ج٩، ص١١.

(٢) صحيح مسلم، ج٦، ص٤، وفي ص٣ . ٤ روايات أخرى بمضمون رواية البخاري.

(٣) دلائل الصدق، ج٢، ص٣١٦، عن مسند أحمد وغيره.

٣ . إن هذه الروايات افترضت لهم البقاء ما بقي الدين الإسلامي.

وصحة هذه الاستفادة لا تلتئم إلا على مبنى الإمامية في عدد الأئمة وأنهم إثنا عشر وهو منسجم مع حديث الثقلين أيضاً وأيضاً صحة الاستفادة موقوفة على أن يكون الأمر فيهم بالاستحقاق لا بالتسلط لأن الخليفة الشرعي يستمد سلطته من الله.

والخلاصة أن الإمام الحسن على مبنى علماء الجمهور هو خامس الخلفاء وعلى مبني الإمامية هو ثاني الخلفاء وهو إمام بنص رسول الله فيه وفي أخيه الحسين (ولداي هذان إمامان قاما أو قعدا).

وأما عمر بن عبد العزيز فغير مندرج في الخلفاء الشرعيين إلا على بعض التأويلات كتأويلات السيوطي التي مرت، وقد مر بيان فسادها.

ذكرت أن النبي طلب من الحاضرين أن يأتوه بشي يكتب لهما كتاباً وقال الإمام علي إني ذو حافظة قوية ودقيقة وخوفاً من أن يقضي النبي على فراشه قبل مجيء القرطاس ثم ذكرت بأنه أوصى بالصلاة والزكاة وما ملكت الأيدي ثم عرجت على قوله لا يجتمع دينان في جزيرة العرب.

يستغرب الإنسان كثيراً عند تعرضك لأخطر حادثة تمر عليها بهذه البساطة ولا تتيح للتاريخ ليقص عليك أحداثة مع أن كتب الحديث والسيرة والتفسير تعرضت لدقائق الوقائع ولم تترك منها شيئاً.

وقد راجعت كثيراً من هذه المصادر فلم نجدها تهتم بالأمور الثلاثة أنها ليست هي المفصل ومن المعلوم أنه عندما يتوفى القائد لا تكون وصيته في بعض بنود الدستور وإنما تكون مهمته حفظ الدستور والقيادة

التي تتولى حفظه ومن هنا كان اهتمام النبي في أواخر حياته منصباً لبيان القيادة الجديدة وقد كان حديث الثقلين أحد هذه الاهتمامات وكذلك حديث الغدير الذي ليس الآن مجال ذكره.

وقد ذكر البخاري في باب قول المريض قوموا عني من كتاب المرضى ص٥ من الجزء الرابع من صحيحه.

بسنده إلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال ﷺ : هلمّ أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده، فقال عمر إن النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فأختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي كتاباً لا تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثر اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم رسول الله: قوموا فكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ماحال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم وأخرجه مسلم في آخر الوصايا من صحيحه أيضاً (١).

ورواه أحمد من حديث ابن عباس في سنده (٢).

وسائر أصحاب السنن والأخبار.

وقد تصرفوا فيه إذ نقلوه بالمعنى لأن لفظه الثابت إن النبي يهجر، لكنهم ذكروا إنه قال: إن النبي قد غلب عليه الوجع تهذيباً للعبارة وتقليلاً

---

(١) صحيح مسلم، ج٢، ص١٤.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة للعلامة المعتزلي، ج١، ص٣٢٥، وج٢، ص٢٠.

لمن يستهجن منهم والرواة الذين رووا الحادثة كانوا مؤدبين جداً مع الخليفة الثاني حيث هذبوا كلامه فمنهم من ذكر الحادثة ولم يذكر بطل الرواية ومنهم من إذا ذكر عمر هذب قوله وقد نقل أبو بكر أحمد بن عزيز الجوهري في كتاب السقيفة بالإسناد إلى ابن عباس قال لما حضرت رسول الله الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال رسول الله إئتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده فقال عمر كلمة معناها إن الوجع قد غلب على رسول الله ثم قال عندنا القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف من في البيت واختصموا، فمن قائل: قربوا يكتب لكم النبي ومن قائل ما قال عمر، فلما أكثر اللغط واللغو والاختلاف غضب، فقال قوموا وتراه صريحاً بأنه إنما نقلوا معارضة عمر بالمعنى ولم يصرحوا باسمه.

وفي لفظ البخاري في باب جوائز الوفد من صحيحه (١).

عن ابن عباس أنه قال يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء فقال اشتد برسول الله وجعه يوم الخميس فقال إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا هجر رسول الله وقال دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه وأوصى عند موته بثلاث أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم قال ونسيت الثالثة، وليست الثالثة إلا الأمر الذي أراد النبي أن يكتبه حفظاً لهم من الضلال لكن

---

(١) صحيح البخاري، ج٢، ص١٨١.

السياسة اضطرت المحدثين إلى نسيانه كما نبه إليه مفتي الحنفية في صور الحاج داوود الددا [١]، والمؤمنون الرساليون المتلزمون ليس لهم إلا الإطاعة والتسليم وتنفيذ أوامر النبي ولم يكن علي ليخالف حتى ما يتمنى حدوثه النبي فيحقق أمنيته فكيف إذا طلب منه شيئاً، وتوقف علي وتلكؤه عن تنفيذ أمر النبي لا يكون إلا لسبب على أن علياً غير معني بهذا أبداً لأنه كان الموصى إليه وإنما كان المعني بهذا غيره من الصحابة وصحيح أن النبي كان له اهتمام بالصلاة والزكاة والضعفاء من الناس لكن الواقعة كما ذكرت سابقاً خطيرة لا يتحدث فيها إلا عن أمور القيادة التي تلي أمر المسلمين بعد النبي على أني تتبعت المصادر التي عالجت هذه المسألة فلم أجدها تذكر شيئاً حول الوصايا الأخلاقية والتعبدية وإنما همه كان مركزاً حول المسألة السياسية والتي هي أم المسائل فترك أمهات المسائل وذكر بعض بنود القانون في الحادثة الخطيرة وإسدال الستار عليها خلاف ما نعهده منك من جرأة في قول الحق.

وقد ذكرتَ رواية دون مصدرها أن النبي وهو يعالج سكرات الموت قال: إن الذي يهون عليّ سكرات الموت إني رأيت كف عائشة في الجنة، ونحن فرحنا لهذه الرواية وإذا لم تكن الجنة لأمهات المؤمنين فلمن تكون غير أننا لم نعثر على هذه الرواية في الصحاح وخصوصاً الكتب التي تعرضت لهذه الحادثة غير أن الأخذ بصحة هذه الرواية يلزمها القول بأن قتال عائشة لعلي كان مشروعاً بل عملًا عبادياً يؤدي

---

(١) نقلًا عن كتاب المراجعات ص٢٨٥.

إلى الجنة ويلزمنا أيضاً أن نقول بجواز الخروج على الإمام الشرعي والخليفة الراشد ويلزمنا صحة أعمال الذين ثاروا على عثمان الخليفة الثالث وأنهم في الجنة مع أن المسلمين جميعاً شددوا النكير على من خرج على إمام زمانه فكيف نوفق بين ما اتفق عليه علماء وجمهور المسلمين وبين هذه الرواية على أن عدم ذكر هذه الرواية الضعيفة أولى ما دام تؤدي إلى مثل هذه اللوازم.

وسوف أترك كثيراً من تفاصيل الغسل والصلاة وما ذكر فيها الآن وانتقل إلى ذكرك الحديث القائل: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، وقد اشتهر هذا الحديث اشتهاراً حتى حفظه العوام من الناس وهذا الحديث من الموضوعات كما نص عليه أصحاب الجرح والتعديل وأنه وضع في العهد الأموي لصحة أعمال المعادين لأهل البيت وقد نص ابن القيم في الجزء الثاني من كتابه أعلام الموقعين في ص٢٢٣ واعتبره من الأحاديث الموضوعة.

لأن الأخذ بظاهره أخذ بكلام وموقف كل صحابي ولو كان معادياً لله ورسوله أو منافقاً نص القرآن على نفاقه.

ولا بد لي أن أذكر أن الصحبة شاملة لكل من صحب النبي أو رآه أو سمع حديثه فهي تشمل المؤمن والمنافق والعادل والفاسق والبر والفاجر كما يدل عليه قول النبي في غزوة تبوك عندما أخبره جبرئيل بما قاله المنافقون: إن محمد يخبر بأخبار السماء ولا يعرف الطريق إلى الماء فشكى ذلك إلى سعد بن عبادة فقال له سعد: إن شئت ضربتُ أعناقهم قال (لا يتحدث الناس أن محمد يقتل أصحابه ولكن نحسن صحبتهم ما

أقاموا معنا).

فالصحبة إذن لم تكن بمجردها عاصمة، ونعود إلى القرآن الكريم الذي ذكر منازل الصحابة بناءً على ما ذكر فالقسم الأول وهم الخلص: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

ومنهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

هؤلاء من أصحاب النبي ومن يستطيع أن يقول فيهم ما لا يرضي الله كما أن الصحبة تشمل الذين مردوا على النفاق، والذين ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا للرسول الأمور وأظهروا الغدر حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون.

والحاصل أن الصحبة منزلة عظيمة وفضيلة جليلة وهي بعمومها تشمل من امتحن الله قلبه للإيمان وأخلص لله وجاهد وناصر ومن رقي درجة الكمال النفساني فكان مثالًا لمكارم الأخلاق.

كما أنها تشمل من لم يدخل الإيمان قلبه و﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ﴾ [الفتح: ١١] و﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا

يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٢-٣] ولو أن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم اتّفقوا على كل شيء في الوضعين السياسي والفقهي لأراحونا كثيراً ولكنهم اختلفوا سياسياً واختلفوا فقهياً وتعددوا فرقاً وأدى أمرهم إلى القتال وسحبت السيوف وسفكت الدماء، فهل نقتدي بهما معاً فنجمع بين الشيء ونقيضه والشيء وضده أم نرفضهم معاً وفيهم السلف الصالح؟

مثلًا في العمل السياسي نحن مع من؟

أبو بكر أوصى وعمر جعلها شورى وأبو بكر عفا عن خالد عندما قتل مالك بن نويرة اليربوعي وزنى بزوجته ليلة قتله.

وعمر أمر برجمه وبقي واجماً عليه حتى أخذ الخلافة فعزله عن الجيش، وطلحة والزبير وعائشة خرجوا على إمام زمانهم وقاتلوه وقاتلهم، ومعاوية جيَّش الجيوش لمحاربة إمام الحق علي أمير المؤمنين والذي بايعه الناس مختارين.

فهل يجوز لنا أن نوالي معاوية الخارج على إمام زمانه وهو من الصحابة ونترك علياً إمام الحق وهو من الصحابة أيضاً؟

وهل نوالي الاثنين وهل يزدوج الولاء ويتجزأ الحق؟

وبناءً على صحة الحديث فيجوز موالاة القاتل والمقتول والظالم والمظلوم والصالح والطالح والبر والفاجر، وهذا ما لا يقرّه عقل ولا شرع، والصحيح ما قاله ابن القيم أن هذا الحديث من الموضوعات وقد وضعه الأمويون ليؤمنوا شرعية أعمالهم ومعاداتهم لله ورسوله وآل بيته.

هدانا الله جميعاً إلى موالاة نبيه وآل بيته وصلى الله على رسوله محمد وآله الأخيار وصحبه الأبرار وسلم تسليماً كثيراً.



الفهرس